التُمـــــــــير

رواية

نجلاء فتحي بدر

دار بيوند للنشر والتوزيع
٤ ش كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
٠١٠٩٦٩٠٠٠٠٧
Beyond.dbh@gmail.com
جميع الأراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها .ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر

الكتاب: التمير

المؤلف: نجلاء فتحي بدر

الطبعة: الأولى

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

التدقيق اللغوي: سكون لخدمات الكتب

الإخراج الداخلي: صبرينة غلمي
رقم الإيداع: ٢٠١٨ / ٢٣٢٠٤

الترقيم الدولي: ٦-٦٤-٦٦٤٥-٩٧٧-٩٧٨

دار (بيوند) للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة
محمد عز الدين

المدير العام
صبرينة غلمي

المدير التنفيذي
جلال عز الدين

حين تجند الأرواح لا تسأل ما حدث كيف حدث و لماذا

إهداء

إهداء الى أعز القراء الذى اتمنى لهم الاستمتاع والاستفادة من روايتى (التميز) واتمنى منهم أن يكون كالتميز يبحثون عن الحرية دون قيد كأشعة الشمس التى لا تقيد إلا بقدرة الله عليها

إهداء خاص الى شهداء نادى الزمالك وشهداء نادى الأهلى وكل شهيد ضحى بروحه فى سبيل وطنه وأرضه

ثم إهداء الى الرفيق الغالى النقيب/عتوق مولاى يونس من المغرب الشقيق ثم الى

د/محمد أحمد رزق ،عميد ا. ح/هشام عبدالعزيز عبدالباسط،مقدم/حسين زيدان مبروك،المذيع عماد فيصل سلام،د/عاطف مسعد،د/سلمى محمود اسماعيل، د/ شلبى الجعيدى ،شاهين شاهين،ابراهيم وهبى ، يوسف سيف،مصطفى حسين زيدان،أحمد ابراهيم بدر، حسام حموده ،زهراء طاهر العذب،اسلام الهادى، محمود عبدالجواد، سعيد بخيت، سناء خالد، سمر ابراهيم، مروه جابر، أحمد أبو الغيط،إمام النقراشى،رفيده محمودعبدالمنعم،غاده ابراهيم،اسراء نبيل، باسم يوسف،وائل حسنى،هناء بكرى،فريد السعيد،ورده محمود، الحسينى جعفر،ثروت

الغنيمى، سليمان محمود الفاضلى، اسلام عبدالباقى، حسان على أحمد، مجدى سرالدين، محمود حامد، عمرومختار، محمود بسيونى، رانيا حمدى ابراهيم، أحمد الجيلانى، السيد المنهراوى، رحمه محى، موسى مبروك، محمد راضى على، محمد سليمان بدران، اسلام جوده، بازأشهب، رامى ابراهيم الصاوى، مدحت عبد الغفور، محمود عياد، مروه محمود، أشرف السعدى، يوسف حسين، محمد جعفر، أحمد العراف، السيد عوضين، أحمد رضوان، محمد أحمد، محمود أبو يوسف، أحمد الجلاء، أحمد عثمان، محمد المصرى، على عيسى، مصطفى عشماوى، علياء عادل، يوسف مصطفى سيف، شيرين حسنى، الاء أشرف أبو العز، سيد عماد، على أحمد، علاء عبدالرازق، حسناء وسيم، هدير السيد، محمد بن حامد ال الشيخ، اسلام عباس، أحمد الجيلانى، رنيا حمدى ابراهيم، يوسف حسين، أمل شاهين، هاجر خالد، محمد على حسن، محمد المعدواى، زكريا حجاج، عبيد الله العجمى، محمود محمود، اسماعيل عبدالعزيز ركب، عبدالرحمن على، أحمد سيد رفاعى، الزهراء رمضان، دينا الشريفه، محمد فهمى، مجدى المر، محمد سناد، عز الشافعى، محمود حامد، أمال فتحى صقر، عبد الرب النبى شحات، عبد المنعم أبو زيد، مدحت عبد الغفور، محمد صلاح، علاء محمد، أحمد الحديدى، محمود بسيونى، سعيد الحنفى، محمد هادى، صلاح فاضيل، محمد على، على عسكر، حمدى حماس، جهاد الرفاعى، محسن خالد، وليد الشيخ، صبرى رضا سليمان، شريف سناره، آيه عبدالمولى

مغمض العينين قليلا يستمتع بالهواء الطلق ورائحة الحقول مع نسمات الصباح على الرغم من أنها باردة بعض الشيء ، لكنها نسمات أكثر دفيء من هواء أوروبا وبردها القارس الذى إلتهم مفاصله بمرض الروماتيزم ، كانت الشمس تغيب تارة وتظهر تارة أخرى وفى ظهورها كانت تذيب ثلج بريطانيا المكنون فى قلبه ،أيقظه صفير القطار ففتح عينيه وألقى نظره على المحيطين به فى القطار ثم نظر إلى الطريق بالجوار، تتنقل نظراته بين تأمل المساحات الواسعه من الحقول تارة والمنازل والأشخاص السائرين تارة أخرى، تتبدل المشاهد من نافذه صغير فتتبادل معها الذكريات فى رأسه ثم يعود فيلقى نظره على هؤلاء الركاب بالقطارالذين يتأملون وجهه ويتهامسون فيما بينهم ، فملامحه تحمل هويته المجهوله لهم لكنهم متيقنين أنه رجل أجنبى لا ينتمى إلى أرض البشرة الخمريه ، يبدو من تأملاته أنه جديد العهد على أرضهم تسربت همساتهم إلى أذنه : لما جاء إلى مصر؟ ويركب قطار درجة ثالثة مع الفقراء ومثله يمتلكون أموال طائلة تكفيهم لشراء سيارة خاصه للسفر بها او ركوب قطار درجة أولى ، قرا فى عيونهم تساؤلات تخطر فى وجدانهم فابتسم وأشاح بوجهه بعيدا عنهم إلى الشباك ليروى لهم هو أيضا بايتسامته وعقله الذى يعيد ذكريات تلك المغامره التى على وشك إثبات إن كان مجنون حقا كما يخبره الناس أم أنه على وشك اكتشاف عالم لم يؤمن به قط فى حياته.

لا يعلمون أن من قادنى إلى بلادهم مجرد حلم حلمته أو تخريفة آمنت بها فى قلبى وعافرت حتى يؤمن بها ذلك العقل الذى لا يؤمن إلا بما يراه فقط ، لم اؤمن قط قبل تلك اللحظة بالأرواح .. القدر أو العالم الآخر, إيمانى الوحيد قبل تلك اللحظة أن الحياه التى أحياها الآن والنوم العميق الذى لن أستفيق منه أبدا هو الحقيقة الوحيدة الواضحة فى العالم ، نولد ثم نموت وكأننا لم نولد.. فما هى الحياه الأخرى التى يؤمن

فقراء الدنيا بها !.. الحياة الآخره تلك القشة التى يتعلق بها كل من بهتت الحياة فى عينيه وفقد السعادة فى قلبه لكن لا وجود لها أبدا هى فقط حلم البؤساء ، لكن كل شىء تغير بمحض الصدفة أو ربما بمشيئة القدر أو الله الذى لن أتقاعس عن إيمانى به إن ثبت أن ما رأيته سابقا أنه حق بحق وحقيقة لا شك فيها.

وربما انحدار حياتى واحتضارها حاملة تابوت اسمى إلى القاع هو السبب الوحيد الذى جعلنى اؤمن بتلك المغامرة المجنونه فمنذ سنوات لا استطيع إحصائها كنت فى قاع العالم البائس تحتضر آمالى لم تساعدنى تلك الشهادات التى حصدتها من أفخم الجامعات على نيل ما أحلم به ، أدركت فى قاع الحياة أنها لسيت السبيل الوحيد للوصول بل السبيل الأول لنيل احترام من يهتم فقط بحصد تلك الأوراق لكن ذلك الاحترام لن يدوم طويلا فسرعان ما تفقده إذا لم تنل ما تتوق إليه روحك فينطفىء اسمك سريعا مثل فلاش وامض ، معاناة حياتى كانت تكتب فى سطور داخل عقلى لم يكن يقوى قلمى على التعبير بذلك ولو كتابة حرف واحد مما أعانيه ،حتى نضج الألم فى أعماقى كنت أظنها النهايه لكن لم أعلم أن نضوج الألم بداخلنا يفتح الأبواب للمستقبل بتوه أمامنا فاستطعت أن أقبض بأصابعى على القلم وتحبير تلك الصفحات الفارغة بما ملأ عقلى من سطور دونتها خلال تلك السنوات عن حياة لا أريد العودة إليها.. لاقت أول أعمالى استحسان البعض وذم البعض الآخر لا لعيب فى موهبتى أو ما تحمله كتاباتى من أفكار بل لأننى لم أكن مشهور بما يكفى مثل الذين إن كتبوا الركيك من الأعمال فتنال استحسان ومدح الآخرين ، كنت السمكة المسالمة فى بحر من القروش وإن لم أنضج سريعا سأكل وكأننى لم أخلق فى ذلك المحيط ، بنيت أمبراطورية السيد (أرثوفيتش ..ماك كلنشر أرثوفيتش) تدريجيا لم أطأطأ الرأس للعلاقات أو أزين لسانى بالمدح الفارغ لركيكي الكتاب ، كل شىء كان يسير على ما يرام لكن الآن بدأت أفقد تلك الأمبراطورية تدريجيا فقدت القراء دفعة وراء دفعة ، فاض على فيضان الزمن بأجيال جديدة وأقلام جذبت

القارىء إليها لقد مل الجميع من قصص الحب أو ربما أجدبت أفكارى وأصبح إنتاجها غير جدير بالقراءة ، هذا العام هو عامى الأخير لأعتزل السباق بشرف وأترك قلمى جانبا معلنا اعتزاله عن الكتابة لكن عقلى لن يعتزل التفكير عن عمل يعيدنى إلى الأضواء مرة أخرى ، أخشى أن أجلس عاجز عن كتابة شيء ما ومازالت الروح فى جسدى فأدفن حيا.

أيعقل فى إحدى الليالى يرتعش جسدك حيث يكسوه الثلج فتبدأ كل قطرة دماء فى أوردتك بالتجمد فى حين تستلقى على فراشك الدافىء فى ليلة صيفيه ! كان ذلك الحلم هو الطريق الذى يهديه الله لشخص لم يؤمن بوجوده مطلقا ، تكررت الرؤية حتى اعتبرتها إشارة من الخالق لبدء عمل جديد تعيد إلي الأضواء ويرتفع اسمى ويلمع كالسابق ، لكن لم أشغل الفكر لما يعطي الله شيئا كهذا لشخص مثلى ناكرا لوجوده ! تكرر الحلم مرات عديدة كانت تتسلسل الأحلام حلم تلو الآخر حتى أمسكت قلمى وكتبتها حلقات لكننى توقفت لنقطة لم استطيع تجاوزها وعجزت عن التكملة حينما انقطعت تلك الأحلام ، ففى آخر ليلة من ليالى الصيف كنت أودع تلك الشمس الصيفية بابتسامتى التى لم تطول واستقبلت صقيع الشتاء وتقلباته المناخية وأمطاره التى قلبت فى أعماقى ألم الفشل والضمور الذى أصبحت فيه واختلطت أمطاره بدموعى وصقيعه برعشة قلبى الذى ينبض آخر نبضات النجاح فى حياته.

لكن لم أدرك أن هذ الشتاء يحمل فى أعماقه مادفعنى لآتى إلى تلك البلاد التى طالما ذممتها بقلمى وبغضتها بقلبى ، ورفض عقلى تفهم أهلها وثقافتهم أو على أقل تقدير دينهم ، فجاة تنحنح الرجل الذى يجلس

أمامى مشيرا لى بعينيه حيث بائع الحلوى فانتبه والتفت أنظر إلى ذلك البائع كانت هيئته الرجولية لا تخفى حقيقته التى رأيتها من قبل فى أحلامى ، تنحنج الرجل مرة أخرى فالتفت إليه أنظر ماذا سيقول! أخبرنى أنه سيقبل على شراء حلوة ذلك البائع ليتأكد من شيء ما يداعب عقله ربما ذلك الرجل هومن نبحث عنه لكن عليه تأمله جيدا

أثناء ذلك , هززت رأسى بالموافقة وترقبنا إقتراب البائع حيث أفصحت أعيننا عن تأملنا له بشكل لفت نظره لكنه تظاهر أنه لا يعبأ لذلك الأمر، وكعادة البائعين فى مصر؛ ألقى بسلعته بجوارنا وانطلق إلى الركاب الأخرين حيث نهاية العربه كنا ننظر إليه متأملين حركاته وتصرفاته التفت إلى الرجل الذى يرافقنى فى رحلتى فى نظرة عجيبة قائلا أنه هو ..هو الذى نبحث عنه ، نظرت إليه بتعجب وما زال الشك يراودنى قائلا: لا استطيع الجزم بأنه هو.. دعه يقترب منا لنتاكد من أمره ، لكن قلبى كان ينبض بشدة ، كأننا التقينا من قبل حينما أمعنت النظر إليه وهو قادم محيت من على وجهه غبار الزمن وتجاعيده وعمته المصرية ورأيته كما رأيته من قبل فى ذلك الحلم أجل أنه هو تماما ، تماسكنا قليلا وما إن انحنى لإلتقاط الحلوى من جوارنا هم بإلتقاط الحلوى من الرجل الذى يصطحبنى ف رحلتى أولا فتزامن مد يدهما لأخذها فتلامستا، فجذب البائع يده بسرعة ، أشار الرجل إلى البائع بأصبعه إلى فالتفت إليه كي أرى ما الأمر فأخرجت محفظتى وقمت بإخراج النقود وعيناى لا تتركان وجهه أدقق فى ملامحه مد يده لأخذ النقود فجأه التقت عينه بعينى تتفحصه فأدرك أننا لسنا رجلين عاديين يشتريان سلعته وننظر أليه أعيننا بتلقائية بل فى سعينا إلي شيء آخر فأفصحت ملامحه عن توتره قليلا ثم تركنا وجلس يرتاح قليلا فى نهاية العربه , اتبعته نظراتنا وشكوكنا هل عثرنا عليه حقا بعد مرور تلك السنوات أم أنه فقط شبيه له ؟ وقف البائع ومضى إلى العربات الأخرى انتفضنا من مجلسنا خوفا أن يغادر القطار عند وقوفه فى إحدى المحطات أو أن يفقد من تحت نظرنا لكن ما هى إلا دقائق حتى عاد ينادى على سلعته مرة أخرى طلبت من الرجل أن يشير إليه لشراء حلوي أخرى فقد لا يفهم البائع لغتى , أشارالرجل إليه فجاء البائع بخطوات مترددة طلب منه الرجل الشراء مجددا لكسب وقت إضافى لتأكيد تأكدنا أنه هو الرجل المقصود حقا فلم يعد للشك وجود، مد البائع يده بالحلوى وعينه تتفادى النظر إلينا فجأه قال له الرجل شيئا ما ظننا

أن البائع لن يفهمه فجأة اتسعت عينان البائع وتسمرت فى عين الرجل وتحولت ملامحه إلى ذلك الخليط من المشاعر بين الخوف وتكذيب أذنه مما سمعه للتو أخبرتنى تلك التقلبات فى وجهه أنه على علم بهذه اللغة جيدا، تجرأ الرجل وأكمل كلماته التى لم أفهم منها سوى اسم الرجل فقط والذى كنت أردده على لسانى وفى عقلى لشهور طويله ،حين ردد اسمه مرة أخرى بلهجة متسائلا, نظر إليه البائع بعينين مندهشتين كالذى أحيا ذكراه بعد أن ولت أيامه منذ أزمنة للأبد لا يصدق أن بعد مضي تلك السنون قد يسمع اسمه مرة أخرى.

توقف القطار عن حركته والأرض عن دورانها وتوقف الزمن عند تلك اللحظة التى أصبح الصمت فيها سيد الموقف لم أسمع سوى أنفاسى المتلاحقة وقلبى الذى أمن بشيء لم يكن ليصدقه حتى بعد رؤية ذلك التعبير على وجه البائع لم أصدق ماتراه عينى هل هذا حقيقى حقا أم انه الوهم الذى اتهمت به سابقا يقوم بتصوير تلك الخرافات لخداع عينى... لكنه لم يكن بوهم حين ذكر اسمه واعتلته تلك الملامح.

تحول المشهد لصور قديمة ينفخ عنها الزمن غباره أو للقطة مقتطعة من فيلم ما تجمدا كلاهما فى مكانيهما ينظران إلى بعضهما نظرة أعاده صفحات التاريخ المدفونة التى لم تكتمل كتابتها بعد كقصة منسية فى عقل قصاص أوكحلم ينسى حين تستيقظ.

البـــدايـــة

عليك أن تناضل من أجل حياتك لا تنتظر زورق النجاة يلقى به أحدهم إليك فلن تجد زورق نجاتك إلا فى روحك المناضلة

كنت أمرح مع الصغار بين حدائق عباد الشمس نعدوا متسابقين نقطف أوراقها الصفراء , أقف على أصابع أقدامى حيث قرصها الأسود نقطف لباته سعادة غامرة توصفها الضحكات العالية والعدو السريع الذى ساقنى بعيدا عن رفقتى ..نظرت حولى ابحث عن مخبأ منهم لدى الوقت الكافى لأجد مخبأ مناسب بين أغصان عباد الشمس فهم بالكاد يدركونى ، لم أجد مخبأ فجلست جلسة القرفصاء لأتمكن من رؤية أقدامهم قادمة من بين سيقان العباد لكنهم تأخروا قليلا يئست لكونى أسرعهم يفقدنى المتعة فى اللعب فهم لا يستطيعون اللحاق بى وربما ضلوا مسيرهم إلي لكن لا بأس فأنا أعرف طريق العودة جيدا فذاكرتى حديدية لا تنسى مطلقا الأماكن مهما تغيرت ملامحها أو مضى عليها الزمن ، كانت الفرصة سانحه لأخلو بنفسى أتأمل تلك العبادات العالية حيث طولها الأخاذ وقفت أقيس قامتى بها فخيل إلى للحظة أنها تبتسم لى بعيونها الواسعة مدركة أننى مازلت صغيرة وغدا ستطول قامتى وأصير مثلها يافعة مشرقة تعشق الحياة جذبنى إصفرارها كالون الذى ألون به الشمس فى رسوماتى بالمدرسه حاولت يدى مرارا أن ترسم ما تسجله عينى من هذا الجمال الذى أراه لكننى كنت عاجزة عن رسم ما أراه بدقة فى لوحتى إلى أن اهتديت إلى حيلة أخرى أعبرخلالها عن مكنوناتى ..عن احتضان الأرض لذرات المطر فيفوح من ثناياها عطر ترابها ،أعبرعما تراه عينى وتعجز عنه رسوماتى عن عيون أزهار الشمس ومحياها من بين ثنايا الموت فتلك الأزهار شقت لنفسها سبيل للخروج من أرض ميتة فيتلألأ لى شموخها وقوتها ورغبتها الملحة فى الحياه فتداركت ذلك كلماتى وأمسكت بقلمى وكتبت : الحياه فى مصر لطيفة لكنها مكللة بالوحدة وتلك الراحة الرائعة التى تتخلل مدرستى ونفوس أساتذنى وضحكات أصدقائى حين أتخيل نفسى ألعب معهم بين حدائق عباد الشمس بعيدا عن تلك الثغرات التى تتخلل أركان منزلى بعيدا عن الدموع المتساقطة من حين لآخر ..شعور الأمان بين جدران المدرسة يشعرنى بالدفىء الذى افتقده بمنزلى أصواتهم الدافئة رغم

نفورها منى أحيانا.. لا ليس أحيانا بل كثيرا أفضل عندى من صوت أبى المتخانق بين ليلة وضحاها.

احتمل غضبهم فأنا لا أجيد النحو ولا الراضيات ولا أتقن الرسم ولا مزج الألوان لكننى أعشقه فنحن عاشقين لا يتجاذبان ولا يفهم أحدنا الآخر، كنت أمضى بين الصفوف استرق النظر إلى رسومات أصدقائى الرائعة خاصة ذلك الفتى الذى يشبهنى فى وحدتى كان بارعا فى الرسم إلى حد الذهول ، من المحزن أن تعشق شيء لا تتقن القيام به، فعشقى للرياضيات لم يحول دون فهمى لها فنادرا إذا أجبت على معلم الرياضيات فى الحصة وكثيرا ما يهوى علي غضب أبى المستمر لفشلى فيها صارخا إنه يجب على معرفة ما لى وما علي فنحن نعيش فى حرب ..حرب البقاء لمن يمتلك الأموال فكيف ستدير أموالى من بعدى ستلقى بنا فى جحيم الفقر ومزبلة العالم..ثم يمضى غاضبا خارج المنزل وتدفع أمى من دموع عينيها وحزنها ضريبة ذلك لكن ذلك لم يمنعها عن غمرها لى بالحنان وكلماتها التى تدب الأمل بقلبى بأن الأشياء دائما تتغير فلا شيء يبقى كما هو للابد ، وأثناء حصة الرسم كنت أكتب مندمجة مع رسوم عقلى فرأيت وأنا أكتب غمامة يزداد ظلها على ورقتى وتعتم الرؤية فظننت أنها سحابة تغطى ضوء الشمس فرفعت رأسى أعاتبها على غمامتها لكنها كانت رأس معلمة الرسم تسللت بخف' بالقرب منى تقرأ ما أكتب تسمرت نظراتى إليها خائفة وهى تمد يدها لإلتقاط الكراسة وقرأت ما كتبته تيقنت ألآنها ستوبخنى لا جدال فأنا لم أرسم خط واحدا فى كراسة الرسم وهممت بالكتابة ظنت أننى أكتب إحدى واجبات الحصة القادمة ، أخذت الورقه دون كلمة وظلت تقرأ ثم سألت : أهذا شعر أم خواطر؟

ذهب توترى رويدا وأخبرتها أنها الوسيلة الوحيدة للتعبير عما يرسمه عقلى فأنا لا أتقن الرسم.

أوحت إلى نظراتها أنها لا تصدق كلامى خفت أن تجعلنى أقسم فينعقد لسانى عن ذلك لأننا لا نفضل القسم بالله كثيرا على ألسنتنا فجأة تذكرت تلك القصة التى كتبتها أمس فى حصة الموسيقى مددت يدى إلى حقيبتى وأخرجتها وأعطيتها لها ، تلك القصة نويت الدخول بها فى مسابقة الأنشطه بالمدرسة ، أخذتها المعلمة وبدأت تقرأها ثم قالت : أنت رائعة وعظيمة أمامك مستقبل مبهر .سعدت كثيرا بذلك ورقص قلبى بين أضلعى لا للنبوءة ولكن لأنها لم توبخنى! فجأه أخذتها وغادرت الحصة فى أمر ..لا يحدث أن يترك معلم فصله دون انتهاء وقتها، لكن ماهى إلا لحظات وأتى معها معلم اللغة العربية كان يسير ببطىء وعيناه متسمرتان فى قصتى ما إن دخل الفصل بالقرب منى حتى شرع عيناه عنها إلى حينما أشارت له المعلمة أن تلك الجميلة هى من كتبت ذلك.

سأل المعلم بعينين مندهشتين قائلا : حقا أنت؟! إنها جميلة.. لكنها مليئة بالأخطاء اللغوية والنحوية أيضا ، كانت المعلمة فى غاية السعادة كأنها رأت شيئا لم تراه من قبل قائلة : أنها قصة من وحى خيال طفلة , شىء لا يصدق ، لكننى كنت خائفة وارتعبت من كلماته حين قال أنها مليئة بالأخطاء فلطالما كان يؤنبنى على مثل تلك الأخطاء فرغم حفظى للقرآن الكريم لا أفقه النحو ولا أعشقه.. كرهته وهو أيضا كرهنى.. كان بالنسبه لى مثل المسائل الرياضية المعقدة ..وقفت وركبتاى تتخبطان وكدت أن أتبول مكانى لولا حاولت التماسك ، اقتربت المعلمة وربتت على كتفى لعلها رأت ما بداخلى من خوف أو لعلمها بصرامة المعلم نحو الأخطاء النحوية ، ارتحت قليلا أن هناك من سيدافع عنى ولكن ربما العقاب ليس الآن وسيكون حين تحين حصته ، لكن بدا المعلم غير مصدق حين سألنى هل كتبتها من وحى خيالك أم قمتى بتلخيص قصة ما من المكتبة وتدوينها ؟! لكن أخبرته بثقة أننى من كتبها بعقلى لكن يبدو أنه لم يصدق كلامى وأراد التأكد فأخبرنى بوجه صارم أنه سينزل إلى المكتبة ويجمع منها كل القصص للتأكد إن كنت كاذبة

فسأعاقب ، ربما خفت قليلا لكن عادت الثقة بنفسى أننى فعلت شىء يستحق التقدير.

أجبته بثقة أننى موافقة على العقاب ، تعجب إلى ثقتى فطالما كنت الجبانة فى الفصل وبالفعل غادر المعلم وفى يده قصتى ، فجاة دق الجرس معلن انتهاء الحصة فحملت المعلمة أدواتها وهى تخبرنى أن أمامى مستقبل جميل حينما تكونين شىء ما فى المستقبل لا تنسينى ، ربتت على كتفى مبتسمة وغادرت ..جلست مكانى أكمل باقى حصصى , مضت حوالى ساعه تقريبا ولم يعد معلم اللغة العربية بعد، كنت أخشى أن تطيع منه القصة فأسرعت فور انتهاء إحدى الحصص إلى الأسفل أبحث عنه فوجدته كما قال فى المكتبة وقد تراكمت بجواره بعض القصص وهو ما زال يبحث ، ما أن دخلت إليه فنظر إلى بعينين مبتسمتين وإخبرنى أن أقبل عليه مد يده وأعطانى كراستى بابتسامة لم أنساها قائلا : أنت صغيرة بدرجة عظيمة عليك الاهتمام باللغة قليلا.. عادت الابتسامة ترتسم على وجهه.. لم أراه يبتسم يوما قط إلا ذلك اليوم وإلى الآن لا استطيع نسيانه كم اتمنى لو أراه صدفة فأنا اشتاق إليه وإلى ابتسامته كثيرا.

كنت أهرب بقصصى من الخوف الذى يعترينى حين يحين موعد حصة الرياضيات فقد كان يدق قلبى رعبا وكرها لهذا المعلم الذى لا يرغب فى تعليمى شىء إلا إذا ذهبت إليه فى الدرس يجعل من يجيبون علي أسئلته فى الفصل هم طلابه فى الدرس كنت أنا مثل المقعد الذى أجلس عليه لا أفهم شىء ولا أفقه شىء بتاتا ،ما إن دخل وقد قلت فى نفسى ربنا يستر بدأت الحصة وأنا أترقبه خائفة أن تصوب يده على لأجيب وينتهى بى الأمر بالضرب أو السباب أو العقاب بأن أقف فى نهاية الفصل رافعة يدى على الحائط وظهرى للفصل كالعاده فى حصته ، فجأة لمحت عينه تترقبنى وهو يدون إحدى المسائل على السبورة فعلمت أنه سيحين دوى فحاولت أن أفكر فى الحل لكنى لم أصل إلى النتيجة

النهائية للمسئلة فى عقلى فسرعان ما قطع على تفكيرى وقال بزمجرة : قفى ياآنسة ..حلى المسألة , كنت أحمل فى أعماقى كبرياء الكبار وعزة النفس وقفت وأمسكت قلمى بيدى وأشرت على السابورة وبدأت أشرح كأننى أكتب المسألة بالقلم عليها , فجأة صاح بى غاضبا قائلا : لا تقفى كالحمقاء تشيرين إلى السبورة هكذا تقدمى هنا أمامها وأكتبى الإجابة ، ظننت أنه سيلطم وجهى أو شيء ما لكنه أعطانى الطباشير منتظرا أن أكتب لكن كارثتى الكبرى حينها لم تكن إلا فى الإجابة نفسها فأنا لا أعرف الإجابة حقا فقط ادعيت أننى أعرفها لخدعة.. أمسكت الطباشيره بثقة زائفة ورفعت يدى لأعلى لأكتب وأنا ادعو الله أن يجعل لى مخرج من ذلك المأزق ، فجأة تعالت أصوات الطلاب خلفى رافعين أصواتهم قبل أيديهم راجين المعلم أن يختار منهم من يقوم بحل المسألة فصرخت فى وجههم وقد مللت من نجاحهم الزائف فتلك المسألة حتما قد أعطاهم أياها من قبل ويعرفون طريقة حلها جيدا ولولا ذلك لكانوا أقل منى فهما واقفين جميعهم فى نهاية الفصل معاقبين، فجأة صرخت فيهم أن يصمتوا جميعا قرأت على وجوههم نظرات الإندهاش و التعجب وأولهم هذا المعلم فلأول مرة يكون لخرساء الفصل صوت هكذا كانت تقول علامات وجهه لى ، و لأول مرة ينهر طلابه عن الصراخ والجلوس صامتين تاركين لى الفرصة للتفكير، سمعت صوتا هامسا يخبرنى بالإجابة , لم أجرؤ على الإلتفاف لمصدر الصوت فقد يكشف أمرى لذا بدأت أكتب الحل حتى انتهيت أمام صمت الجميع , وضعت الطباشيرة أمام السبورة بثقة حقيقية يشوبها الكبر والفخر ثم جلست مكانى دون الحديث لأحد أو النظر إلى أعينهم وكأننى أمام مسرحية صامت الجميع أمام عبقرية الممثل فى الأداء التمثيلى الصامت, بدأ المعلم يعيد شرح حل المسألة بطريقة أخرى لكننى أدرك أنها طريقته لإخفاء غروره فقط فابتسمت كاد أن يؤنبنى لولا أن دخلت فجأة مدرسه لتصطحبنى إلى الشئون الطلابية فى المدرسة ، نادت اسمى فوقفت مسرعة بإتجاه الباب دون انتظار أمر معلمى أن أذهب ,

فجأة التفت إليه لأستأذنه قبل أن أنال عقابه على هذا التصرف الوقح لكن ملامحه كانت باردة وكأنه أراد من الخروج أيضا فلم ينطق بحرف وأشار إلى بيده إلى الخارج فأسرعت بالخروج وكأننى خرجت من محنة فرجها الله على..رأيت اوراقى مع أستاذة الأنشطة الثقافية بالمدرسة كانت المرة الأولى التى أحس فيها أننى ذات قيمة حقيقية فى ذلك فلست إحدى بنات هؤلاء المدرسين أو ابنة أحد هؤلاء الرجال ذاوت الشهرة والمكانة..شعرت بالفخر حينما سألتنى الأستاذه ما مصدرك لكتابة تلك القصة ، فأخبرتها من عقلى ..أحيانا أرى أشخاص بعقلى يتحدثون إلى ..إرى رجل كبير ذات عصاية يتكا عليها رغم أن هيئته لا توحى أنه شيخ كبير ذا ملامح مخفية فى رداءه يفتح أمامى نافذة يخبرنى أن أنظر منها فأرى أشخاص أمامى فلا استطيع أن أصف ما يفعلون إلا بكتابة أفعالهم ومشاعرهم كأنها جزء من مشاعرى ، أشعر كأنهم أنا حتى أحيانا أعجز عن كتابة الكلمات التى تعبر عن ذلك الشعور فأخبرتنى ضاحكة أننى مجنونة بدرجة عظيمة حينها سعدت أن تلك الكلمة أشاد بها أساتذتى , ومنذ تلك اللحظة نشأت على أننى هكذا ومضت السنين وتبدلت الأحوال تلك لحظة من اللحظات التى أذكر فيها حياتى فى مصر سابقا وقليلا ما أذكر شيء عن طفولتى ..وضعت يدها مسنده رأسها متسائلة وأنت ما الذى تذكره عنى ؟..

إلى اللقاء فى انتظار الحلقة القادمة..

انهى بتلك العبارة حلقة اليوم على صفحته الشخصية وظل يراقب التعليقات الخاصة بأراء القراء لها سرعان ما انهالت عليه التعليقات بالتوفيق والنجاح لكن لم يحصل بعد على التعليق المناسب الذى ينتظره بفارغ الصبر ذلك التعليق الذى سيجعله يقرر هل سيكمل حلقاته على الصفحة أم أنه سيستسلم لذلك الفشل الذى أصابه منذ أن فشل آخر أعماله فى العامين الماضيين وتجمد رقم المتابعين وقلت التعليقات ويأسه فى انتظار رأى التى لا تكتب أو حتى ترسل رسالة للتهنئة بالعمل

الجديد ،حينها أتقن أنه ألقى به فى قارعة الطريق أو ربما انتهى زمنه للأبد ، فجأة تسللت أيدى ناعمة إلى ضهره حتى استقرت على صدره هامس' فى أذنه آن الأوان أن ترتاح قليلا فقال : من قد يرتاح وهو يموت على قيد الحياة؟ ، من كان يظن أننى سأصل إلى ما وصلت إليه الآن من الحضيض بالكاد الجميع يتحدث معى باحترام بالكاد أشعر أننى على قيد الحياة إن لم أنشر شيء جيد هذه المرة سيكون نصيبى أن تلغى دار النشر عقدى الذى عقد منذ بداية مشوارى..ياعزيزتى تلك محاولتى الأخيرة إما أن يتم إنقاذنا أو نغرق للأبد وأضع قلمى ليرتاح من عناء تلك الأيام ، تلك الحلقات ماهى إلا فتاة صغيرة تتردد على فى أحلامى.. تخبرنى بها لا أدرى متى تختفى أو متى تكمل قصتها معى!؟

همست فى أذنه وشفتاها تلامس وجنتيه قائلة : أنت كاتب كبير مضيت بعوائق كثيرة واستطعت تجاوزها بنجاح وذلك ما جعل فتاة مثلى تعجب برجل مثلك ، ما تراه ف أحلامك نسيج من عقلك الملىء بالأفكار، نظر إليها ومد يده وجذب ذراعيها إلى قلبه قائلا : آسف ياعزيزتى لأننى أقحمتك معى فى تلك الحياة , أنت ملاك هنا (مشيرا لقلبه) وعليكى أن تعيشين كملاك مدلل لا يخشى كم سيتبقى من أيام أو سنوات حتى ينطفىء اسمى لا أخشى من انطفاء نجمى أكثرمن خوفى لفقدانك

- المهم أن تكتب.

مدت يدها تتفحص الصفحة قائلة : أرى أن التعليقات والإعجاب فى تزايد عن الحلقة السابقة.

- تقصدين أننا بالكاد نسترجع القراء مرة أخرى بعدما تساقطوا كمياه جارفة من حولى.

عادت إلى احتضانه أكثر قائلة : لما لا تفعل كما السابق؟ تتجول الشوارع وتسافر إلى قرى غريبة تقتبس من البشر أعمالك ، أتذكر ذلك الوقت حين رغبت فى كتابة شىء أقرب إلى الحقيقة منها للخيال فغبت عن المنزل ثلاثه ليال ثم عدت ملهما!؟؛ قضيت ليال طويلة فى الكتابة إلى حين أخبرتك الشمس ذات ليلة أنه حان وقت راحتك وأنت تغلق عملك بآخر كلمة ..النهاية .. هذا شىء رائع أليس كذلك !!؟

هز رأسه مبتسما لإسترجاع تلك الأوقات السعيدة معها ...قبلها بعشق قائلا : عزيزتى (أليكس) ..أنت رائعة.

فجأة قطع ذلك الحديث الرائع صوت الجرس الخارجى للمنزل فذهبت (أليكس) ترى من الزائر , وجدت رجل ف الخارج فضغطت على زر بالجوار لفتح البوابة الخارجية للمنزل ثم أسرعت لفتح باب المنزل وقد استنار وجهها بابتسامة مرحة تخفى ذلك القلق الذى انتابها للحظة ، استقبلته أليكس ثم أسرعت إلى زوجها الذى ما زال جالسا فى غرفة المكتب ، أخبرته أن صديقه السيد (روى روشين) بالخارج فى الإنتظار.

هز (ماك) رأسه ..أخبرها أنه قادم إليه لكن سرعان ما تغيرت ملامحه فهو يعلم جيد لما جاء (روى) ربما لإلغاء عقد التعامل مع دار النشر على الرغم أنه لم يفارقه منذ اللحظات الأولى التى اتخذها لشق طريقه فى مجال الكتابة حتى الآن إلا أن خسائره الكثيرة بسبب انخفاض نسبة المبيعات لمؤلفاته كبدت الدار كثيرا ، حاول (ماك) التماسك وإزالة هذا القلق بابتسامة عريضة وخرج لاستقبال (روى) ، ما إن رآه (روى) مقدما عليه حتى ارتسمت على وجهه قناع ابتسامة فرحة برؤيته إلا أنها لم تخفى ما فى مكنونه ، استقبله ماك بحرارة ثم أخذه وتوجه إلى مكتبه بعدما طلب من زوجته الجميلة أن تحضر لهما كوبين من القهوة لكن (روى) أخبرها أنه يود أن يشرب كوب من عصير الليمون الذى يحبه ، على الرغم من أن (روى) صديق (أليكس) المقرب إلا أنها فهمت

المغزى من طلبه بحاجته للإنفراد ب(ماك) والحديث وحدهما دونها لكنها هزت رأسها مجيبة وذهبت سريعا إلى المطبخ..ما إن جلس (روى) صاحب دار النشر ومدير أعمال (ماك) الخاص حتى تسمرت عيناه على الأرض ولم ينطق بكلمة , أدر ك (ماك) أن حياته تنهار كإيقاع نغمة سريعة ، بدا (روى) فى الحديث وعيناه لا تتقابل مع عين (ماك) فى أسف قائلا : آسف لأننى جئت بدون موعد لكن الأمر هام أنه...

قاطعه (ماك) قائلا : أعلم جيدا لما جئت ياصديقى .. لا عليك لا يجب أن تخاطر بحياتك مع شخصا مثلى.

أردف قائلا فى يأس : سأعطيك فرصة أخرى ياعزيزى (ماك) عليك أن تكتب شيء مثيرا لم أعهد عليك هذا الأمر من قبل , أنت دائما مثير للجدل بمؤلفاتك , أنا لم أصل إلى ما أنا عليه إلا بفضلك وأنت كذلك ، علينا أن نعمل لكى نعيش , أنت تكتب بعقلك دائما ، ذلك الحب الذى كتبت عنه فى مؤلفاتك الأخيرة لم يعد يجدى مع القراء لقد مل البعض من قصص الحب واتجهوا لعالم المغامرات والأكشن.. العالم كله يحب الإثاره وأنت تحب الحب !..الحب ياعزيزى لا يستطيع رفع اسمك إلى عنان السماء بل قريبا سيمحى اسمك من قائمة الأدباء الأكثر مبيعا والأكثر تأثيرا.

كانت (أليكس) تحمل صينية بها القهوة وكأس العصير بيدها وأذنها ملصقة بباب الغرفة تستمع لذلك الحديث الذى أشاع صداه فى قلبها الحزن والخوف مما ستئول إليه الأيام القادمة , فجأة ساد الصمت مدت يدها لفتح الباب فتزامن مع فتح (روى) للباب ففوجئت بوجوده أمامها وهو كذلك لكنه أخفى ذلك متأسفا على تلك الزيارة بدون موعد وعليه المغادرة الآن.

طلت (أليكس) برأسها بهدوء من الباب تلقى نظرة على وضع زوجها كيف صار بعد تلك الزيارة التى لا تحمد ما حملت به من أخبار، رأته واقفا ساهما بجوار نافذته المطلة على الحديقة يراقب مغادرة (روى) للمنزل كانت هالة من الإنكسار والحزن تخيم عليه و تتلبس جسده تدرك أنه يعانى من أمر ما إن رأته من الخلف فما بالك إن نظرت إلى ملامحه الآن ، تراجعت (أليكس) بهدوء للخلف كادت أن تخرج فشعر بها فأوقفها قائلا : لا داعى أن تعودى إدراجا عزيزتى (أليكس)... ستكونى مجبرة على رؤية نهايتى الوشيكة وانهيارى الذى بدأ لكن لا يجب عليك تحمل كل ذلك لا أريد أن تلتصق صورتك بجوارى بوجه حزين على الإستمرار معى فى ذلك الوضع ..لا يجب عليك معاناة السقوط عليك أن تكملى حياتك ..تسمرت مكانها وقد غسلت الدموع وجنتيها الناعمتين المشعان بالشباب والحيوية وبالكاد خرج صوتها تسأل ما الذى يعنيه بقوله هذا؟!

التفت إليها لترى تغير ملامحه بمشاعر لم تعهدها عليه من قبل قائلا : أنت شابة بالكاد تبلغين منتصف الثلاثين ، ربطتى حياتك بحياة كهل يشاهد خريف أيامه واحتضار مسيرته ..لا يجب عليك التواجد هنا... سأجرى إتصال بالمحامى للبدء فى إجرءات الطلاق.

كانت (أليكس) تحاول التماسك تضغط بقبضتها على الصينية فجأة أفلتتها لينهار كل شىء على الأرض غاضبة وبصوت غاضب وفى استعلاء صرخت قائلة : كيف تجرؤ على الإلقاء بى فى مقبرتى وأنا ما زلت على قيد الحياة ..لن يمنع طلاقى عن وجودى بجوارك فى فراشك كل ليلة إلى أن تنتهى حياتى ..خرجت (أليكس) غاضبة تاركة تلك الفكرة الشنيعة فى عقل زوجها.

كلما أسدل الليل ستائره السوداء كلما ازدادت قلة حيلته وتملك الحزن من صدره يفكر فى حل ما ، حتى كاد يختنق من الضيق عندما تذكر أنها أيام معدودة ويضطر (روى) لإلغاء العقد والمطالبة بالتعويضات

قريبا وربما ذلك سيزيد ديونه فقد تلقى هذا الصباح بريد من البنك برصيده المصرفى الذى أوشك على النفاذ حينها لن يستطيع تدبير أمر تعويضات العقد والإنفاق على حياته إلا إذا اضطر لبيع المنزل أو لبيع سيارته فهو لا يجرؤ على المساس بسيارة (أليكس) أو السماح لها ببيعها مطلقا.

انتفض (ماك) إلى الخارج يبحث عن زورق نجاة لأمبراطوريته التى تتهاوى وحياته التي تغرق فى عرض الحياة ، سرح به تفكيره فمضت به قدماه حتى رست أمام مقهى لم ينتبه إليه من قبل فى ذلك الطريق ، نظر حوله يتأكد أنه يمضى فى نفس الطريق المعتاد على المضى فيه لكنه كان هو ، فظن أنه مقهى جديد تم افتتاحه فقرر الدخول إليه لإحتساء كأس وإشعال سيجارة ما إن دخل حتى جلس أمام البار وأشار لنادل فى العشرينات من عمره تقريبا , اقترب منه النادل فطلب منه كأس صغير من الفودكا , لحظات ووضع الفتى أمامه كأسا تردد (ماك) قليلا لمد يده كان يدور فى عقله صراع مع العهد الذى عهده علي زوجته (أليكس) بألا يشرب أى أنواع من الخمور أبدا لكن انهيار كل شىء فى عقله برأه من ذلك العهد , التقت الكأس ورفعه مرة واحدة كانت حرارته تلسع أمعاءه وتشعل بداخله الآمه طلب الكأس الثانى ثم الثالث وظل هكذا حتى انهار بالبكاء لم يرى أحد دموعه سوى نفسه التى تلومه علي ما وصل إليه إلى جانب خيانته لذلك العهد ف(أليكس) رغم عنفوانها وشبابها تكره الخمر كثير لما سببه من ألم لعائلتها ووالدها الذى كان ينهال عليها ضربا أثر الثماله وهوأيضا كره السكر لوالده ، أخذ شهيقا عميقا ثم زفيرا يستعيد فيها إدراكه ويجفف دموعه خوفا أن يراه أحد بتلك الحالة ..انتقل إلى طاولة بالقرب من النافذة ثم أشار إلى النادل أن يحضر له كوب من القهوة وسرعان ما شرد تفكيره فى نفسه والخلوة بها حتى هدأت ، دقائق وأحضر النادل كوب القهوة ووضعه أمامه دون كلمة وغادر بسرعة بطريقة ملفتة للإنتباه لكنه لم يرغب فى الإلتفات وإلقاء نظره على الأمر الداعى لذهابه مسرعا بتلك الطريقة..

داعبت أنفه رائحة قوية تشبه رائحة القهوة قادمه من خلفه أعتقد أنها نابعة من كوبه فالتقط كوبه وقربه منه يرتشفه لكنها ليست مصدر تلك الرائحة القوية التفت خلفه ببطىء فما زالت الثمالة تعتريه فسقطت عينه على البار تفاجأ أن المقهى أصبح خالى من الزبائن عدا هو .. بحث عن النادل فوجده جالس على إحدى الطاولات ينبع من فنجانه الصغير تلك الرائحة الجميلة.. أمعن النظر إلى النادل حين تراه تعلم جيدا أنه ليس بريطانى الجنسية ؛ عينان واسعتان سوداوتان مهدبتان ووجه خمرى صغير الملامح قامته متوسطة الطول وجسده يافع ذو لياقة قوية يوحى بأنه يمارس الرياضة كثيرا ..مد النادل يده إلى فنجان القهوة أرتشف منه رشفة ووضعه مكانه ، تعجب فى نفسه أنه لم يغلق حسابه معه إلى الآن بل أخذ طاولة مجاورة وبدا يكتب.. يبدو أنه فى الدراسة أو ربما يكتب جوابا لشخص ما فهو لا ينقل من شىء وإنما مستمر فى الكتابة ينتقل من سطر لآخر فى سلاسة كأنه يدون شىء يحفظه عن ظهر قلب ، فجأة قلب الصفحة وأرتشف رشفة من القهوة.. بدأ يكتب لكن أوقفه صوت الأمطار التى بدأت بالهطول فى الخارج للحظات ثم عاد وأكمل كتابته , راقبه فى هدوء تام وعناية فائقة ..ظل النادل يكتب وملامح وجهه تتقلب من آن لآخر تظهر ما يكتبه من حزن تارة وفرح تارة أخرى يبتسم للحظات ثم يقطب جبينه غاضبا يبسط أصابعه للإمساك بيد أحدهم ثم يضغط على قبضته بقوة كأنه على وشك أن يلكم أحدهم فى وجهه .. تدمع عيناه فيحاول التماسك وتارة يبتسم ابتسامة يائسة أو ساخرة ! ، ما تلك العلامات يا(ماك)؟! تسائل فى نفسه هل هذا النادل مخبول أم أنه يكتب يومياته؟! وما واجهه اليوم فى المقهى، فربما ضحك لإمرأة وربما أحكم قبضته حين أشعل أحد الزبائن غيظه وربما بكى لأن مدير عمله نهره بعنف لإثارة غضب زبون ما ولإرضاء الذبون الذى لا ينوى خسارته قام بخصم جزء من راتبه الضعيف..تنهد قائلا لا شىء مثير فى حياة ذلك النادل إلا نوع تلك القهوة التى أثارت عقلى وريقى ..ارتشف النادل آخر قطرة من القهوة ثم التفت فجأة بإتجاه (ماك) الذى شعر

بالحرج واعتدل فى جلسته موجها ظهره له ..لكنها دقائق حتى تفاجأ به أمامه يحمل فى يده الفاتور بابتسامه وصفاء عقل ينعكس على وجهه قائلا بإنجليزية ركيكة : الحساب ياسيدى ، أدرك (ماك) أن استنتجاته على حق فالنادل لا يعود لأصل بريطانى ومن المؤكد أن جميع استنتاجاته محقة أيضا.

أخرج محفظته من معطفه.. نظر إلى الفاتورة يرى الحساب ثم أخرج الأموال وأخبره أن يحتفظ بالباقى لنفسه فبالتأكيد هو بحاجة لذلك البقشيش لتعويض ما فقده من راتبه.. خرج يترنح من أثر الثمالة .. ركب سيارته وانطلق كانت الرؤية ضبابية من المطر بالكاد استطاع القيادة حتى وصل إلى منزله بأمان ، دخل إلى مأرب سيارته وأغلق خلفه المأرب تلقائيا , أغلق سيارته وهم بفتح الباب المؤدى إلى داخل المنزل لكنه تراجع فجأة فما زال فمه يفوح برائحة الكحول إن رأته (أليكس) هكذا فتسوء حياته أكتر ، عاد إلى سيارته وأغلق أنوار المأرب حتى لا تكتشف (أليكس) مجيئه وفضل النوم بسيارته وفى الصباح يخبرها أنه قضى الليل بالخارج يبحث عن حكاية من حياة الناس يكتبها ، أغمض عينيه وغط فى نوم عميق جاهلا أن (أليكس) تنتظره منذ خروجه وقد رأته قادم من زجاج شرفتها ، جلس (ماك) يعاتب نفسه عما وصل إليه , أجهش بالبكاء متحسسا سيارته من الداخل فعاجلا سيبيعها وستكون نهايته فى شقة صغيرة تشبه غرفة الفئران يقضى فيها ما تبقى من حياته إلا أن يأتى الموت ويحمله ، ظل يبكى إلا أن فجأة رأى نفسه يقف فى صحراء جرداء كبيرة لا تدرك عيناه أولها من آخرها.. التفت حوله كالمجنون متسائلا بينه وبين نفسه أين هو ومن الذى أتى به إلى هنا ؟! ظل يمضى فى الطريق باحثا عن مرشد يدله على الطريق أو يخبره أين هو لكنه ظل يمضى إلى أن أنهكه العطش حاول ابتلاع ريقه لكنه جافا للغاية ..فجأة رأى نبتة صغيرة مترعرعة وسط تلك الرمال الكثيفة ..اقترب منها لإقتلاعها والإستفادة منها لكن شىء ما أوقفه ، تلك النبتة غريبة الشكل لم يرى مثلها من قبل.. فجأة

هبت عاصفة قادمة إتجاهه.. خاف وارتعب وهم بالنهوض هاربا ..ابتعد عدة خطوات لكنه توقف وعاد إلى تلك النبتة التى ستجرفها العاصفة فى طياتها وتقلعها من جذورها أو ستردمها الرمال ، أسرع وحاول مد يده للوصول إلى جذورها لخلعها لكن العاصفة اشتدت فأحاطها بكفيه وارتمى عليها بجسده لحمايتها والتشبث بها لكى لاتجرفه العاصفة، فجأة هدأ كل شيء واختفت العاصفة ،تعجب أن العاصفة اختفت بمجرد أن احتضن تلك النبتة الزاهية نظر إليها فوجدها أزهرت زهرة صغيرة بدأت الرؤية تشح فى عينه والعطش يشتد به إلى الدرجة التى نطق فيها لسانه بطلب الماء فجأة شعر بابتلال شفتاه بالماء استفاق على طعم الماء البارد يسكب فى فمه , فتح عينه ينظر الساقى فكانت (أليكس) اعتدل فى جلسته خائفا لكنها رفعت كوب الماء على فمه ليشرب حتى انتهى قائلا بصوت حزين مملوء بالحرج والخزى : أسف يا (أليكس)... لم تبدي أى غضب أو انزعاج بل احتوته بذراعيها فمضى يبكى كطفل صغير لوقت طويل حتى هدأ تماما ، ساعدته على النهوض وقد أعدت حمام دافيء فخلعت له ملابسه وأجلسته فى مسبحه كانت تجلس (أليكس) على طرف المسبح تتناوب الماء الدافيء بيدها وتسكبه على جسده ، محنى الظهر ذليل الرأس لا يجرؤ على رفع عينه بعينها لم يود أن تراه (أليكس) بتلك الحالة أبدا، توقفت (أليكس) عن سكب الماء شعرت أنه بحاجة ماسة إليها وإلى ممارسة الحب الذى امتنع عن ممارسته منذ أشهر طويلة ..انضمت إليه داخل المسبح وخلعت ثيابها المبتلة وألقتها بعيدا وبدأت بتقبيله حاولت تحويل تلك الأجواء الكئيبة إلى أجواء مفعمة بالعشق والشغف أوقفها قائلا : عزيزتى ..

قاطعت حديثه بوضع أصبعها على فمه قائلة : ششش لا تفسد حياتنا ولحظاتنا بأفكارك التى لا أحب الجانب المظلم منها، قامت بتقبيله فامتزج معها قاضيين وقت حميما طيبا

****

استمر مؤشر الكتابة ينبض على الصفحة البيضاء تنقلت عينه من السهم إلى الساعه كانت قد مرت نصف ساعه لم يكتب حرفا واحدا بعد.

حاول بجهد أن يولد الأفكار من عقله ليكتب الحلقة الثانية من روايته استمر سمهم الكتابة ينبض ينتظر أن يكتب به شيء لكن لا شيء فى عقل فقد مضت عدة أيام لم تزوره تلك الصغيرة فى أحلامه تكمل له حكايتها ..سحقا لن يصدق أحد أن ما يكتبه هى أحلام تتردد عليه من كل ليلة وأخرى ،حاول الاسترخاء كفرس يعدو وضع يده على وجهه للحظات يفكر فجأة انتفض من الكرسى وارتدى معطفه ثم ركب سيارته وأسرع بها حتى وجد نفسه يقف أمام ذلك المقهى مجددا , ركن سيارته أمامه ثم دخل , وجد أن الزبائن قليلة والطاولات شبه فارغة تتضمن الطاولة التى جلس عليها سابقا بجوار النافذة ، جلس بجوار النافذة ينظر إلى الخارج لابتسامات الناس وملامحهم يحاول اقتباس قصة منها لكن ملامحهم صماء لا تتحدث عن مكنوناتهم بدأ يكتب بضع كلمات ثم يشطبها ويقطعها لتنضم إلى باقى الأوراق المقطعة أمامه ، يكتب من جديد ثم سرعان ما يمحيها أيضا ويقطع الورقة فى عنف ويلقيها أمامه على الطاولة ، تقدم النادل حاملا إليه كوب من القهوة رفع حاجبيه متعجبا من تلك الأوراق المكورة المبعثرة التى سقط البعض منها على الأرض، وضع النادل كوب القهوة بعد أن أزاح عدة ورقات جانبا لإخلاء المكان لوضع الكوب ثم أسرع بإحضار سلة قمامة صغيرة وبدأ بتنظيف الطاولة والتقاط تلك الأوراق المبعثرة ثم غادر دون أن يبدي أى تعليق عما حدث تعجب (ماك) لهذا النادل واتبعته نظراته فلعله يقتبس من ملامحه قصة من حياته يكمل بها روايته ، لكن الكلمات كانت تهرب منه فقد نفذ مخزونه الأدبى وجف نبع كلماته ، أرخى ظهره للخلف فى محاولة للإستمتاع بقهوته وكلما ارتشف منها رشفة كان لا ينفك أن ينظر فى السائرين حتى أصبح عقله مثل الرادار يحاول إلتقاط القصص من حياتهم فجأة تحول هدوء الطقس إلى عاصفة رعدية

غزيرة المطر ظلت العاصفة مستمرة لعدة ساعات كذلك هو ينتقل من ورقة إلى أخرى فجأة وجد يده تكتب..

فى ليلة عاصفة كليلتى تلك وجدتك أمامى لا أدرى من أنت؟ ولا من أين جئت؟ ملامحك لا تشبه وطنى ولسانك لا يتقن لغتى ولا أتقن لغته... أوقف القلم لحظات لا يدرى عن من يتحدث! إلى ما تؤل إليه تلك الكلمات أنها فقط كلمات نبعت من داخله من عقله الفارغ لكن إن استمر هكذا ربما سيملىء الدفتر بمثل تلك الأغاز التى لا تهدى إلى شىء، نظر إلى ساعته فوجد الوقت قد مضى سريعا قام بالنظر إلى الزبائن بالمقهى لعله يجد فيهم ما يريد لكن ما أثار دهشته أنه الوحيد المتبقى فى المقهى كالليلة السابقة ، فالجميع غادر مبكرا خوفا من إزدياد العاصفة ولم يبقى سوى هذا النادل الذى أعد قهوته ذى الرائحة المنعشة كالسابق جالسا فى مكانه المعتاد يكتب صفحات وصفحات ويقلبها فتتغير ملامحه كالسابقة بين غاضب وضاحك وصرامة شديدة، تعجب من هذا النادل محدثا نفسه بأن تلك التقلبات بوجهه لا توحى إلا بشىء واحد ربما هو يؤلف رواية بالتاكيد هو من الكتاب الشباب الذين ملأو عالم الأدب بقصص الرعب والفانتازيا أو قصص الحب، اعتدل فى جلسته أحكم يده على قلمه فى حزم وبدأ يفكر فلدى هذا النادل ما يكتبه ويملاء عقله وأنا لا أستطيع أن أكتب جملة واحدة ,ربما كانت (أليكس) على حق.. ربما خوفى من مرور الوقت سريعا لإنتهاء العقد هو ما جعلنى متوتر ولا أستطيع كتابة شىء ..ربما على أن أتجه إلى القراءة بعض الوقت فتنعش فكرى وتزيل هذا القلق الدائم فى نفسى ..وقف يعد نفسه للرحيل تفاجأ بالنادل أمامه يحمل الفاتورة فى يده ازداد خيفه من وجوده المفاجىء كل مرة حوله ، ظن بعقله أنه أحد الجواسيس لأحد الكتاب أو ربما ينقل ما يفعله ل(روى) لكنه نفى تلك الفكرة عن عقله تماما فهو بالكاد يستطيع التحدث بالإنجليزية وربما هذا النادل الشاب مهاجر غير شرعى ،فلا ينفك أن ترى بريطانيا يلجأ إليها العرب هاربين شحاذين بعد أن قام حكامهم بالطغيان عليهم ورفض بعض الدول العربية المجاورة لهم من استقبالهم

كلبنان .وضع يده بجيبه وأخرج المبلغ وكالعادة ترك البقشيش له تلك المرة تعاطفا عليه وعلى أسرته التى تنتظر مجيئه بفارغ الصبر.

خرج من المقهى , كان المطر يشتد غزارة كل دقيقة عن سابقتها , ركض إلى سيارته مسرعا قبل أن يغرقه المطر أدار سيارته لكنها تعطلت فجأة حاول مرارا لكن لا جدوى نزل من السيارة ليتفقد المحرك لكنه لم يفهم فيه شيء اشتد الجو سوءا ، أخرج هاتفه المحمول ليتصل بزوجته لكنه فوجيء أن البطارية فارغة لم تمهله دقيقة واحدة ليجرى إتصاله وأغلق الهاتف لم يجد سبيل إلا الدخول إلى المقهى ليجرى إتصاله بزوجته (أليكس) ليطمئنها عليه ويخبرها أن تأتى لإصطحابه إلى المنزل بسيارتها..

دخل إلى المقهى فى حرج أن يكون سبب قلق للنادل أو تأخيره عن العودة إلى منزله ، دخل المقهى باحثا عنه لكنه لم يجده حيث كان ، وجد فنجان القهوة الذى أثارت رائحتها إعجابه كالسابق.. ساخنا كأنه أعد للتو وبجواره وجد مجموعة أوراق صفراء قديمة اقترب منها بشغف القارىء والكاتب

وألقى نظره يقرأ محتواها لكنه لم يفهم ما كتب مد يده على إحدى الأوراق يتفحصها بدقة لكنها لم تكن مكتوبة بالإنجليزية ! عجبا أنه لم يلاحظ إتجاه يد النادل فى الكتابة فأكثر ما كان يتأمله هى ملامحه المتقلبة ، حاول بعقله أن يتذكر أين رأى تلك الحروف من قبل , ظل يفكر لكن انقطع تفكيره حين وجد على أصابعه أتربة فتعجب كيف للأوراق يكتب عليها الآن أن تحمل ذلك الكم من الأتربة الكثيفة ولما تلك الأوراق صفراء للغايه كان قد مضى عليها عقود وأزمنة فلا شك أنها أوراق عتيق فجأة أفزعه صوت النادل الشاب من خلفه يسأل هل أستطيع مساعدتك يا سيدى؟!

أجابه متوترا : اه آسفة لتطفلى ولكن سيارتى معطلة وبطارية الهاتف فأرغه أريد هاتف اتصل منه بزوجتى لتصطحبنى

أشار إلى الهاتف الخاص بالمقهى قائلا : هناك ياسيدى

اتجه إلى الهاتف لكن أوقفه النادل ممسكا بذراعه , نظر إليه (ماك) بتعجب فنظر النادل إلى ما يحمله (ماك) .. نظر إلى موضع نظر النادل فاندهش أنه مازال يحمل الأوراق فى يده دون إدراك أن يعيدها لمكانها فأسرع بالإعتذار مبررا أنه لم ينتبه مد النادل يده فأخذها منه دون كلمة.

رفع سماعة الهاتف وبدأ بالإتصال وأثناء ذلك كان يسترق النظر إلى النادل الذى عاد لكتابته وكان لم يعكر صفو أفكاره شىء , رن الهاتف مرات عديدة لكن زوجته لا تجيب أغلق الهاتف واتصل مرة أخرى لكن كانت النتيجة واحدة , أغلق الهاتف واقترب من النادل قائلا فى حرج مما حدث سابقا : يبدو أن زوجتى تغط فى نوم عميق فهى لا تجيب على الهاتف ،قضب النادل جبينه قائلا بصوت صارم : ربما هناك خطب ما فى الإتصال بسبب الطقس ..

أردف قائلا : سأضطر إلى المكوث فى السيارة إلى أن ينتهى المطر ،لم يعبأ النادل لما يقول فأدرك أن النادل مازال فى نفسه شىء لتطفله على خصوصيته, تقدم نحو الباب للمغادرة كاد أن يفتح الباب حتى أردف النادل قائلا : بإمكانك أن تجلس هنا فى الدفىء ، تردد (ماك) خائفا أن يكون حملا زائد عليه لكن النادل طلب منه أن يمكث معه وسيعد له فنجان من القهوة مجانا، جلس على نفس الطارلة حيث يكتب النادل الشاب ..لمس الأوراق مرة أخرى تلك الأوراق لها عبق غريب شم رائحتها فكانت لها رائحة تشبه الدخان وكأنها التقطتت من وسط الحرائق !لا يميزها شىء آخر امتدت يده إلى كوب القهوة الذى يحتسيه النادل وقد كان كما هو لم يلمسه النادل بعد، رائحته ذكية فقام برشفها

فاستلذ طعمها , رشف الرشفة الثانية وهكذا حتى أنهى القهوة ، فسأله النادل قائلا : هل أعجبتك يا سيدى ؟

انتفض (ماك) فلم يشعر بقدومه فقدم اعتذاره مبرر رائحتها الذكية التى لم يستطيع مقاومتها ثم اعتذر على تطفله الزائد وسأل كم يبلغ ثمن القهوة ليدفعه.

هز النادل رأسه رافض فكرة الدفع وقدم ل(ماك) كوب القهوة قائلا : هذه قهوة عربية أحضرتها معى من وطنى مختلفة كثيرا عن القهوة البريطانية لكن مزاقها رائع.

تعجب (ماك) فهو عادة لا يحب العرب ولا قوتهم المزعومة فى إيمانهم بإله يتركهم مشردين كالحيوانات، لكن رغم ذلك يعطف على البعض منهم بصفته الإنسانية لكن بعض أعماله لا تخلو من ذكر الإرهاب الذى اتخذوه دينا رغم إزعامهم إنه يدعو للسلام ومعاناة الشعوب من تلك البدائية التى تتبناها أموالهم وبترولهم المتفاخرين به لكن سرعان ما سينفذ ويتحولون إلى رعاة أغنام حفاة الأقدام مرة أخرى وذلك التشرد الذى يعانون منه الآن هو الخطوة الأولى للعودة لبدويتهم فلا يكفى تلك الدعاه أمثال (ذاكر نايك)الذى يزعمون الدعوة لهذا الدين الذى يتقنع بإسم السلام لإنتشار الإرهاب إلا أن قامت بريطانيا بمنعه عن الدخول لأراضيها فترة منعا من إلقاء محاضراته التى يعلن فيها ألاف من الشعب البريطانى إسلامه لكن عليه التأكد أولا إن كان الشاب يتبع هذا الدين أم لا؟.

سأل (ماك) بلسان متثاقل : أنت عربى ..مسلم؟!

ابتسم الشاب قائلا وقد فهم ما يرمى إليه : أجل أنا عربى مسلم .لكن ياسيدى لست كما يدور فى عقلك.

اندهش لبداهة الشاب يبدو أنه يواجه الكثير ممن يفكرون بعقلية (ماك) لكنه أراد أن يشبع فضوله متسائلا : هل تكتب خطابا لعائلتك؟، لكن الشاب لم يجيبه وعاد إلى كتابته، ظن أن الشاب لم يسمعه جيده فغير سؤاله سائلا: هل تجلس هنا مع أسرتك أم أنك تركتهم فى وطنك؟

توقف الشاب عن الكتابة ونظر إلى النافذة حيث المطر المتساقط , كان يراها نيران متساقطه وهو يحرك القلم بين أصابعه قائلا : جئت هنا وحدى مازالت أسرتى فى وطنى لا أعلم عنهم شيئا.. إن كانوا أحياء أم أموات لكننى أعمل هنا ، صاحب المقهى سمح لى أن أعيش هنا.. يريد تخفيف أعباء النفقات عنى.. شعر (ماك) بالحرج أن تلك الأفكار السيئة التى تملأ عقله عن العرب والمسلمين يقف ضدها عقلا آخر يحمل أفكاره الإيجابية عن هؤلاء الناس ودينهم ويقوم باحترامهم وائتمانهم على أمواله وممتلكاته.

هز رأسه متفهما لكن هناك سؤال يحير عقله فتجرأ متسائلا : ما الذى تكتبه ؟ أنا لا أفهم تلك اللغة هل هى العربية؟

هز الشاب رأسه إيجابا قائلا فى صرامة : يجب أن أدون شىء ما هام يا سيد (أرثوفيتش)

فوجىء (ماك) متعجبا كيف علم أنه السيد (ماك أرثوفيتش)؟!

سأله وعلامات التعجب تملأ وجهه : هل تعلم من أنا ؟هل أنت من الكتاب الجدد ؟ أتقوم بمراقبتى ؟!

كان الشاب هادئا متجاهلا تلك التساؤلات لكن بعد برهة قرر الإجابة فابتسم الشاب ابتسامة باردة أثارت دماء (ماك) فى أوردته قائلا: أنا لم أراقبك ولم آتى إليك بل أنت من جئت إلى باحثا عنى ،تعجب (ماك) مما قيل فأكمل الشاب قائلا : أنا أعمل هنا وأنت من جئت لتحتسى القهوة فمن أتى إلى الآخر ياسيد (أرثوفيتش)؟ بدأ (ماك) مصدوم بعض الشىء

لا يعرف ماذا يتوجب عليه فى الإجابة اقترب وجه الشاب منه محاولا النظر فى عين (ماك) الحائرة قائلا: سيد(أرثوفيتش) أنت من مشاهير الكتاب أكاد لا أدخل مكتبة حتى أجد أعمالك تغمر تلك الأرفف , أنا من أشد المعجبين بك وأتمنى عما قريب أن أصير مثلك.

تلألأت الدموع فى عينيه واقشعر جسده إحساس رائع أنه مازال يسمع اسمه بين القراء فى تلك المعركة الضارمة للإبقاء على اسمه , تنهد بحرية ردت تلك الكلمات الأنفاس إلى صدره والثقة فى نفسه مجددا، ربما لم تول أيامه وما يحدث له من أزمة مجرد السقوط الذى يسبق التحليق عاليا فى سماء الإبداع كالسابق.

نظر إليه (ماك) وعقله غارق فى بحر اسئلة

هل قرأ هذا الشاب أعماله التى أوضح فيها أن حياتهم لا تستحق أن تكتب ؟! هل قرأت جميع أعماله؟ لكن الشاب أخبره أنه لا يهم أن يقرأ جميع مؤلفاته إنما الأهم ما سيؤلفه السيد أرثوفيتش قريبا وينتظره القراء ،ساد الصمت الأجواء قليلا ثم أردف الشاب قائلا : أرجح أنك خرجت فى ذلك الوقت تبحث عن شىء ما ، أثار ذكاء الشاب إعجاب (أرثوفيتش) ثانيا الذى أعقب قائلا : ما الذى يجعل كاتب عظيم مثلك يمضى خارجا فى ذلك الوقت وذلك الطقس البارد إلا إذا كان يبحث عن شىء ما بعد أن فقد هذا الوحى الذى يلهمه الأفكار لعمله القادم أو فقد مصدر كتاباته ومضى يبحث عن آخر

قضب (ماك) حاجبيه قائلا فى تعجب: ماذا تقصد؟

تنهد قائلا: جميع الكتاب لديهم مصادرهم الخاصه, البعض يستلهم مصدره من آلام الناس وأحزانهم والبعض يقلد وينقل فقط كل شىء مع اختلاف طفيف للأسماء أو الأحداث والأخرون لا يكتبون سوى أسمائهم

فقط على أعمالهم المنشورة ..لكن أى مصدر يعتمد عليه السيد (أرثوفيتش) فى كتابة أعماله ؟

اندهش (ماك) عندما شعر فى كلام الشاب تلميحا غير مقبول رافعا حاجبيه قائلا فى غضب: أنت أحمق إن فكرت أننى ممن يضعوا أسمائهم على أعمال لم تكتب بأيديهم أو تولد من عقولهم.

ابتسم قائلا بصوت عالى : لا داعى للغضب أنا فقط أسأل ولكن أتسائل هل يستطيع السيد (أرثوفيتش) استكمال أحداث الرواية التى يؤلفها الآن أم أنه حائر؟ تبدو حيرتك فى الحلقة الأخيرة ، تحاول استرجاع ذكريات من الماضى وتدونها كرواية من تأليفك ، تعجب (ماك) من رد فعل الشاب الذى عاد للكتابة بسرعه كان قلمه يتسابق مع عقله خوفا من فقدان ما يدور به فقد كلماته , فلم يدرك ما الكلمة المناسبة لتلك اللحظة هربت الكلمات من عقله وانعقد لسانه لا يدرى ما به وكأنه فى متاهه ..هم بالرحيل التفت واقترب من باب المقهى أوقفه الشاب قائلا بأن الجو مازال ممطر ولا يجب عليه الخروج الآن , تجاهل كلام الشاب وقام بفتح باب المقهى لكنه تردد قليلا وأعاد إغلاقه , اندفع (ماك) يسأله فى غضب: هل أنت جاسوس لأحد الكتاب؟ ..أظنك أحد جواسيس السيد (جوزيف أرت), هز الشاب رأسه متعجبا ورفع حاجبيه قائلا : لكنى ياسيدى السيد أرت لم يأتى للبحث عنى ..السيد أرت لديه مصادره الخاصه التى يهتم بها ، لكن هل مازال السيد (أرثوفيتش) عاجز عن إيجاد مصدر آخر لإكمال روايته؟

زاد غضب (ماك) ورحل فى الحال لم يستطيع الإنتظار فى سيارته فحمل نفسه على الذهاب للمنزل تحت الأمطار الغزيرة والغيظ يكسو قلبه دخل إلى المنزل حيث أبقت مياه الأمطار على أثار قدميه فى المنزل , خلع معطفه وألقاه جانبا فى غرفة المكتب , فتح جهازه وبدأ يفكر.. مازالت مؤشر الكتابة ينبض على الصفحة البيضاء ينتظر أن يتحرك بحرف لكنه استمرت فى نبضه لساعات حتى أشرقت السماء

على (ماك) وهو مازال راخيا جسده على كرسيه واضعا يده تحت ذقنه منتظرا أن يأتى عقله بفكره ما ليكمل ما بداه ،فجأة دخلت عليه زوجته متسائلة هل قضى الليل كله فى كتابة عمله الجديد ؟وهى تلتف بذراعيها لإحتضانه كالعادة ألقت نظرة خاطفة إلى ما كتب لكنها وجدت صفحة خالية , أصابها الإحباط كثيرا وتيقنت أن تلك ستكون النهاية حتما لكنها لم ترغب فى إظهار مشاعرها اليائسة فسرعان ما ابتسمت متظاهرة بجهلها لما رأت وتجاهلها لسؤالها الذى لم تسمع إجابة له ، قبلته وأخبرته أن يستعد.. ستحضر له الفطور، غادرت وهو مازال يفكر لكن يبدو أنه لم يفكر فى قصة لإستكمال حلقاته بقدر ما كان يفكر فى ذلك الشاب , فتح الدرج ليأخذ قداحته وسيجارة لكنهما اختفيا قام بالبحث عنهما فى جيوب معطفه لم يجدهما فتيقن أنه قد نسيهما فى المقهى أمس

على مائدة الإفطار , كان الأمر هادئ للغايه فجأة مدت (أليكس) يدها إليه بظرف صغير قائلة: أحدهم أرسل لك هذا اليوم , مد يده ليفتحه فوجد القداحة والسجائر ومعهما ورقه مكتوب فيها : لقد نسيت القداحة والسجائر..بالمناسبة لقد أرسلت السيارة للإصلاح أنا بإنتظارك سأحضر لك كوب من القهوة التى أحببتها.

تنحنح (ماك) ونظر لزوجته التى بدا عليها الغضب المكظوم وقد أدرك ما يجول فى فكرها فبالتأكيد قرأت تلك الرساله وتظن أنها من إحداهن قال وهو يحتسى كوب القهوة: لقد قضيت الليل فى المقهى ونسيت أشيائى هناك.

نظرت إليه فى تشكك من صدق قوله قائلة : إفعل ما يحلو لك.

نهضت دون إكمال فطورها وحملت حقيبتها لتغادر ثم توقفت قائلة: سأقضى هذا الأسبوع فى منزل والدتى

تعجب متسائلا لماذا ؟ هل هناك خطب ما؟!

أجابت باستنكار قائلة : يبدو أن هناك ما يشغل بالك كثيرا حتى تناسيت موعد زفاف أختى الأسبوع القادم ثم التفتت مغادرة كانت حركتها العصبية تخبره مدى الغضب الذى وصلت إليه رغم محاولاتها لكبحه ، غادرت (أليكس) تاركة اليأس يدب فى نفسه فلم يعد فى عقله مكان للتركيز اتجه إلى غرفة المكتب ما إن فتحها حتى تسمر بنظره إلى مكتبته العظيمة التى تشغل جدران الغرفة الممتلئة بشتى أنواع الكتب المتنوعة بين سياسية وتاريخية وجغرافية ودينية وبالمؤلفات الأدبيه المتنوعة لأشهر الكتاب , وضع يده فى خصره متسائلا فى يأس :ألا يوجد فيكم من يلهم هذا العقل الذى صدأ !!؟

ألقى بنفسه على الأريكة التى تتوسط غرفة المكتب وألقى الظرف بجواره على الطاولة الصغيرة ظل يتلاعب بقداحته يشعلها ثم يطفأها يشعلها ثم فجأة أطفأها حين تذكر أنه لم يخرج قداحته أو سجائره فى المقهى لقد كانتا فى جيب معطفه طوال الوقت !! تردد فى ذهنه ما حدث أمس لكن ما أثار انتباهه بجدية ما أخبره به الشاب حول السيد (جوزيف أرت) حين تردد على مسمعه أن لديه مصادره الخاصة التى يعتنى بها ، ماذا يعنى بذلك؟! كانت تلميحات الشاب وطريقته فى الحديث تخبره أن (السيد جوزيف أرت) لديه ... هل يعقل؟! اشتعل الفكر فى رأسه غير مصدق أن ما دار بعقله صحيح انتفض مسراعا إلى ارتداء ملابسه والذهاب إلى المقهى لكنه تذكر أن الشاب ينتظره فى المساء ظل منتظرا إلى أن حل المساء وانتفض إلى المقهى ما إن فتح باب المقهى حتى فوجىء بالشاب يقف متأهبا بإنتظاره حاملا فى يده فنجانا من القهوة العربية واليد الأخرى مفتاح السيارة ، تسمر مكانه ومد يده أخذ الفنجان والمفاتيح وقام بوضعها فى جيبه ،أسرع الشاب إلى موضعه على الطاولة بين أوراقه دون كلمة ظل (ماك) متسمرا مكانه فأخبره الشاب أن يسرع لشرب القهوة قبل أن تبرد ..قال (ماك) فى حنك: لم آتى إلى هنا لإحتساء القهوة وإنما جئت لأسألك عن أمر ما , التفت إليه الشاب فى اهتمام تردد (ماك) قليلا وبدا عليه التوتر من

اهتزاز الفنجان فى يده فتركه على الطاولة متنهدا قائلا: ما الذى كنت تشير إليه بشأن مصادر السيد أرت؟ هل لديه كاتب ظل؟، بدا البرود على ملامح الشاب واعتدل فى جلسته قائلا : إن علمت أن لديه كاتب ظل ..هل ستبحث عن أحدهم لك؟ قال (ماك) باندهاش: من هذا الكاتب ؟

- لا أدرى فمؤلفات السيد (أرت) غير ثابتة , الأسلوب أو المحتوى دائما يختلف أسلوبه من عمل إلى آخر كأنه يستبدل فى كل مرة كاتب ظل مختلف ..ألا تتفق معى؟

جلس (ماك) مصدوم مما سمعه بأذنه فكثيرا ما كان يلاحظ هذا التغيير الكبير فى أسلوب (أرت) صديقه الذى تحول إلى عدو، لاحظ الشاب وجه (ماك) المتجهم مسك الشاب أرواقه قائلا : ليس كل كاتب يستعين بكاتب ظل أمر سيء فأحيانا يكون ذلك بمثابة زورق نجأه لكلا الطرفين فما بين يدى أوراق احتضنت ما يعانيه شعبى ووطنى وما لقيته حتى جئت إلى هنا لكن سيكون مصيرها النسيان إن لم يتبناها كاتب مثلك.. مد الشاب يده بالأوراق قائلا: هل ترغب بتبنى تلك الرواية؟

انتبه (ماك) إلى الشاب فانتفض غاضبا : هل جننت أتعتقد أن مثلى يهتم بتلك السخافات التى تكتبها عن وطنك وشعبك !؟ ما الذى قد يكون مهما فى تلك الحياة البائسة التى يعيشها شخص مثلك فى وطن إرهابى انقلب عليه قادته المراعين للإرهاب فى العالم ؟أنتم تذوقون بعض أفعالكم لا عجب أن العالم يكرهكم.

تسمر الشاب وقد اعتلى وجهه الحزن العميق ألقى بأوراقه على الطاولة قائلا: سيد أرثوفيتش أنا لم آتى إليك للبحث عنك بل أنت من بحث عنى، امتعتض وجه (ماك) ناكرا عليه الحديث معه بالألغاز لكن الشاب ابتسم فجأة قائلا : لا عليك بكلامى ..لكن فيما يخص وطنى وشعبى وما وصل إليه فلا أظنه يستحق ذلك كما أظن أنك لا تستحق ما توصلت إليه.. تضائل مبيعاتك ونجمك الذى كاد ينطفىء نهائيا ، قبض (ماك) بقوة

على رقبة الشاب قائلا بغضب : كيف تجرؤ؟! ،كاد الشاب أن يختنق مبررا قوله قائلا بصوت يكاد يفهم : لا أقصد الإساءة لكنك تحتاج للمساعدة دعنى أساعدك دفعه (ماك) بعيدا فارتطم بالأرض ثم غادر غاضبا.

أسرع (ماك) إلى منزله يزمجر صابا غضبه على أوراقه التى تحيط بمكتبه فأطاح بها على الأرض كانت أنفاسه تتضارب فى صدره حتى كاد يقف قلبه فألقى بنفسه على الأريكة يلتقط أنفاسه , يحاول استيعاب ما حدث للتو كيف انحدر به الحال حتى يتلاعب به شاب صغير يكاد لا يقترب من نصف عمره حاول التماسك لألا يبكى لكنه انفجر باكيا

***

استفاق على صوت الهاتف يرن, ظل يبحث عن الهاتف أين وضعه؟ فوجده ملقى على الأرض فالتقطه ليجيب لكن الإتصال , انتهى قبل أن يجيب , بحث عن المتصل فوجده رقم غير مسجل لم يعبأ له وقام بغسل وجهه وتحضير إفطاره ..عاد الهاتف إلى الرنين فالتقطه قائلا : مرحبا.. لكن لم يجيبه أحد ظل الهاتف مفتوحا حاول الإستماع إلى شيئا لكن لم يكن سوى صوت أنفاس ..تسمر مكانه لبرهة متسائلا : ويتنى؟! هل هذا أنت؟! فجأة أغلق الخط.

تعجب من الأمر ثم ترك الهاتف بالجوار فجأة عاد الرنين مرة أخرى , أجاب بشغف لكنها كانت (أليكس) تتصل به للإطمئنان عليه سألته إن كان يتحدث مع أحد ما فقد اتصلت عدة مرات وكان الهاتف مشغولا , أخبرها أن أحدهم اتصل به لكن لا يعلم من هو فلم يجيبه أحد ، لم تعبأ (أليكس) بذلك وأخبرته أنها وأسرتها سيكونان بانتظاره الليلة على الغداء، لكن تحجج أنه عليه الذهاب لإحضار سيارته فى ورشة الإصلاح اليوم لا يعلم إن استطاع المجىء أم لا ..لم تغضب (أليكس)

فهى تعلم عادة (ماك) فى الانطواء بعيدا عن الجميع فأخبرته أن يعتنى بنفسه ولا ينسى الاتصال بها للإطمئنان عليه.

هم بتجهيز نفسه لإحضار سيارته , وضع يده فى جيبه فلم يجد مفاتيح سيارته ! ظن أنها سقطت من معطفه فى غرفة المكتب كالهاتف ,ظل يبحث عنه فى غرفة المكتب فلم يجده فبحث عنه فى كل مكان حتى حديقة المنزل لكنه لم يعثر عليه فاضطر أن يذهب إلى المقهى للبحث عنه فبالتأكيد سقط منه هناك أثناء نزاعه مع الشاب ، ذهب إلى المقهى ما إن دخل حتى وجد المقهى ملىء بالزبائن , يقف على البار.. نادل آخر يبدو فى مثل عمر الشاب تقريبا بدأ يبحث على الأرض يمنة ويسرة عن المفاتيح فأوقفه النادل متسائلا ما الذى يبحث عنه،فأخبره وهو مستمر بالبحث يمنة ويسرة أنه أضاع مفاتيح سيارته هنا أمس

سئله النادل : متى كان الوقت حينها

- أظن الواحدة صباحا

ابتسم النادل قائلا : آسف ياسيدى لكن يبدو أن هناك خطأ ما ربما أخطأت فى المقهى ؛ فالمقهى يغلق فى الثانية عشر فصاحب المقهى المستر راموس مريض وأقوم أنا وماريا بإغلاق المقهى للإعتناء به.

عقد (ماك) حاجبيه متعجبا قائلا : ماذا؟! لا يمكن أن أكون أخطأت العنوان أو يكون ما حدث هذيان عقل فمذاق تلك القهوة التى احتسيتها أمس مازلت اتجرعه فى فمى إلى الآن، خرج (ماك) وألقى بنظره إلى عنوان المقهى ربما قد أخطأ لكنه نفس المقهى لا شىء آخر ، بحث عن سيارته بالخارج فلم يجدها فتسائل من الذى أرسل سيارته إلى الورشة لتتصلح؟! دخل إلى المقهى وأخرج من جيبه الجواب متعصبا على الشاب قائلا : هذا الظرف أتانى منكم , أرسلتم إلى أغراضى التى نسيتها هنا من قبل , هز الشاب رأسه نافيا قائلا :

سيدى يبدو أنك أخطأت, أنا آسف نحن لم نرسل لك شىء بإمكانك أن تسأل ماريا.. اقتربت ماريا حين رأت زميلها يشير إليها متسائلة ما الأمر ؟

أخبرها (ماك) أنهم أرسلوا له هذا الظرف سابقا بأغراضه التى نساها من قبل لكنه فقد مفاتيح سيارته بالأمس هنا ،هزت ماريا رأسها بالإيجاب أنها بالفعل قد أرسلت ذلك الظرف لكن لم ترى من وضعه فحين فتحت المقهى صباحا وجدته على البار مرفق بالعنوان على الظرف فظنت أن أحدهم قد نساه أو فقده فأرسلته على نفس العنوان المدون به لكنها لا تعلم من المرسل ،تعجب (ماك) من الأمر فأخبرها أنه فقد مفاتيح سيارته هنا بالأمس تعجبت ماريا قائلة أن المقهى يغلق فى الثانية عشر منتصف الليل فوالدها مريض وعليها الاعتناء به فى الليل صدم (ماك) ظنا أن الجنون قد أصابه فلا يمكن أن يكون فى وسط مسرحية هزلية للاستخفاف به ولكن إن كان الأمر كذلك فأين سيارته الآن بحث (ماك) فى جيوب معطفه عن شىء ما يدل على مكان سيارته تحسست أنامله بشىء ما فى الظرف لم يشعر بها من قبل , فتح الظرف فوجد بطاقة تخص إحدى ورش لإصلاح السيارات تنفس الصعداء متيقنا أن بعثوره على سيارته سيكتشف ما الذى يحدث معه.

فى الصباح أوقف تاكسى وأعطى للسائق العنوان وما إن وصل إلى ورشة الإصلاح حتى بدأ يبحث عن سيارته وسط أعداد كبيرة من السيارات , أوقفه أحد العمال متسائلا عن ماذا يبحث؟ فأخبره أن أحدهم أرسل سيارته هنا للإصلاح , اصطحبه العامل إلى مأرب السيارات التى تم إصلاحها , ما إن دخل المأرب حتى وجد سيارته فأشار إلى العامل حيث تقف.

اقترب منها العامل و أمسك دفتر مدون به الاسم ورقم لوحة المفاتيح وطلب من (ماك) بطاقته الشخصية ورخصة القيادة ، تأكد العامل أن البيانات الخاصه بالسيارة متطابقة مع بيانات (ماك) فطلب منه توقيع

أوراق استلامها وسلم له أشياءه ثم أخبره أن بإمكانه أخذها الآن ، سأل (ماك) عن مبلغ الإصلاح وهو يمد يده فى معطفه مخرجا دفتر شيكات صغير لتدوين المبلغ لكن العامل أخبره أنه لا داعى للدفع فالسيارة لا تعانى من أى عطل !، صدم (ماك) عند سماع ذلك فأخبر العامل أنه حاول تشغيلها لكنها كانت معطلة لكن هز العامل رأسه نافيا قائلا : ربما ليس لديك الخبرة الكافية فى السيارات لكن السيارة سليمة لا تعانى من أى أعطال فى الحقيقة , تعجبت لما أرسل فى طلب سحبها من أمام المقهى تلك الليلة ، فجأة أخرج العامل من جيبه مفتاح السيارة! بعدما أخبره أن بإمكانه أخذها وقتما شاء ثم استأذن للمغادرة فلديه عمل، وقف (ماك) متصلب وكان الدماء نشفت فى عروقه ينظر إلى المفتاح بيده ، كيف وصل المفتاح هنا وقد كان فى جيبه أمس ،أدرك أن الجنون قد أصابه حقا , نظر حوله خائفا يتأكد أن لا أحد يعلم بذلك الجنون والهذيان الذى أصابه ، فتح سيارته وجلس بها يحاول تقبل ما يحدث حوله ، كانت أطرافه ترتعش بالكاد لا يستطيع أن يحكم قبضته على السيارة والتمكن من قيادتها ،وصل إلى المنزل ووضع السيارة فى المأرب خرج منها ،كاد يغلق الباب حتى لمح شيء ما فى المقعد الخلفى للسيارة أغلق الباب وفتح باب المقعد الخلفى فوجد ظرف أصفر كبير مد يده والتقطه قام بفتحه كانت تحتوى على رزمة الأوراق التى كان يكتب فيها الشاب العربى , تفقدها فكانت جميعها مكتوبة باللغة العربية لم يصدق نفسه هل ما يراه حقيقة أم أن الجنون مازال يكمل قصته الوهمية فى عقله فخيلت إليه أنه يحمل تلك الأوراق، أسرع إلى غرفة المكتب , فتح جهازه وظل يبحث ساعات طويلة عن وسيلة لتغير لغة لوحة المفاتيح إلى اللغة العربية وما إن نجح فى ذلك حتى لجأ إلى المترجم الآلى يترجم ما كتب فى أول ورقة والتى تبدو من وجهت نظره عنوان تقريبا، ظل ساعه يحاول كتابة الحروف فهو بالكاد يستطيع تحديد مكانها على لوحة المفاتيح فقد كان يبحث على كل حرف على حدى ما إن انتهى من كتابة أول جملة حتى بدأ يقرأ الترجمة ..

مرحبا بك سيد أرثوفيتش هل تبحث عنى ؟

انتفض من مكانه مفزوعا ما أن قرأ تلك الكلمات وكأن شيطان قد خرج له, ارتعشت أواصله لكنه عاد يقرأ الترجمة حتى كاد لا يصدق عينيه

فأكمل الترجمة وبدأ يقرأها.

مرحبا بك سيد أرثوفيتش هل تبحث عنى؟

أنا موجود فى المكان الذى اعتدنا اللقاء فيه، لا تلقى بالا لما قاله النادل لك فلا تصدق كل ما يقال لك فليس كل ما يقال صحيحا فاللأذن تخدع بالأكاذيب كالعين تخدع بالألاعيب ،أنا فى انتظارك اليوم ستجد المقهى مفتوحا أراك فى تمام الساعه الواحدة.

ملحوظة.. ستجد فنجان القهوة بإنتظارك.

انتفض (ماك) غاضبا متيقنا أنه لم يجن بعد، فإذا ما كان به جنون ما الذى جعل فتى هكذا يكتب تلك الرسالة فى أوراقه ثم مسك رزمة الأوراق متسائلا هل كل ما كتب هنا هو تكرار لتلك الكلمات فقط؟! لكن لا يظن ذلك ، أدرك أنه فى مكيدة حاك خيوطها هؤلاء الشباب الحثالة، اشتد غضبه مما حدث فهو لا يقبل أن يسخرمنه مجموعة من الشباب الحمقى ، أراد أن يذهب إلى المقهى ليوبخ النادل وماريا على ذلك، لكنه أعاد الهدوء إلى نفسه متريثا إلى أن يحين وقت لقاءه بهذا الشاب العربى

***

ظل جالسا فى سيارته أمام المقهى منتظرا الوقت أن يمر بفارغ الصبر يراقب النادل وماريا بالداخل من زجاج المقهى ، لكن العجيب أن المقهى أصبح خاليا من الزبائن نظر إلى ساعته فكانت الحادية عشرتماما، ظل يراقب الاثنان حتى قاما بإغلاق المقهى والمغادرة لكنه

ظل منتظرا الشاب كما أخبره فى تمام الواحدة صباحا ، تخطت الساعه الواحدة والنصف صباحا , قرر أن يظل لبعض الوقت , فجأة غفا فى مكانه, أيقظه سقوط الأمطار الرعديةو فألقى نظره على المقهى وجده مازال مغلق, نظر فى ساعته كانت الثالثة والنصف صباحا , تيقن أن ماريا والنادل قد شاهدوه يراقبهم من سيارته فقاما بإخبار الشاب العربى بذلك لهذا لم يحضر، قاد سيارته عائدا إلى المنزل , علق معطفه وأفرغ كأس من الشاى الأخضر واتجه لغرفة المكتب لكن تثاقلت خطواته حين وجد نور الغرفة مضاءا ظن أن أحد اللصوص قد تسللت إلى غرفة المكتب فأسرع وأحضر حديدة من جوار المدفأة وتسلل بحذر إلى الغرفة لكن الغرفة كانت فارغة , خاف من أن يكون اللص ما زال يعبث بباقى الغرف فى الأعلى فذهب فى خفة إلى الأعلى وبحث فيها وفى أرجاء المنزل حتى تأكد من خلوها تماما فلا تبدو أن أحدهم اقتحمها،عاد إلى مكتبه مستريحا فانتبه أن جهازه مفتوح اتجه إليه فهو لا يتذكر أنه تركه مفتوحا حينما ذهب ما إن اقترب حتى وجد رسالة مكتوبة فى صفحة ورد : آسف لم استطع المجىء اليوم لكننى سأنتظرك غدا فى نفس الموعد.

استشاط غضبا صارخا بأعلى صوته كيف تجرأ ودخل ذلك الحقير العربى إلى غرفتى !! أيها المعتوه هل ترانى لعبة فى يدك سأبلغ عنك الشرطة وأزج بك فى السجن للأبد ، أسرع إلى هاتف منزله وقام بالإتصال بالشرطة يبلغ عن دخيل اقتحم منزله ماهى إلا دقائق حتى جاءت الشرطة وفرقة من البحث الجنائى يبحثون ومجموعة يرفعون البصمات من كل ركن بالمنزل وآخرون يتفقدون الكاميرات الخاصة بالمنزل، أثناء ذلك ذيع خبر الاقتحام والتف الصحافيين حول المنزل يمنعهم رجال الشرطة من الدخول بوضع الأشرطة الصفراء ،سمعت (أليكس) من إحدى القنوات الإخبارية مصادفة أن أحدهم قد قتحم منزل الكاتب الكبير (ماك أرثوفيتش) ولا يعلم أحد ما وضع السيد (ماك) الآن فالشرطة تمنع الصحافة من الدخول ، هرولت (أليكس) والخوف يأكل

قلبها إلى المنزل ما إن أوقفت سيارتها أمام المنزل حتى التف حولها رجال الصحافة طالبين إفادتها بأى معلومات عن هذا الاقتحام لكنها تخطتهم بصعوبة راكضة إلى داخل المنزل، ما إن رأت (ماك) جالسا على الأريكة فى غرفة الضيوف حتى تنفست الصعداء شاكرالله أنه بخير والقت بنفسها فى أحضانه ثم بدأت تتفقده إن كان مصابا فى مكان ما , جالس لكن فتور (ماك) وهدوء أعصابه أثار اندهاشها بعدما ربت على كتفها ،فجأة أتى صوت قائد المحققين (ألفريد أفريست) قائلا بصوت هادىء : كنت أود أن ألقاك فى أوضاع أفضل من ذلك يا (أليكس) ، التفتت إليه (أليكس) فقامت وارتمت فى أحضانه قائلا :

صديقى العزيز (ألفريد) لم أراك منذ مدة ، احتضنها (ألفريد) ثم أردفت (أليكس) مطالبة بتوضيح الأمر حول هذا الاقتحام ،وضع (ألفريد) يده فى خصره قائلا : فى الحقيقة لم نتوصل إلى الآن إن كان أحدهم قام بالفعل باقتحام المنزل فلا أثر لأقدام أو خدوش أو كسور تفقدنا كل شىء كما أن الكاميرات لم ترصد دخول أو خروج شخص آخر إلى المنزل منذ ٢٤ ساعه الماضية سوى شخص واحد وهو أنت يا (ماك)، وقف (ماك) مستنكرا تقرير (ألفريد) قائلا ف غضب عارم : وتلك الرسالة هل كتبت نفسها وذلك الشاب العربى الذى أخبرتك عنه.. ألا ترسل شرطيين إلى هؤلاء الشباب للقبض عليهم ..ربما تلاعب أحدهم بالكاميرات وقام بتعطيلها حتى يرتكب فعلته.

هز (ألفريد) رأسه فى أسف قائلا : لا أستطيع القبض عليهم إلا بوجود دليل حقيقى على ارتكابهم تلك الجريمة ، لقد أخذ الفريق الكاميرات بالفعل للتحقق منها وكذلك البصمات إلى المعمل الجنائى وسيخرج التقرير خلال ساعات قليلة.

ابتسم (ماك) بسخرية يشوبها الغضب قائلا : لا أظن ذلك العربى غبى أن يقتحم منزلى بيديه العاريتين.

تنهد (ألفريد) قائلا: (ماك) لا أشك فى كلامك ولكن علينا انتظار التقارير.. فقط التقرير، سأترك فى الخارج رجلين من أكفأ رجالى لحراستك إلى أن تخرج التقارير تستطيع أن تنام مطمئن ، نظر ألفريد إلى (أليكس) قائلا : سعدت بلقاءك يا (أليكس) ..ثم اصطحب (ألفريد) فريقه تاركا رجلين بالخارج بعد أن أوصاهم أن يكونا حريصين على سلامة (ماك) بدأت نظرات (أليكس) تتسائل عن هذا العربى الذى تم إخفاء أمره عنها وما الداعى إلى أن يثور (ماك) هكذا رغم أنه لم يفقد شيء من المنزل.. خطر ببالها للحظة ما أرمى إليه (ألفريد) فى حديثه أن (ماك) أفتعل تلك الحادثة لإستمرار جذب الانتباه إليه من قبل الصحافة فى تلك المرحلة التى ينهار فيها تدريجيا ، أفصحت عيون (أليكس) الملامة عما يجول فى خاطرها , نظر إليها (ماك) وفتح ذراعيه قائلا : هيا يا (أليكس) لا تنظرى إلى هكذا أنا لم انحدر إلى تلك الدرجة لم اختلق هذا الموضوع ، رفعت يدها قائلة فى غضب :

لم أقل شيء ، حملت حقيبتها قائلا : لكن لا تفزع قلبى هكذا مرة أخرى أبدا .. لقد كاد قلبى يتوقف أتفهم سأنتظرك فى حفلة الزفاف ، ذهبت (أليكس) مخترقة جمهرة الصحفيين الذين استمروا فى اللحاق بها إلى أن ركبت سيارتها وانطلقت مسرعة لكنها توقفت فى منتصف الطريق بعيدا عن الأنظار غارقة فى بكائها

*****

جلس حائرا يتأمل الرسالة ويتحدث مع نفسه ويفكر كيف دخل هذا الشاب إلى هنا دون أن ترصده الكاميرات ربما تلاعب بها حقا كما أخبر (ألفريد)، ربما لم يستدعى الأمرحقا إبلاغ الشرطة لكننى لا أفتعل الأكاذيب للفت الانتباه .. أنا أتعرض لمكيدة من هؤلاء الشباب الملاعين.. يريد أحدهم أن يقودنى إلى الجنون حتما ، أغلق جهازه وصعد إلى غرفته لينال قسطا من الراحة منتظرا التقرير الجنائى.

فى مساء اليوم التالى خرج إلى حديقة منزله , كان الحارسين يقفان خارجا لكنه تجاهل وجودهم ثم جلس على أريكته فى الحديقة وقام بإخراج سيجارة وقداحته , أشعل سيجارة ثم نفث دخان سجارته عاليا نفس تلو الآخر سارحا بخياله ، فجأة اتصل (ألفريد) بأحد الحارسين فتقدم إلى (ماك) يخبره أن المحقق (ألفريد) فى الطريق إليه ،ازداد توتره وأشعل سيجارة واحدة تلو الأخرى حتى لاحظ الحارسان أنه أحرق الكثير من السجائر فى دقائق معدودة ، دق جرس المنزل الخارجى ففتح أحد الحراس وأشار للمحقق إلى مكان السيد (ماك)، اتجه (ألفريد) إليه حيث لم يعير لمجىء (ألفريد) انتباها ،اجتمع الحارسان حول المحقق لكنه لم يرغب فى إبداء ما فى التقارير للسيد (ماك) أمامهما فأخبرهم أن بإمكانهم الرحيل إلى منازلهما لينالا قسطا من الراحة الآن فقد انتهت مهمتهما الليلة ما إن غادرا حتى ألقى (ألفريد) التقرير على الطاولة أمام قائلا : إن كنت تخفى شىء عنى فعليك إخبارى به ..نحن صديقين منذ أكثر من خمسة عشر عاما رغم الفارق الكبير بيننا فى العمر لكن ذلك لم يمنعك يوما عن اللجوء إلى فى محنك ، زفر (ماك) دخان سيجارة لأعلى غير عابىء بما يقول (ألفريد) جلس (ألفريد) جلسة القرفصاء وأمسك بيد (ماك) قائلا : تقارير المعمل الجنائى أثبتت أن الكاميرات لم يتلاعب بها جميع البصمات فى المنزل تعود إليك أنت و(أليكس) ، زفر (ماك) دخانه ثانيا قائلا دون النظر لوجه (ألفريد) : أنا لم اختلق تلك الحيلة الساقطة يا (ألفريد) أنت تعلمنى جيدا أكثر من نفسى.

وقف (ألفريد) قائلا فى غضب: أنت تهزى يا (ماك)

انتفض غضبا : أتظن أننى عجوز خرف الآن يا (ألفريد) ؟! ربما يكتب قلمى الأكاذيب التى خلقت فى عقلى كما تدعيها دائما لكن ياصديقى لسانى لا ينطق بالأكاذيب أبدا.

وقف (ألفريد) محرجا فقد أدرك أن (ماك) مازال يتذكر موقفه حين سؤل يوما عن رأيه فى أعمال (ماك) فقال أنها مجموعة أكاذيب يضحك بها على عقول القراء اعتذر (ألفريد) قائلا: آسف ..لم أقصد الإساءة إليك ولكن عقلك المبدع قد أثر على حياتك الحقيقية ياصديقى أنت فى عالم الواقع لست فى رواية من رواياتك . مضى (ماك) إلى الداخل متجاهلا ما يقول , أكمل (ألفريد) قائلا : لا أستطيع إخبار الصحافة حول هذا الأمر سأعلن أن الجانى هو أحد القراء اقتحم المنزل للحصول على مجموعة كاملة من أعمال الكاتب ، وجه أصبعه اتجاه (ماك) قائلا: وعليك إخبار الصحافة نفس الأمر ..دخل إلى منزله وهويغلق الباب قائلا :

لن يصدقك أحد فالقارىء لا يسرق ..التفت إليك (ألفريد) قائلا: حين يكون فقيرا سيسرق.

لم يعجب (ماك) بذلك قائلا : عمت مساءا وأغلق الباب ، توقف (ألفريد) للحظات يفكر فى كلام (ماك) فهو حقا لا ينطق بالأكاذيب أبدا ولكن لا مفر فالدليل هو وسيلته الوحيدة لتصديق الأمر فقال بصوت عالى وهو يعلم أن (ماك) ماكثا خلف الباب يسمعه : ربما لسانك لا ينطق بالأكاذيب لكن عقلك يخدعك ياصديقى.

ذهب (ألفرريد) تاركا (ماك) فى حالة تشتت فكرى تتضارب أنفاسه فى صدره , أسرع إلى المطبخ باحثا فى إدراجه عن زجاجة شراب ف(أليكس) دائما تخفى زجاجة للمناسبات للضيوف لكنه لم يجد شيئا استشاط غضبا وألقى بكأسه على الأرض فتناثرة حطامه ، خرج مسرعا بسيارته لشراء زجاجة شراب توقف أمام سوبر ماركت ضخم ونزل يبحث بجنون لاحظه الكاشير ذلك فاتبعه وهو يبحث عن الشراب لكن سرعان ما تراجع حين وجده ينتقى إحدى زجاجات الشراب الفاخر واتجه إليه (ماك) سائلا عن سعرها وما إن أخبره الرجل حتى أخرج

من جيبه المال وألقى به أمامه قائلا : احتفظ بالباقى.. ركب سيارته ولم ينتظر أن يذهب للمنزل لشربها ففتح الزجاجة بقوة قائلا :

آسف يا عزيزتى (أليكس) سأحتسى هذا الشراب وإن كان آخر شىء أتناوله فى الحياة , رفع الزجاجة على فمه ثم أنزلها بعد أن شرب ما يقارب من نصفها ثم أغلقها وأشعل سيارته متجها للمنزل ، ما إن دخل منزله حتى ألقى بنفسه على الأريكة فى غرفة الضيافة رافعا زجاجته على فمه ، وفجأة سمع صوتا يقول : لم أعلم أن مزاج السيد (أرثوفيتش) سىء إلى هذا الحد حينما يتعلق الأمر بالمواعيد ، انتفض مفزوعا وقد حسر الشراب فى حلقه حتى تحول وجهه لكتلة دماء بالكاد يستطيع التنفس ..ظل يسعل حتى عاد لطبيعته , نظر حوله بإرتعاب يبحث عن الشاب فقد كان صوتا بالقرب من أذنه لكن أدرك إن أخذته سنة من النوم على الأريكة أثناء الشرب، سقطت عيناه على الساعه المعلقة فقد كانت الواحدة والنصف صباحا ،فجأة ركض مسرعا إلى الحمام وغسل وجهه وبدل ثيابه وركب سيارته مسرعا إلى ذلك المقهى ووقف بسيارته أمام المقهى لكنه لم يصدق أن المقهى مفتوح وأنواره مضاءة , نظر إلى ساعته فكانت الثانية صباحا ، نزل مسرعا ليفاجئ هؤلاء الشباب باكتشافه لمكيدتهم الخبيثة ,اقتحم المقهى بغضبه الذى انطفأ سريعا حينما وجد الشاب ينتظره يمد إليه يده بفنجان القهوة العربى فور دخوله ،كأنه يتوقع الشاب قدومه فى تلك اللحظة بالتحديد ابتسم الشاب فى هدوء قائلا : آسف ياسيد (أرثوفيتش) عن تخلفى عن الموعد فقد كنت مريضا فليس من الصعب أن يصاب الإنسان بالذكام فى هذا الشتاء ،تسمر (ماك) مكانه وقد تمكن الغضب من ملامحه فمد الشاب يده وأمسك يد (ماك) ووضع فيها فنجان القهوة قائلا : احتسيها قبل أن تبرد وتفقد مزاقها , تركه وجلس إلى طاولته حيث الأوراق الصفراء تعجب (ماك) وقضب حاجبيه متسائلا بينه وبين نفسه كيف وصلت الأوراق من منزله إلى يد الشاب , ظن أنه سرقها حين جاء إلى منزله فلا عجب أنه لم يعثر عليها وتناسى أمرها حين أتت الشرطة للبحث عن المقتحم,

استمر فى موضعه فأشار إليه الشاب بيده إلى كرسى بجواره على الطاولة للجلوس فتقدم وجلس أمام الشاب متسائلا : من أنت؟ كيف تمكنت من التسلل إلى منزلى ستسجن بتهمة اقتحام المنزل وقد ترحل إلى وطنك كمجرم، أنت وهؤلاء الملاعين معك سأزج بكم فى السجن للأبد.

هز الشاب رأسه نافيا قائلا : انظر المقهى مضاء والباب مفتوح فأنا أعمل هنا فى بعض الليالى فقط لم أذكر أننى أعمل هنا كل يوم, أما بخصوص منزلك ..لقد كان الباب مفتوحا .

غضب (ماك) وقبض على عنق الشاب بشدة قائلا : أتلك خدعتك اللعينة؟! ثم هدده بقتله أو تسليمه إلى الشرطة فى الحال.. أحمر وجه الشاب اختناقا فألقى به بقوة وغضب على الأرض فانصدمت رأسه من الخلف بزاوية البار, صدر منه تأوهة ضعيفة لم ينتبه سماع (ماك) لها، وسط زمجرته وغضبه وهو يتوعد أنه سيقضى على تلك المكيدة وسيقضى على هؤلاء الملاعين ،فجأة هدء طوفان (ماك) وارتعشت أوصاله حينما وجد الشاب ممتدا على الأرض دون حركة.

ركع مكانه متسمرا ثم زحف بإتجاه الشاب قام بهزه مناديا عليه , رفع رأسه من الأرض لإفاقته ،فجأة شعر بشىء دافىء فى يده عندما وضعها خلف رأسه , ارتعشت أوصاله وتجمدت الدماء فى عروقه حين رأى الدماء تلطخ يده ،ألقى بالشاب على الأرض وانتفض ناهضا يخلص يده من تلك الدماء فى معطفه , استدار حوله بجنون حائرا إلى أين يذهب وماذا يفعل الآن؟! لقد مات الشاب العربى ! ترددت كلمة مات فى عقله فنظر حوله يرى إن كان يراه أحد ثم ركع مسرعا واضعا أذنه على صدر الشاب يستمع إلى نبضاته , وضع صبعه أسفل أنفه يستشعر أنفاسه، تنفس الصعداء فمازال الشاب يتنفس ودقات قلبه مضطربة قليلا, أسرع لإخراج هاتفه والإتصال بالإسعاف لكنه توقف فجأة يسأل نفسه ماذا سيخبرهم سيعلمون ما دار بينه وبين الشاب ويزج به فى السجن

وينتهى أمره نهائيا ، أسرع وأعاد الهاتف لمعطفه فجأة وقع نظره على الدماء بمعطفه كانت أنفاسه مضطربة , يلهث كعداء مارثون ،تأبط زراع الشاب حول رقبته ويده الأخرى حول خصره وأمضى به إلى سيارته مسرعا وعيناه تبحثان يمنة ويسرة خشية أن يراه أحد ما فتح باب سيارته الأمامى ثم أجلسه و أحكم حوله حزام الأمان على صدره وأغلق سيارته ثم ركض إلى داخل المقهى تفقد المكان , وجد الدماء على الأرض وقام بسحب بعض المناديل بالجوار وقام بمسح الدماء وألقى بالمناديل فى كيس سوداء ثم أخذ فنجان القهوة وألقى محتواه فى الحوض ثم وضعه فى الكيس أيضا وأحكم إغلاقه ثم أخذ أوراق الشاب فى معطفه وأسرع إلى سيارته وفى الطريق وقف بسيارته وألقى بالكيس الأسود فى الماء ثم أسرع مغادرا بسيارته إلى المنزل. فى الطريق كان عيناه لا تفارق مراقبة الطريق من الخلف خوفا أن يكون أحد ما يتبعه بعد رؤيته ما حدث،أدخل سيارته إلى المأرب ثم تفقد الشاب الذى أصبح بين اليقظة والغفو ..بالكاد لا تحمله قدماه فيخطو خطوات متثاقلة ،فتح الباب ويحمل الشاب فرأى الدماء لطخت مقعد السيارة فحمله وأدخله إلى المنزل ثم أجلسه على الأريكة وخلع معطفه ووضعه تحت رأسه كى لا تلطخ بالدماء ثم أسرع إلى الحمام وأحضر الضمادات وطهر جرحه ثم ربط رأسه بضمادات ورباط الضغط كانت يده ملوثة بالدماء أسرع إلى الحمام وغسل يديه وبدل ملابسه وألقى بها فى الغسالة ثم مكث على الكرسى أمام الشاب يراقبه طوال الليل ويراقب تنفسه ،مضى الوقت بثقله يدب الخوف فى قلبه ألا يستيقظ الشاب العربى, ظل نائم إلى أن أشرقت الشمس استفاق الشاب على ألم مبرح يفتك برأسه نهض جالسا ويده يحيط برأسه من الألم نظر بجواره فوجىء ب(ماك) جالس مسمرا النظر إليه مد يده إليه ببعض الأقراص المسكنة وكوب من الماء التقطها الشاب وتناولها سريعا لتخفف ألمه المبرح ،سأله إن كان بخير!

ابتسم الفتى قائلا: فى الحقيقة أنا بخير ولكن مهلا هل كنت تحاول قتلى لكن لا أعتقد أن من السهل فعل ذلك فأنا كما نقول مثل القطة لديها سبعة أرواح.

نهض (ماك) إلى المطبخ يحضر كوبا من القهوة لكن أعصابه ماتزال متعبه مما حدث ، فسقط منه الكوب أرضا متناثرا , أسرع الشاب وأخذ يد (ماك) إلى أحد الكراسة وأحضر فوطة ونظف القهوة المسكوبة قائلا: إن أعصاب السيد (أرثوفيتش) بالتأكيد مازالت متعبة أو أنه لم ينل قسطا من النوم بما يكفى ، أنظر إلى لا تخف أنا بصحة جيدة وسأحضر لك كوب من القهوة لو أننى فى المقهى الآن لأحضرت لك فنجان قهوة عربية ولكن ليس من الجيد أن تتناول القهوة بدون إفطار سأحضر لنا فطور شهيا على الطريقة العربية , لم ينطق (ماك) بكلمة فقد كان الجوع بالفعل يفتك بأمعاءه كما الخوف يفتك بأعصابه ، تحرك الشاب على راحته وحضر طاولة كبيرة من الإفطار ثم مكث بجوار السيد (ماك) الذى يدهشه جرأة الشاب وقوته على التحرك , هكذا رغم جرحه ،بدأ (ماك) يتفحص الطاولة التى جرت ريقه برائحته الشهية كان يتلذذ بكل قطمة فى فمه راقب الشاب الذى يتناول طعامه فى ألم ملحوظ لكنه تجاهل الأمر وأكمل فطاره وما إن انتهى حتى نهض متجها إلى غرفة المكتب وهو يوجه كلامه للشاب قائلا : عليك المغادرة فور الانتهاء من طعامك ،تعجب الشاب ووقف قائلا : ألن تتركنى!؟ أمكث معك إلى أن يطيب الجرح ألا تخشى إن يصيبنى شىء وأنا بهذه الحالة!؟ ، التفت إليه (ماك) فى استحقار قائلا : لا أفضل استضافتك فى منزلى.. هذا المنزل لا يحب أن يمكث فيه أشخاص مثلك عليك الرحيل.

أجابه فى مكر يشوبه نوع من التهديد : ألا تخشى أن أذهب إلى الشرطة لأبلغ عن الأمر!؟

أسرع إليه (ماك) فى غضب فكاد أن يمد يده لإختناقه لكنه تذكر ماحدث سابقا فوقف صارخا : أنت من بدأ كل هذا ..أنت من تسبب فى أذية

نفسك وأذيتى أيضا ...تنهد (ماك) مستسلما يريد تفادى ذهاب الشاب للإبلاغ عن الحادثة فهو بالكاد يرمم كيان حياته من جديد ،مضى إلى غرفته قائلا : سأسمح لك بالمكوث هنا لحين يطيب جرحك يمكنك أن تجلس فى أى مكان عدا مكانين أولهما تلك الغرفة - أشار إلى غرفة المكتب - إن رأيتك بها فلن أتأخر لحظة فى قتلك هذ المرة بجدية.. مضى يزمجر قائلا : لا ينقصنى إلا وجود عربى فى بيتى ، ابتسم الشاب فى مكر فقد بدأت أول خطوة حقيقية فى خطته وقد حان وقت التنفيذ !

******

تخلى هذه المرة عن الكتابة بجهازه وحمل ورقة وقلم كما كان سابقا فى بداية مشواره ، بدأ الخيال يداعب عقله حول تلك الصغيرة التى كتب عنها حلقاته متسائلا : لما لم تعد تزوره فى أحلامه ، كان كل ليلة يخلد فيها إلى نفسه نائما يراها تركض نحوه بشعرها الذهبى وضحكتها الرائعة تنظر إليها مشيرا له أن يتبعها وتقص عليها حكايتها لكنها الآن اختفت رغم أنها لم تعد تحكى شىء عن حكايتها فى أحلامه لكن وجودها يبث الراحة فى نفسه والأمل فى الحياة بابتسامتها البريئة ،لكن من تلك الصغيرة هل هى من نسخ خياله وعقله الباطنى لا يدرى سوء أمر واحد وهو اشتياقه لها حقا، كانت أشعة الشمس تتسلل من خلفه إلى جسده تبث فيه الدفىء , استدار لها للإستمتاع بدفئها لكنه رغم سطوعها كان يرى أيامه كاحلة لا بصيص من النور فيها .ترك قلمه وأدار نفسه متراخيا يتأملها , ظل هكذا إلى أن حل الليل تلألأت النجوم فى عينيه كانت ليلة لامعة لكنها لا تبهج نفسه, انعكس لمعانها على عيونه الدامعة هامسا لنفسه : تلك النجوم المتوهجة مثلى سابقا لكننى تحولت إلى نجمة انطفأ لهيبها وتوهجها مثل تلك النجمة التى ماتت فى الظلام حيث لا ضوء لها فى السماء ،تنهد بعمق قرب رأسه من زجاج النافذة فطبعت أنفاسه بخار على الزجاج ، فجأة أصبح الجو باردا وبدأت النجوم فى

الاختفاء رويدا رويدا خلف الغيوم ، التفت إلى كرسه , تحسسه بيده كملك انتهى حكمه وحان وقت رحيله،فجأة سمع ارتطام شيء ما بالخارج , تعجب ما الأمر!؟ نسى تماما أن هناك شخص آخر يشاركه المنزل ، أسرع للخارج وجد الشاب ملقى على الأرض يحتضن رأسه بذراعيه فى ألم شديد , أسرع إليه يتفقد أمره فأخبره أنه يعانى من صداع شديد ودوار.. ساعده (ماك) على النهوض وأجلسه على الأريكة, أسند الشاب رأسه على الطاولة وأحاطها بذراعيه ؛ أحداهما على رقبته والأخرى على موضع الجرح ،خاف (ماك) أن يكون الأمر خطير لكنه يخشى الذهاب إلى المستشفى فجأة مد الشاب يده طالبا بعض من الأقراص التى أخذها من قبل فأسرع (ماك) لإحضارها من خزنة الأدوية , أخرج قرصين وأعطاهم للشاب فسقطت من يده المرتعشة فقام بإخراج قرصين آخرين ووضعها فى فمه , مد يده لإحضار كوب الماء لكن الشاب ابتلع القرصين دونها فجأة بدأ جسده يميل للسقوط فأسرع ووضع الماء من يده ثم أسنده إلى أن مدد جسده على الأريكة نائما، أتى ظلام الليل بصقيعه فأصعد إلى غرفته بالأعلى وأحضر غطاء له لكنه وقف بالقرب منه مترددا على الإشفاق به فقد جعله ألعوبة ومصدر شك لزوجته وصديقه (ألفريد) لكنه نفض عنه تلك الفكرة ووضع عليه الغطاء لينعم بنوم دافىء.

مضى يمعن التفكير فى أمر تلك الصغيرة, فجأة وجد الشاب يفتح باب الغرفة ما إن دخل حتى وقف أمام المكتبة مبديا إعجابه به قائلا : يالها من مكتبة عظيمة, هل قرأت كل تلك الكتب ياسيد (أرثوفيتش)؟!

نظر إليه من فوق نظارته قائلا: ألم أخبرك ألا تدخل هنا مرة أخرى !؟ تقدم الشاب نحو المكتبة بخطوات ثابتة متجاهلا كلامه ، مد يده على رواية بعنوان (إرهاب الشرق الأوسط) قائلا : اها لن أكذب عليك مرة أخرى.. لقد قرأت تلك الرواية وإثارة إعجابى كثيرا ولكننى أشفقت عليك وأشفقت على نفسى أن تكتب كل تلك الروايات عن الحب النابض

فى قلوب الشباب فى بريطانيا متجاهلا أن هناك حبا ينبض أيضا فى قلبنا نحن الشباب فى الشرق ،ثم مد يده على رواية ل (جوزيف أرت) قائلا بسخرية : تقرأ أعمال منافسك الأول ! أرت أسلوبه مميز فى الكتابة ولكن ألم تنتبه لشىء فى رواياته غير أن لديه كاتب ظل ؟

وضع (ماك) يده تحت زقنه يطرأ لما يقوله فأردف الشاب يقول : إن فى كل عمل يشعران هناك شخص سجين يريد الحرية لكنه لا يستطيع.

هز الشاب رأسه ساخرا قائلا: أشفق على هذا السجين جدا فهو فى الحقيقة ليس سجين رواية بل سجين الكاتب ربما يقوم السيد أرت بإنقاذ تلك الأعمال وإخراجها إلى النور قبل أن تموت مع أصحابها.

أشار (ماك) إلى الرواية قائلا : تلك الرواية فاز بها كأفضل عمل أدبى منذ سنوات

لكنها ليست إنتاج السيد أرت ، صدم (ماك) غير مصدق ما سمعته أذنه.. انتفض مسرعا واختطف الرواية من بين يديه يتفحصها كأنه لم يقرأها من قبل عشرات المرات قائلا : أيعقل أن يكون شخص آخر هو الذى كتب ذلك !؟ لقد أخطأت تحليل شخصيته تماما.

جلس إلى أحد الكراسى بالغرفة فى ثقة قائلا : هناك أشياء تجهلها ياسيد (أرثوفيتش) منها لماذا أنا هنا!؟

تعجب (ماك) والتفت إلى الشاب ونطق لسانه بما يدور فى عقل : ماذا تريد ؟!

- أريد أن تنقذ عملى من الموت

حاول (ماك) أن يتحكم فى أعصابه قائلا: هل تحاول جعل نفسك كاتب ظل لى .. هذا يستحيل أن يحدث لا أنتظر أن تتعافى أخرج من منزلى حالا.

جلس الشاب بإسترخاء وثقة قائلا : إذن ..اتصل بالشرطة وسأريهم ماذا فعلت -أشار إلى رأسه- ..استشاط غضب (ماك) فأمسكه من رقبته وهم أن يلكمه فأوقفه الشاب قائلا : لست مضطر لقتلى والقضاء على مستقبلك .

توقف (ماك) وتراجع للخلف يحاول التحكم فى أعصابه التى فقد السيطرة عليها صب غضبه على المنضدة فركلها بقدمه فألمته بشدة فجلس على الأريكة وقد أطفأ الألم غضبه قائلا : أنت لا تعلم من أنا منذ نعومة أظافرى وأنا أبدع , لم أكذب قط , لم أسرق شيء قط ولن يكون لى كاتب ظل قط , عليك قتلى أو لا أخشى أن أتهمك بالكذب فتغضب، أليست تلك الروايات مجرد أوهام فى عقلك **!؟** ؛ تتخيل شخصيات وأحداث فتكتبها رواية يحبها القراء فلما لا تعتبرنى إحدى شخصياتك الوهمية وتصدر روايتى تحت اسمك**!؟**

- ليست أكاذيب وإن اعتبرتها كذلك فتلك الأكاذيب خلقت فى عقلى لا عقلك ، فسرقة الأكاذيب تعد سرقة على أى حال.

لمع الذكاء فى عين الشاب قائلا : تلك الأعمال المستوحاه من الحقيقة هل تعد سرقة **؟!** أنا الحقيقة فاستوحى عملك الجديد من حياتى.

بدأ تأثير تلك الكلمات على (ماك) الذى شرد بعقله يفكر فيه ،لاحظ الشاب ذلك فأكمل حديثه مستغلا الفرصة : أنا لن أكون كاتب ظل بل سأحكى لك قصتى وأنت من سيكتب بتلك الطريقة , لن أكون كاتب ظل ولن تكون سارق ما رأيك؟ ،مد الشاب يده إلى (ماك) قائلا : أرجو أن تقبل بهذا العرض.. ظل (ماك) يفكرو يقرأ نظرات الشاب الجدية ،كان

الخوف مسيطر على عقله أن تكون تلك خدعة ما فوقف من مكانه متجاهلا اليد الممدودة إليه قائلا : أنه سيفكر فى الأمر لكن الشاب قاطعه بوعد أوقفه مكانه قائلا : أعدك ياسيد (أرثوفيتش) ما إن تنتهى منى لن ترانى أبدا ،التفت إليه متعجبا فأعادها الشاب على مسمعه مؤكدا أنه لا يكذب أبدا وهذا وعد منه أنه لن يراه ثانية لكنه برر ذلك مسرعا بعدما قرأ علامات القلق على ملامح (ماك) بأن عليه العودة إلى وطنه بعد شهرين فلن يستطيع الاستمرار أكثر من ذلك هنا.

هز (ماك) رأس على أنه فهم كلامه وأخبره أنه سيفكر فى الأمر كما أخبره سابقا وأثناء مغادرته الغرفة أخبره الشاب أنه سيعتبر ذلك موافقة منه على المبدأ لكن (ماك) أجابه وهو يغادرأنه لم يوافق بعد.. ابتسم الشاب فقد نال شىء كان يخشى ألا يناله الآن.

جلس الشاب متوترا يشبك أصابعه ببعضها يفكر هل سينجح فى مهتمه التى كلف بها فقد انتظر سنوات كثيرة بإنتظار تلك اللحظة ..تلك السنوات التى جلس فيها راكدا منتظرا الشخص الذى سيعيد ذلك الرفات إلى حيث ينتمى ، تلك الحياة تبعث الألم فى الروح وفى الوقت نفسه تبث فيه الأمل ، لقد انتظر كثيرا.. أصبح الآن كل شىء مرهون بهذا العجوز الذى يحاول النجاة باسمه لكن ربما يحمله إلى هلاكه لكن لا يهم لقد قطع أميال كثيرة ..فلن تهدأ روحه ولا جسده إلا لنجاح خطته التى لابد أن تنجح حتى وإن كان العجوز الثمن.

مضى ذهابا وإيابا فى غرفته يفكر فى حيرة يتخلله الخوف أن يكون ذلك مكيدة أعدها هذا الشاب مع أرت للإيقاع به لكن بدا كلام الشاب مقنع فإستوحاء الأعمال الأدبيه من أرض الواقع لا تعد سرقة فهى كالخيوط الحقيقية تنسج بأسلوب أدبى وتخرج فى صورة عمل روائى.. فلا مفر من المجازفة بتلك التجربة فهى السبيل الوحيد المتبقي له الآن.

شعر أن جسده متعب ثقيلا للغايه فحمل نفسه إلى سريره ووضع مخدته خلف ظهره فى استرخاء أغمض عينيه متنهدا بعمق فسمع صوت قائلا: كالعادة لا أرى سبيل لتلك التنهيدة إلا أنك مرهق ، انتفض (ماك) من نومه يبحث حوله عن صاحب الصوت لكن الغرفة خالية إلا منه.. فتح باب الغرفة وألقى نظره بالخارج لكن لم يجد أحد!،ظن أنه مجرد أوهام أو تخاريف عقل عابرة ،عاد إلى السرير وأرخى ظهره مرة أخرى ما إن أغمض عينيه حتى سمع الصوت قائلا: يبدو أنك غفوة مجددا انتفض فزعا.. تلك المرة ليست تخاريف عقل لقد تأكد من الصوت , فجأة تسمرت عيناه حين فتحهما , فوجد نفسه فى غرفة عتيقة ترسم ملامح زمنه على جدران قصر فخم به سرير كبير وعلى كل جانبيه أبجورة فاخمة وبجوار السرير دولاب فخم مزين بألوان الذهب وفى منتصف الغرفة رأى إمرأة جميلة ترتدى قرطان من اللؤلؤء الأبيض ثم التقطت أحمر الشفاه واقتربت أكثر من المرأة وبدأت تتزين ، نظرت إليه خلالها فلاحظت أنه ينظر إليها ابتسمت المرأة قائلة : لقد غفلت فى نوم عميق آسفة لأننى جعلتك تنتظرنى حتى ارتدى ملابسى , لابد أن سهرة الامس وعملك بالمكتب طوال الليل سبب ذلك ، وضعت برفان على معصميها ودلكت كلا المعصمين ببعضهما ثم مررتها حول عنقها وهى تقول لقد تركتك تنال تلك الغفوة حتى انتهى، انتظرت ردا على كلامها لكنه كان يبدو فى نظرها لم يستفيق بعد فقالت: إن أردت النوم فلا بأس سنأجل أم أخبر (فيرنا) أن تحضر لك فنجان من القهوة لتستعيد تركيزك هز (ماك) رأسه نافيا أنه لا داعى لذلك وقف يتفحص الغرفة التى تحولت من العدم إلى رونق وجمال عتيق وسط تعجب المرأة له متسائلة إن كان بخير لكنه تجاهلها وأسرع ينظر لنفسه فى المرآه.

كانت ملابسه تخبره أنه انتقل من عالمه لحقبة تاريخية أخرى إلا أنها فى غاية الرقى والأناقة فقد كانت على الطراز القديم ،صدرية سوداء اللون يطل من أعلاها قميص أبيض بربطة عنق أنيقة ومعطف طويل حتى القدمين بنى اللون، توقع أنه فى حلم حملة إلى زمن أوائل القرن

العشرين لكن الغريب أنه لم يرى وجهه! كانت هناك غمامة على وجهه لم تمكنه من الرؤية جيدا اقترب من المرآه ليرى وجهه بوضوح لكنه لم يستطيع الرؤية.. تعجب فى نفسه وتسمر مكانه بعقل يتضارب بالأسئلة لم لا يرى سوى ملامح باهتة من وجهه فقط ، فاجأته المرأة قائلة وهى تمد يدها إلى وجهه : لن تستطيع الرؤية بدون نظارتك لقد نسيت أين وضعتها كالعادة!.. بحثت عنها فوجدتها فى مكتبك بين الأوراق المتناثرة لا أدرى ما الذى يشغل بالك فى تلك الليالى ونحن مازلنا فى أول أسبوع من زواجنا.

زواجنا؟! ترددت الكلمة بعقله لا يصدق أن تلك الحسناء زوجته تسمرت عيناه تتأملها كانت إمرأة حسناء للغايه ترتدى تنورة قصيرة أسفل ركبتيها بعض الشىء وجاكت قصير مفتوح تحته قميص مطرز بلألأ وياقة مموجه إلى منتصف الصدر ثم ارتدت معطفا أقل طولا من تنورتها كانت فى غاية الجمال والثراء , جسدها الدقيق وشعرها القصير الممووج كالذهب وقرطين من اللؤلؤء كأميرة من الطبقة الارستقراطيه.. فجأة وجد نفسه يحتضنها ..غاب عن عقله حقيقته أنه لا ينتمى إلى هنا، كأن شىء يقوده ويسيطر على تصرفاته لكن قلبه كان مفعم بالحب لتلك المرأة !لا يشعر بالغرابة منها بل بالحب والشغف كطفلته المدللة والمرأة التى شغفته حبا! لا يستطيع حمل عينيه عنها , أمعن النظر إليها حيث حركاتها سريعة خاطفة كالبرق متحمسة للخروج, ضبطت ربطة عنقه وهو يتأملها ثم احتضنت وجهه بكفيها قائلة : أصبحنا جاهزين ياعزيزى.. أنت رائع جدا اليوم ثم قامت بتقبيل شفتاه.. هيا بنا سأنادى (فيرنا) لتأتى معنا لم تمهله الفرصة ليرى وجهه بعدما ارتدى نظارته ويتعرف على ملامحه , جذبته من ذراعه مسرعة ، (فيرنا) خادمتها إمراة سوداء البشرة بعض الشىء لكن وجهها كان يشع نور الحب النابض من قلبها للزوجين ، كانت ترتدى تنورة قصيرة واسعة وقميص أبيض أدخلته فى تنورتها توحى حالتها المالية أقل كثيرا من الفتاة .. ترتدى فوقها جاكت يبدو أنه جديد أو هدية الفتاة لها لزواجها ، تعجبت

الزوجة من (فيرنا) التى لم ترتدى ملابسها الأنيقة للخروج لكنها تحججت أن الوقت لم يسعفها لإرتداء الزى المناسب لذلك ستكتفى بإرتداء هذا المعطف الأنيق وغلقه، ابتسمت الزوج ابتسامة دافئة كذلك زوجته قائلا: أنت رائعة يا (فيرنا) هيا بنا نمضى ...كم أشتاق لرائحة الهواء النقى بالخارج لقد مللت من هواء المنزل الراكدة تلك..

خرجوا ثلاثتهم تحتضن الزوجة زوجها بحب مفعم يلاحظه من يراهما أنهما زوجين حديثين العهد تتبعهما (فيرنا) تتباطىء خطواتها لتعطى لهما مساحة من الحرية كانت السعادة تملأ ابتسامة (فيرنا) وازدادت فرحتها بتأملها لهؤلاء الغرباء التى تزور بلادهم للمرة الأولى فى حياتها فلأول مرة ، تتأمل الأماكن والأشخاص وترى وجوه وتسمع لغة لم تراها أو تسمع بها من قبل إلا عن طريقة سيدتها الشابه التى تحكى كثيرا عن تلك البلاد التى تسافر لها كثيرا، داعب أنف الزوجة رائحة ذكية نابعة من مخبز للحلويات فى مقدمة الطريق٠٠ جذبت زوجها من زراعه ليسرع إليه فالرائحة الشهية جعلها تشعر بالجوع , سألها إن كانت فى حاجة بالفعل للذهاب إلى مخبز الحلويات أو إلى مقهى لإحتساء القهوة لكنها أصرت على الحلوى أولا، ثم اتجهت إلى خادمتها قائلاً أراهن أن (فيرنا) أيضا ابتلعت ريقها عندما شمت تلك الرائحة الشهية أليس كذلك!؟ ،هزت (فيرنا) رأسها قائلة عده مرات نعم ياسيدتى .

ابتسم لهما الزوج وأسرع بهما إلى المخبز كانت الرائحة النابعة من الحلويات والمخبروزات المرصوفة على الأرفف.. جعلت (ميلين) تحتار فى اختيار الحلوى التى تريد وحينما استقر رأيها على عدة أنواع كانت لا تزال تتردد على الأنواع الأخرى تشم رائحة كان زوجها يراقبها فى ابتسامة لتلك الحركات الطفولية الجميلة وهو يدفع ثمن علبتين من الحلوى لها ول (فيرنا) أثار تعجب (ميلين) أنه يحمل علبتين فقط من الحلوى فسألته لماذا اشترى لها ول(فيرنا) فقط ألا يعجبه

شىء هنا !؟ أجابها أنه ليس مغرم بالحلويات كثيرا يكفى عليه (ميلين) فهى أطعم حلوى قد تزوقها قلبه ورآها فى حياته فرائحتها أشهى إليه من أى حلوى ابتسمت (ميلين) واحتضنت ذراعه ..أشار إلى (فيرنا) أن تأخذ علبتها وحملت (ميلين) علبتها فى يدها ،خرج ثلاثتهم سعداء وما إن اقتربوا من إحدى المقاهى فتوقف الزوج وأخبرهما أن عليهما الإنتظار هنا أمام المقهى يجلسان إلى إحدى الطاولات بالخارج يستمتعان بتناول حلوتهم ..تغيرت ملامح (ميلين) قليلا لإدراكها ما الذى سيفعله زوجها فى ذلك المقهى لكنها سرعان ما ابتسمت حينما سألها هل ستكونان بخير إن انتظرتمانى هنا قليلا فلن أتأخر عليكم.. ابتسمت له (ميلين) وهزت رأسها موافقة ، انتظر إلى أن جلستا إلى إحدى الطاولات وقام بفتح علبة الحلوي لكلالهما وما إن بدأتا فى تناول حلوتهم الخاصه قائلا : استمتعا بها حتى أعود

لم تسأل (فيرنا) شيئا عن ما الذى سيفعله ولما تلك الحركة الغريبة وتركهما هنا بالخارج بينما هو مجرد مقهى يلتقى فيه الغرباء من الجنسين لكن اهتمامه البالغ بهما كطفلتين جعلتها تدرك أنه ربما هناك شىء لا يرغب فى إثارة تعبهما برؤيته أو التفكير فيه ، نظرت إلى سيدتها التى ابتسمت لها وحثتها على تناول الحلوى،وضعت (ميلين) أول قطعة حلوى فى فمها لتوحى ل(فيرنا) أن الأمور بخير لكنها كانت تتسائل بينها وبين نفسها عن الوقت الذى سيتخلى فيه عمريهما عن الحياة فما يفعله زوجها سيؤدى إلى نهاية ذلك الزواج التى تكتب نهايته كبداية القصة.

دخل المقهى وهو يخرج غليونة من معطفه .. فجأة وقف ثمانية رجال كانوا جالسين بشكل نصف دائرى يتوسطهم رجل أكبرهم سنا فى الخمسين تقريبا والذى قطع دخول الزوج كلامه وهو يخبرهم أنه لا يتأخر عن موعده لا تقلقوا سيأتي والذى أصابهم الفزع حين اقتحم عليه الباب غفلة وجدوا الزوج أمامهم يشعل غليونة فى هدوء شديد مبتسما

قائلا : لقد سمعتك ياصديقى ..أسف علي التأخير.. كان على الإعتناء ببعض الأمور

جلس الجميع ينظرون إليه بينما قال أحد الرجال الجالسين فى لهجة تكشف عن مافى مكنونه من غضب وغبضه له : لقد فاتك الإجتماع، زفز الزوج دخان غليونة مبتسما : أعلم

اشعلت تلك الابتسامه غضب الرجل فعلى صوته قائلا : أن الوقت لا يسعهم حتى يعيدا شرح لك الخطة من البداية .. وضع قائدهم يده على كتف الرجل الغاضب مطمئنا له أنه يعلم بالخطة من البداية لقد كان معه أثناء الترتيبات لتلك الخطة وهو على علم بها جيدا، عاد الرجل لمجلسه فى حرج قائلا أن يجب عليهم الحرص على ألا يتبعهم أحد أو يشك بأمرهم ،كان يستمع قائد المجموعة له وهو يطل من النافذة , يتفقد الأمر إن كان أحدهم اتبع الزوج أثناء قدومه فتعجب وقضب حاجبيه متجها للزوج متسائلا : أليست تلك السيده (ميلين)؟!

وجد الرجل شرارة الغضب التى يثور بها متجها إلى الزوج موبخا.. متهم بالجنون لإحضار زوجته إلى هنا فماذا سيحل بهم إن علمت بأمرهم فستعرضهم جميعا للخطر ، تصلب وجه القائد غاضبا وقضب جبينه ناظرا إلى الرجل نظرة ثاقبة جعلته يبتلع ريقه ، ثم علا صوته مخبرا الجميع أن السيدة (ميلين) لا خوف منها على الإطلاق ثم ابتسم سريعا لتلطيف الجو الذى شابه الكثير من التوتر والضغط وربت على كتف الرجل ليزيل الحدة التى خلقت بينهما قائلا بأنها تعلم أنها فى رحلة للإستمتاع بزواجها ..نظر من النافذة متبعا قوله ..كما أنها تستمتع بحلوتها الشهية .. فنهض الزوج وربت على كتفه قائلا : لا تقلق يا (يونس) قبل أن تنطلق الرصاصات إلى صدرك ستخترق صدرى أولا ، فجأة اقتحم أحدهم باب المقهى فانتفض (ماك) من موضعه فسقط على الأرض متألما , نظر حوله فوجد نفسه قد سقط من السرير.. لقد كان يحلم ذلك الحلم مجددا،كان هاتفه يرن , أسرع إلى

الهاتف تفقد المتصل (روى) تنهد فى عمق ليستعيد تركيزه ورباط جأشه فتح الهاتف ووضعه على أذنه بإنتظار تلك الكلمة التى ينهى بها التعاقد ويطلب بالتعويضات ، فجأة صرخ (روى) أيها الكسول هل أنت نائم؟ تلك الحلقة الجديدة جعلت القراء يتسائلون عن بقية أحداثها : (ماك) أنت عبقرى لقد ظننت أن أمرك انتهى ياصديقى لكننى كنت مخطأ آسف لذلك سأنتظر منك إستكمال حلقات الرواية عن قريب،(ماك) هل أنت معى؟!

أجاب (ماك) فى فتور متسائلا : عن أى حلقة تتحدث ؟!

تعجب (روى) حلقة الليلة! يبدو أنك مازلت نائما عندما تستفيق اتصل بى.. لن أتنازل عن تلك الرواية هنيئا لك العودة يا صديقى

أغلق (روى) مسرعا بينما تعجب (ماك) متسائلا ما الذى يحدث ؟وعن أى حلقة يتحدث لا أرى فى الحلقة السابقة شىء يجذب القراء إلى هذا الحد ربما بالنسبة لى لكنها نالت إعجابهم ، ترك التفكير لعقله ،وقف يبحث حوله عن تلك الحياة التى انتقل إليها لا يعرف كيف أكان حلم أم تخاريف لكنه مازال يشعر ببرودة الجوالمثلج وبعذوبة شفاه تلك المرأة الجميلة (ميلين) على شفتيه وبدفى جسدها وهى تحتضنه وبرائحة الحلوى التى ابتلع ريقه ليستشعر بها أكثر فكأنما تزوقها للتو.. فجأة خطر بباله شىء فانتفض راكضا للأسفل حيث غرفة المكتب كان يتعثر فى خطواته فتح باب الغرفة فى خوف وجد كل شىء كما تركه، أوقفه صوت الشاب العربى من خلفه متسائلا إن كان السيد (أرثوفيتش) يبحث عن شىء ،كان يجلس فى هدوء على الأريكة بغرفة الضيوف يتناول كوب من القهوة العربى وقد حضر كوبا ل(ماك) أيضا سأله وهو يجلس أمامه يلتقط الفنجان : ألم تغادر؟

أرتشف رشفة من القهوة قائلا : أاتعجب لأمرك ومزاجك المتقلب ألم تخبرنى أن أمكث هنا حتى أطيب الآن, تسألنى لماذا لم أغادر!؟ ألا

ترى ذلك - أشار إلي الجرح - أن صاحب المقهى لن يقبل أن يعمل شاب مصاب قد يثير الزعر بين زبائنه بفضلك أصبحت عاطل عن العمل ، كما أن بيننا اتفاق أليس كذلك؟

قضب (ماك) حاجبيه متعجبا متسائلا عن أى اتفاق يقصد الشاب، فأخبره اتفاق أن السيد (أرثوفيتش) سيقتبس عمله الجديد من حياته ثم طرأ الشاب قائلا : لقد وفرت عليك الوقت ودونت أول خيط فى قصتك المقتبسة عن حياتى ،أنزل (ماك) الفنجان من شفتيه وتجهم وجهه وقد اختلطت به الألوان قائلا : هل لمست شيئا - أشار إلى غرفة المكتب - أرتشف الشاب رشفة من فنجانه بهدوء قائلا :

كما أخبرتك دونت أول خيط فى قصتك المقتبسة عن حياتى،انتفض (ماك) مهرولا إلى غرفة المكتب ..قام بتفقد صفحته فوجىء أن الحلقة الجديدة قد كتبت ..استشاط غضبا وصرخ صرخة عالية حتى وصل صوته إلى الشاب بالخارج ثم ركض نحو الشاب وقبض على رقبته حتى كاد يختنق صارخا : كيف تجرؤ على فعل تلك الوقاحة أيها الحثالة العربية المثيرة للشفقة أتلك خطتك منذ البدايه!؟ أن تكون كاتب الظل لى !! لن يحدث ذلك أبدا ساأزج بك فى السجن , لا يهمنى ما إن أخبرت الشرطة بما حدث لك , فقد كانت حادثة على أى حال ثم لطمه على وجهه فسقط الشاب متألما ونزف فمه دما , أدرك الشاب أن تلك المجازفة ستثير حفيظة (أرثوفيتش) وقد تؤدى إلى نتائج غير محمودة لكنها الوسيلة المتاحه أمامه ليضع (أرثوفيتش) أمام الأمر الواقع فلا يتردد أو يرفض تعاونه ليخضع لسيطرته لتتم خطته بنجاح

****

وأنت ما الذى تتذكره عنى؟

يقال أن الموهبة العظيمة تكشف عن نفسها منذ الصغر ،حينما فازت تلك الفتاة الشقراء بجائزة أفضل قصة قصيرة بالمدرسة.. فزت أنا بأفضل رسمة في المدرسة وكرمت معها ووقفت جوارها تكرم أمام المدرسة، ارتبطت بها كثيرا فصمتها ووحدتها تشبهان صمتى ووحدتى القاتلة لقد كنت مبتور الأصدقاء مثلها لا أدرى ما اسمها هى فقط لا تترك مخيلتى لكن بدأ قلبى ينشغل عليها كثير فاليوم هو الثالث لتغيبها عن الدراسة كان عقلى دائم التفكير فيها حتى في طريق العودة ألى المنزل, كان يتخلل عقلى سؤال لماذا لم تأتى تلك الجميلة ذات الشعر المذهب.. فيرد عقلى باقتراحات جمة أكثر من أنها ربما تكون مريضة فحمى التيفود منتشرة بمصر لكن كنت أمحى تلك الفكرة السيئة عنها بذكر شجاعتها وثقتها في نفسها خلال الأيام الماضية كيف كانت تخطو في فخر وفرحة شديدة وهى تستلم جائزتها من المعلم بعد فوزها بكتابة القصة القصيرة ، كان شىء جديد أن توجد مثل تلك المسابقات في المدرسة فكانت المرة الأولى التى أقف بجوارها عن قرب أثناء استلام الجائز ، فجأة قطع حبل أفكارى صوت عمى الأجش يأمرنى بحدة أن أجهز حقائبى بعد الغداء فغدا سنرحل من هنا فلا داعى للذهاب إلى المدرسة أو القلق بخصوص التعليم فسأتوجه إلى المدرسة حين العودة لموطنى.. سقطت كلماته كالصاعقة أهكذا بدون سابق إنذار نترك مصر بين ليلة وضحاها!؟ أهكذا سأغادر دون امتلاك الحق في قول كلمة وداع إلى مدرستى وذلك الوطن بأركانه الذى لم يشعرنى للحظة أننى غريب عنه؟! تردد على لسانى سؤال لماذا الآن ولما الرحيل المفاجىء دون داعى اغتاظ عمى لكن هرولته وانشغاله بجمع الأوراق وحقائبه منعته من توبيخى بكلماته اللذعة كان جوابه محدود على أن لا أترك أى أثر ولا حتى قطعة صغيرة من الورق تدل على تواجدنا هنا وعلينا الإسراع قبل الفجر لنعد أنفسنا للمغادرة , أتذكر تلك الليلة جيدا حين جمعت أشيائى دون قول وداعا دونت في صفحات عقلى تلك الذكريات في المدرسة وتلك الشقراء وكل ركن خطت به قدمى بمصر في ذاكرة قوية

في وقت كان التذكار جوابا أو صورة عابرة أو زهرة تذبل بين أوراق كتاب، لم أمتلك الفرصة لإلقاء النظرة الأخيرة أو الوداع الأخير ولكن من يدرى ربما لن يكون الأخير!؟

كانت الحيرة تقتلنى والفضول يشعل صدرى ويحرقه عن معرفة السبب لذلك هل نحن مطاردون!؟ ولكن لما المطاردة ، أتذكر ذلك الشعور المضطرب الذى اعتلانى في ذلك الوقت كان آذان الفجر بجوار الأزهر آخر أذان أسمعه في مصر فقمت بتدوين بعض الذكريات في عقلى لفها الحنيني إلى قلبى ، صوت الأزهر الذى يقشعر له الأبدان.. أخذت تذاكر من مصر وحفظته في عقلى إلى جانب الأشياء التى نبتاعها من أسواق مصر كانت التذكار المادى الوحيد الذى أمتلكه إلى جانب صلاة الفجر بصحبة عمى يوميا والعودة إلى المنزل لكن سأرحل دون اغتنام فرصتى واقتناص من كل شبر ترك لى ذاكرة طيبة في قلبى تذكارا في تلك الليلة لم نصلى بالأزهر بل في المنزل ، صلينا على عجالة غريبة بالكاد أتلمس جبهتى الأرض في السجود أنهينا الصلاة دون سجادة فقد كان هكذا على الأرض مباشرة , حملت حقائبى ونزلت إلى الأسفل أمام المنزل بانتظار عمى الذى سرعان ما لحقى بى.. فجأة جاءت سيارة يقودها اثنان ما إن رآهم عمى حتى أمرنى في الإستعداد فسنرحل الآن ..نزل الرجلان وأخذا منا الحقائب ووضعاها بداخل السيارة فتح أحدهم لى باب السيارة وأجلسنى ثم توجه إلى عمى يتناقش في أمر ما مع زميله الآخر بدا أن هناك شىء غريب وخطير فوجوههم صارمة ونظراتهم حذرة طرقت لأذنى السمع فسمعت أحدهم يهمس قائلا: (يجب عليك الرحيل الآن فهذا الوقت المناسب وفى الوقت المناسب سنرسل ..الأمانة لك مع أحدهم)

كنت صغيرا لا أدرك ما هى تلك الأمانة التى يتهامسا عليها بذلك الحذر الشديد حتى امتنعا عن الحديث فيه أمامى ودع الرجلان عمى ثم ركب السيارة وقادها بينما اختفى الرجال في لحظات فور انطلاقنا حين التفت

لأراهما إلى أين يذهبان!؟ ،انتابنى الخوف فالأمور لا تبشر بالخير أتى في عقلى أننا فعلنا شىء يخالف القانون وعلينا الرحيل الآن وإلا مصيرنا السجن ، تغلب الخوف على حزن الوداع ..سألت عمى ما معنى ذهابنا هكذا دون تدبير مسبقا !؟ لماذا بدا كل شىء فجأة !؟ لكنه لم يعير لسؤالى انتباه إلا بعد لحظات فأجابنى ووجهه نحو الطريق قائلا: إن الأمور استدعت ذلك ، قلت في نفسى لماذا لم ألقى النظرة الأخيرة!؟ حتى على الأصدقاء فجأة خطر في بالى أن أطلب منه أن يمر بمدرستى لأراها فأودعها قبل العودة لوطنى نهرنى بغضب وهو مقضب الحاجبين قائلا: هل نسيت قوانيننا حينما جئنا هنا ،ارتعبت كثيرا فحينما جئنا إلى هنا القى على عمى عده قوانين كان علينا اتباعها وتنفيذها حتى نتضمن البقاء في امان احدى تلك القوانين واوثقها الا نربط قلبنا بمكان اخر مهما كان عزيز ألينا إلا الارض والوطن فقط قائلا في حزم: ألم أخبرك ألا تعلق قلبك إلا بشيئين فقط دينك ووطنك لا بمدرسة قد أمضيت فيها سنة .. جلست والحزن يخط في أوردتى سمومة , أحمر وجهى خجلا وعز على نفسى أن أقل الأشياء ليست حق لى، سقطت من عينى دمعتين لكنى مسحتهما مسرعا حتى لا يدركها ، فكرة أنك لن ترى الأشياء التى أحببتها بشدة تقتلك ببطىء شديد لكن قتل الروح مؤلم، نظرت إلى عمى بطرف عينى فوجدت علامات الحزن ارتسمت على وجهه لإغضابى حتى شعر بالخذلان والأسف لرده الذى لم يقصده ، أدرت رأسى لإشبع عينى بتلك الشوارع التى لا أعلم متى سيكون الموعد القادم بيننا , فجأة وجدت نفسى في طريقى إلى المدرسة , نظرت إلى عمى غير مصدق هل مضى من هنا لأجلى أم أن الطريق يحتم عليه المضى بها ' نظرت إليه لكنه كان ينظر للطريق سعدت كثيرا ووقفت على مقعدى أتأملها وأملىء عينى منها , التفت إلى عمى فوجدت وجهه بشوش بضحكة متخفية ،عدت أنظر إلى مدرستى لم أترك نظرى عنها حتى اختفت عن أنظارى توجهت إلى عمى متسائلا: هل سنعود مجددا؟

عبس وجهه كأنه أيضا يحن لشيء ما هنا قائلا في يأس يحاول التباهى بالصرامه : ربما أجل وربما أبدا

فجأة ساد الصمت بيننا ،الله وحده أعلم متى نعود هنا مرة أخرى إلى تلك الأرض التى أتينا إليها بين ليلة وضحاها ، فقد جئنا إلى مصر بعد شقاء طويل لا أذكر منه شيء سوى مرورنا بالأردن أولا, كانت هى المدخل الأول والملجأ الوحيد حتى نتمكن من دخول مصر لا أدر ى ما السبب ربما للنزاعات التى في وطنى التى لا أدرى ماهى حقيقتها الواضحة إلى الآن وربما خوفا من شيء آخر , كلما حاولت أن أفهم ما الأمر ..يأمرنى الجميع أن ألتزم الصمت أو أخرج وأتركهم يتحدثون و ألا اهتم إلا بدراستى فقط لكننى كنت لا أطيق البقاء دون معرفة إجابة للأشياء التى بعقلى كان الفضول عنوانى والسذاجة صفتى هكذا أطلق على عمى الذى اتخذنى ولدا له ،كان عمى هارون رجلا في الثلاثين من عمره يكاد من يراه يظن أنه أخى الكبير.

كنت صغيرا إلى الحد الذى لم أشغل فيه الفكر بالأحداث المتضاربة حولى ، طفلا لا يعبأ إلا بالدراسة فقط لكن أتذكر ذلك اليوم الذى تركت فيه منزلى آتيا إلى مصر كان في مثل ذلك الوقت تقريبا كنت أغص في نوم عميق اختلطت فيه أحلامى باليقظة على أصوات متداخلة لا أفهم منها شيء حتى اهتديت وميزت صوت أمى تخبر أبى أنها جهزت كل شيء فأخبرها أن تذهب لتوقظه.. من الذى ستوقظه أمى في هذا الوقت!؟، هل الدراسة بدأت ؟ أم بزخ الفجر؟ فتحت عينى رويدا أنظر بإتجاه الشباك الذى يعلو رأسى فوجدت أن الليل مازال يسدل ستائره فعن من تتحدث فجأة شعرت بأقدام أمى تقترب , أغمضت عينى في سكون وأنا أتلصص الصمت إلى أصوات قدميها إلى أين سترسى بها هل بأحد من أخوتى الذين ينامون بجوارى في الغرفة أم من؟فجأة اقتطع حبل تساؤلاتى وأرست أقدام أمى أمامى وشعرت بيدها توضع على كتفى تربت بحنوا وتنادى على أن أستيقظ بسرعة , تفاجأت أننى أفقت

بسرعة غير المعتاد فدائما أتعبها حين توقظنى كل ليلة من نومى العميق.. وجدت في عينها دموع تعكس تلك الابتسامة الكاذبة التى ارتسمت على شفاهها ..أصابنى الخوف اتسعت عيناى معلنة خوفى الذى يتردد صداه بداخلى سألتها إلى أين يا أمى في ذلك الوقت التفتت والتقطت معطف ثقيل وبدأت تمسك ذراعى وتساعدنى في ارتداءه قائلة أن على الذهاب مع عمى دون كلمة سيهتم عمى بى على ألا أتركه أو أفارقه وإن استمع إلى كلامه دون جدال ..ثم احتضنت وجهى بكفيها الدافئين ثم حضنتنى بقوة , فجأة دخل أبى بصوت هامس أن على الرحيل الآن قبل ان تشرق الشمس ويستيقظ اخوتى ..ترجته امى في حزن ان يتركنى احتضن أخوتى وأقبلهم لكنه نهرها بشدة قائلا أن الوقت غير مناسب للوداع أبدا ، دائما يصبح الوقت غيرمناسب للوداع حتى يحين الوداع، جذبها من ذراعها لتذهب لترتيب أشيائى ثم التفت إلى , ركع على ركبتيه وبدأ يهندم ملابسى وعيناه لا تجرؤ على النظر في عينى , أمرنى في حزم لكن صوته كان به شىء من الخوف أن أستمع لأوامر عمى هارون فمنذ تلك اللحظة لابد أن أكون رجلا , لا أخاف شىء أن أكون على قدر من المسؤلية , أمسكنى بقوة من ذراعى ونظر في عينى بقوة يشبع عينه من وجهى ثم ضمنى بقوة كادت تطيح بأنفاسى خارج صدرى ثم جذبنى من كفى إلى الخارج ..رأيت أخى الأكبر وعمى ينتظرانى في الخارج كانت هناك عربة لتنقلنا اتجه إلى أخى ووضع على رقبتى شاله العربى وربت على كتفاى مبتسما , أراك بخير ..انتبه إلى نفسك جيدا وقبلنى وضمنى بشدة تلك المرة الأولى التى أنال فيها قبله من أخى وأشعر بذلك الحضن الذى يشع حرارة خوف الفقدان ..كنت وسط كل هذا المشهد الدرامى لا أفهم شىء على الإطلاق لا أدرى إلى أين سأذهب ولا سبب الرحيل. لم يقلقنى شىء إلا مدرستى.. فإلى أين سأرحل وأترك مدرستى ورفاقى ..لا أدرى، ركبت على العربة والتفت برأسى ألقى النظرة الأخيرة على ديارى , وجدت أخى واقفا بجوار أمى بينما أبى قد غاب عن الرؤية لا أدرى إلى أين

ذهب لما لم يخرج لتوديعى ..أرجح أنه مازال ماكثا في مكانى الدافىء الذى لم يبرد بعد يتحسس وجودى بين أخوتى ..لم تغفل عيناى عنهم حتى أبعدتهم المسافات ..واختفى الجميع عن الأنظار , التفت إلى عمى لعلى ألتمس منه كلمة تطمئن قلبى إلى أين نذهب لكنه كان حازم حاد النظر شديد التحفظ إن انطق بكلمة معه، نادرا ما أراه يضحك أو اختلط في تعاملى معه ، فراحتى لم تكمن في روحه على الإطلاق إذن إلى أين يصطحبنى ، لا أدرى كيف يطيق إنسان مثله على التعايش , فمن مثله لا بد أن ينقرض أو شيئا ما ...والآن أنا مؤمر بأن أمكث معه واستمع إلى أوامره التى لا أطيق منها حرفا ولا أطيق أن استمع إلى صوته ..

فجأة نظر إلى فقشعر بدنى ..ظننت أنه سيتجه إلى بلسانه السليط لكنه أخبرنى في حزم أن قابلنا أى شخص لا أفتح فمى بكلمة على الإطلاق هل تفهم ..نطقت حاضر فغضب في وجهى قائلا : أخبرتك ألا تنطق بكلمة..هل تفهم حينها.. فهمت وهززت رأسى فرأيت الإطمئنان على وجهه ..مضينا كثيرا حتى مررنا بدورية في الأردن أخبرونا إلى أين نتجه , أخذوا عمى بعيدا عنى وعيناى تترقب الأوضاع قام رجلين بتفتيشنا جيدا أحدهم مسك ذراعى ليزيحنى عن مجلسى لكن عمى شاط فيه غضب أن الفتى الصغير مريض لا يسمع ولا يتكلم اتجه إلى الرجل ونظر إلى عيناى متسائلا : هل حقا أنت أصم.. أبكم ..لم أفهم ما يقول فقضبت جبينى ونظرت إلى عمى فأخبره بصوته العالى ألم أخبرك أن الصغير لا يسمع ولا يتكلم أنت تخيفه ثم أسرع إلى عمى واحتضننى, وربت على كتفى متظاهرا أن الخوف قد أصابنى وأوشكت على البكاء, ألقوا الحقائب على الأرض فرفعها عمى ثم أمروه بالمضى فمضينا, ترقبت الدورية وأنا جالسا بجوار عمى الذى سألنى هامسا : هل ينظرون إلينا.. كانت أعينهم متسمرة علينا لا تفارقنا حتى جاء أشخاص آخرون فغضوا النظر عنا وانشغلوا بهم , التفت ألى عمى قائلا: لا.. فجأة خفت أن ينهرنى لأننى تحدثت لكن . وجدت صوته بدا مريحا, كان

هناك شيئا أزيح من صدره قائلا : أنت رائع كنت خائف أن تتحدث حينها كنا لا نرى النور ..ثانيا أصابتنى تلك الكلمات بالخوف وانكمشت على نفسى.. لاحظ عمى ذلك الخوف فربت على كتفى مطمئنا لى.. أصبتنى الدهشة أن قلبه رق للحظات عن غلظته ،لكن أخذت عهدا على نفسى منذ تلك اللحظة أن أكون أصم.. أبكم فلا أدرى ربما ينطق لسانى بشيء ما قد يؤدى لنهايتنا لكن هناك سؤال حاضر تردد على عقلى ومن العجيب وجدت عمى يسألنى ذلك السؤال قائلا : هل تعلم ما معنى أصم أبكم ؟ هززت رأسى نافيا فابتسم ساخرا قائلا : إذن كيف تحفظ القرآن الكريم دون معرفة معنى تلك الكلمات ..قضبت جبينى في غضب وبدأت أعيد القرآن في عقلى فتردد على مسمعى الشيخ يقرأ علينا في سورة البقرة صم بكم عمى ووضح معنى الأصم والأبكم والأعمى.. فجأة نطقت بصوت عالى أجل الشيخ أخبرنى ثم انكمشت بسرعة في نفسى فقد أمرنى عمى ألا أتكلم والآن قد علا صوتى إذن سيوبخنى لكنه ضحك قائلا : أحسنت حينها قلت حدة الخوف وذلك الحاجز بينى وبينه ولكننى مازلت عند وعدى ألا أتكلم مع أحد مطلقا إلا عمى فقط.

طال الطريق كثير وقد غصت في نوم عميق ..فتحت عيناى فوجدت نفسى أمضى بين أناس يتحدون بلهجة أخرى غير لهجتى لكن بدا على وجوههم الطيبة والشقاء للرزق ..أحدهم ينادى على بضاعته فأدركت أننى في السوق.. فتحت عينى فوجدت نفسى نائما على كتف عمى !.. لكن سرعان ما غصت في نوم آخر ثم استيقظت على صوت عمى يوقظنى رأيتنى نائم على سرير حين استفقت ظننت أن ما مضى كان مجرد حلم مر توقعت أن ينتهي ..التفت فأجد أخوتى حولى ثم تذكرت أننى تركتهم إلى قادما إلى هذا المكان الذى لا أدرى ماهو نظرت حولى وأظهرت نظراتى تساؤلاتى فابتسم عمى قائلا أننى لست في وطنى فقد رحلنا وقد غصت فى نوم عميق وتعبت في منتصف الطريق.. قد كان الطريق شاق على صغير مثلى.. وجدت شرفة في الغرفة فأطللت برأسى منها.. كان الليل قد حل و الحارات مضاءة بنور خافت والأمور

تبدو ساكنة نوعا ما ..نادانى عمى أن أسرع لأتناول الطعام فنحن لم نأكل شيء منذ أن غادرنا حينها شعرت بالجوع حقا يفتك بى.. تناولت طعامى على عجاله كانت نظراته تتفحصنى وهو يبتسم قائلا : هل تدرى أين أنت؟

هززت رأسى لا فقد كان فمى ملىء بالطعام أردف قائلا : أنت بمصر ..تعرف مصر التى ذكرت في القرآن ،نحن سنعيش هنا لبعض الوقت لا أدرى كم من الوقت ، ستدرس فى مدرسة بمصر لكن عليك ألا تخبر أحد من أين جئنا ..

ابدا ما عليك سوى الإعتناء فقط بدراستك لا أكثر.. هززت رأسى موافقا، في اليوم التالى كنت أحمل كتبى وأقف على باب تلك المدرسة , أنظر إليها كانت كبيرة الحجم قليلا عن مدرستى بوطنى .. فجأة وضع عمى يده بظهرى دافعا لى برفق إلى أن أمضى إلى الداخل ..رأيت مدرس شاب رائع الطلة استقبلنى من عمى وأخذنى من يدى ومضى بى بعيدا... نظرت خلفى فوجدت عمى واضعا يده في جيبه , خيل إلى أنه سيتركنى مثلما تركت عائلتى لكن صوت المعلم طمئننى ونحن في الطريق أن على الإجتهاد فأقرب الناس إلى الله أصحاب العلم، فجأة وجدت نفسى أقف أمام فصل به معلم يدرس مادة اللغة العربية.. استقبلنى بابتسامة ومد يده لأسلم عليه مخبرنا بأن مقعدى جاهز لى.. أخذنى من يدى وأجلسنى في مقعد في نهاية الفصل ..تأملت كل من فيه لم يثير انتباهى سوى تلك الشقراء الجميلة ..التفت الجميع إلى ماعدا هى كانت تنظر للمعلم باهتمام ..ضرب المعلم بكفه على السبورة لينتبه الجميع إليه قائلا : أنه صديقكم الجديد سينضم للدراسة معكم ساعدوه إن أراد شيء، حينها شعرت برعشة الغربة والألفة التى اجتاحت جسدى رغم نظراتهم الغريبة إلى، وغربة البعد عن أسرتى إحساسان متضاربان لا أجد لهما تفسير..

استمرت الدراسة وأنا صامت لا أنبت ببنت شفه، فقد أخبرت الجميع أننى أبكم حين سألونى عن اسمى ومن أين جئت؟ خفت أن أنطق بشىء فأزيد الطين بله فاكتفيت أن أكتب لهم أننى لا أتحدث .. خرج الجميع إلى وقت الراحة بين الحصص فمكثت بفصلى أقضى الوقت واقفا على باب الفصل تارة وفى مقعدى تارة أخرى وحيدا فأرى تلك الشقراء ذات العيون الطويلة تجلس أيضا وحيدة أردت الذهاب إليها ..أسالها ما اسمها لكننى تذكرت أننى أبكم ..وقفت على باب الفصل أنظر إليها ويبدو أنها منهمكة في كتابة شىء ما لعله واجب الحصة القادمة ، اقتربت منها لكن لم يكن واجب بل كأنه جواب أو شىء ما ..بدأت حصة رسم ..أمسكت بقلمى أخبط على الكراسة لا أدرى ما الذى سأرسمه رغم أننى بارع في الرسوم لكن كنت أحب الموسيقى كثيرا ..نظرت حولى ..الكل منهمك برسومه تلصصت النظر من يرسم ورود أو طائرة وأنا أخبط القلم بصفحتى ناصعة البياض هممت أن ارسم وطنى ولكن الجميع سيعلم من أين أنا ؟..هززت رأسى نافيا ما يدور بعقلى ثم فجأة انتبهت إلى صوت المعلمة وهى تتناقش مع الفتاة الشقراء فقد كانت أيضا لا ترسم وإنما تكتب فجأة تحول الأمر إلى مشهد درامى وحضر مدرس اللغة العربية الذى لا بينى وبينه أى حوار فكثير ما يتجاهلنى لأننى أبكم لا أستطيع القراءة ..جلست الفتاة فأصابنى الفرح لما أصابها لأننى لست الوحيد الذى لم يرسم شىء لكن المعلمة تنبأت لها بمستقبل عظيم.. انتهت الحصة فاقتربت من الفتاة أرى ما الذى فعلته ليتنبأ لها بذلك المستقبل لصصت لأرى رسمتها لكنها لم ترسم شىء؟! بل كانت تكتب.. عدت إلى مقعدى وأنا استمع إلى الزملاء يتحدثون عن مهارتها في كتابة القصص القصيرة ..التفت إلى الفتاة كانت منغلقة على نفسها كثيرا بدأت انتبه لها ويزيد اهتمامى بها فأراقبها في كل حصة فهى لم تكن أقل منى في المستوى الدراسى كنت أراها مصدرسخرية لبعض الطلبة في الفصل لا أدرى ما السبب رغم جمالها وهدوئها الراقى إلا أنها غير محبوبة على الأطلاق من زملائها أحيانا في حصص الرسم أجدها

تتلصص على رسومات فألمح الدهشة على وجهها ،تحولت إلى بطل لها فى حصة الرياضيات حين انتقلت من مقعدى إلى مقعد بالقرب من السبورة وبدأت ألقن لها حل المسألة ..فرحت حين رأيتها تجلس مكانها في عزة نفس وانتصار على تعسف المدرس بتا، ثم خرجت من الفصل بإستدعاء أحد المدرسين الذى نطق باسمها الذى لم أسمعه جيدا.. نظرت في أمرها كثيرا هل يعقل أنها من نفس الوطن لكنها تخشى أن تتحدث مع أحد فيعلم بالأمر؟! سر قلبى حين انتاب عقلى ذلك الأمر فكنت أراقبها وحين عدت إلى عمى أخبرته بها لكنه لم يعطى الاهتمام لذلك الأمر كنت أراه منهمكا في بعض الأوراق حوله تارة وبين الجريدة تارة أخرى وفي ليلة رأيته يستشاط غضبا يردد الملاعين أسياد هنا وهناك أيضا ..التقط الجريدة.. رأيت خبر باحتفال الملك بالعيد اليهودى وتهنئة اليهود بذلك.. كانت تلك اللحظة التى تفتح فيها عقلى للأمر ..خرجت إلى الشرفة أنظر إلى هؤلاء المارين بمصر وأرى في وجوههم احتفالاتهم بالعيد لكن البعض كان يقرأ الجرايد والأخر منشغلا بحاله.. كانت مصر تعج باليهود، لا تنفك أن تخطو بقدمك في منشأة حكومية أو خاصة إلا وتجد يهودى يتخذ فيها مقعدا . كان هناك تماذج غريب بين اليهود والمصريين بالكاد تفرق بين المصريين بدياناتهم المختلفة بين مسلم ومسيحى أو يهودى الجميع نسيج واحد تجد في حارة اليهود بعض الفتيات يمضين يرتدون الأبيض احتفالا بأعيادهم اليهودية .. وقليلا من الحاخامات لكنهم لم يكونوا بنفس التشدد الذى أراه في وطنى ،وجودهم في مصر كان يبعث في نفسى الراحة بالتعامل معهم بعكس وجودهم في موطنى ،لم يزمجر منهم المصريين للحظة بينما كانت الزمجرة والغضب تعلن عن نفسها بيننا في أرضى ، اذكر تلك الحادثة التى أصدمت بأحد الرجال في طريقى للمدرسة فالتفت إلى وربت على رأسى واطمئن على ثم وجدت أحد يناديه شمعون! يهودى وبتلك الرأفة! كان الذى يناديه رجل مسلم أخبره أنه انتظره منذ أن انتهى من صلاة الفجر ..أوقفنى ذلك الأمر إلى الحد الذى اتبعت فيه الرجلين كانا

يتسامران كأخوه يستعجل كل منهم الأخر للذهاب لمكان ما ربما للذهاب للعمل ..لا شك في هذا التماذج والمودة بينهم فالقصر الملكى نفسه يعج باليهود من الرجال والنساء ،وأصبحت التجارة هنا لأصحاب المال من الأسياد اليهود الذين جاءوا فرارا من الدول الاوربية لاضطهادهم فلم يجدوا المأوى أو الحضن الدافىء إلا في أحضان المصريين الذين امتزجوا بهم وبين ثناياهم كقطرات المطر الممزوجة بمياه المحيط لا تستطيع التفرقة بينهم حيث تجد بعض اليهود يتكلمون اللغة العربية الفصحى أو بعضهم باللغة العامية المصرية التى لم أجد صعوبة في فهمها فمعظم كلامهم باللغة العربية الفصحى لإعتزازهم بها وخاصة اليهود الذى أبلغ ما أدهشنى فيهم هو حفظهم للقرآن الكريم بأحكامه وأقوال الحديث حتى استشعرت في نفسى انهم مسلمين فلما يدعون بأنهم يهود لكنهم في الحقيقة يهود!

الثراء الفاحش كان يرفع مقامات اليهود بداخل مصر كانت القاهرة تعج بهم وكذلك الإسكندرية.. علمت من عمى أنهم أسياد الاقتصاد في مصر إلا في بعض العائلات اليهودية الفقيرة التى لا تملك قوتها تعيش في بيوت الأوديش في حارة اليهود تلك الحارة التى تجمع بين جميع طوائف اليهود وأنواعهم باختلاف جنسياتهم العربية أو الأوروبية إلا أن الحال قد تغير بعض الشيء لهؤلاء بسبب المعونات الأجنبية التى يتلقونها من فرنسا أو انجلترا لتحثهم على ترك بلادهم والمكوث هنا في مصر، مضى الفصل الدراسى الأول وبدأت الأجازة وأصبحت مدركا لبعض الأمور السياسية لكن إلى الآن مازالت لا أفهم وضع عمى الغريب.. كان ما يخفف حدة الفكر والتدوين بعقلى تلك الشقراء الجميلة التى لا أدرى ما اسمها إلى الآن هل أذهب لأسئلها لكن كيف والكل يعلم بأننى أبكم لا أتحدث .أأكتب إليها ورقة أسألها من هى وما هو؟ اسمها فنحن متشابهان كثير وحيدين الجميع ينبوذنا ويبتعد عنا لا أصداقاء ولا عداء سوى الصمت والوحدة اعتزمت الأمر أن أذهب إليها بعد.. بدا الدراسة وأسألها من أين هى وما اسمها؟؟ ..مضت الأيام كنت أرى عمى يجتمع

بأصدقائه ويجلسنى في غرفتى بينما هو يجلس معهم في صالون المنزل يتحدثون في شىء ما بسرية شديدة في إحدى الليالى رأنى أحدهم أتلصص عليهم فصمت وتسمرت نظراته إلى فالتفت الجميع بنظره إلى فكشف تجمعهم عن وجه عمى الملىء بالدموع كان يهجش بالبكاء بطريقة حادة.. ربت أحدهم على كتفه وهمس له... فجأه وقع نظره على فنهض مسرعا وفتح الباب وأخبرنى بحدة الألم ...أخبرك أن تهتم بشؤنك ولا تفتح الباب ،قرأت في عيناه حزن عميق كأنه فقد أحدهم للتو خرج مسرعا ثم أغلق الباب بقوة لكن سمعت صوته يتحدث أننى مازلت صغيرا ولا أفهم الأمر ..عاد الجميع لحديثهم لكن كانت كهمهمة لم أفهم منها شىء فوقفت في شرفتى أتأمل القاهرة بجمالها الأخاذ وبصوت المؤذنين المتداخل... كان الأمر يبعث الدفىء إلى قلبى إلى درجة عشق تلك الأرض ،كانت تلك الليالى تذكرنى بأرضى فجأة تسمع أجراس الكنيسة تدق وأوقات تسمع الأذان تشبه إلى أننى لم أفارق وطنى يوما فأجراس الكنائس أيضا تمتزج بأصوات الآذان ..أتذكر رفاقى بالمدرسة كان بيننا المسيحى والمسلم لا تستطيع التفرقة بيننا أما اليهودى فكان الفاصل تلك القبعات السوداء و الملابس السوداء والنظرات الحادة ..ثم تأرجح تفكيرى إلى تلك الجميلة هل أحببت حقا!؟ هل الحب الذى حكى لى عنه أخى عمار عن تلك الفتاة التى أحبها منذ أن كان في مثل سنى حقيقة !؟ ، كنت أظن أن أخى يهذى أو يختلق ذلك الحديث للسمر فقط لكن أظن أنه حقيقى فأنا الآن مولع بتلك الفتاة ولا تنفك أن تخرج عن بالى أبدا بالتأكيد سأراها في المدرسة وأسألها , كم أتخيل تلك النظرة العجيبة في عينيها حينما تعلم أننى لست أخرس.. ستفرح حينما تعلم أننى من نفس الوطن الذى جئنا منه ..تنهد بفارغ الصبر , يعد تلك الثوان الثقلية ليشرق الشمس وينطلق إلهيا متسائلا .. ظل طوال الليل يفكر في الطريقه التى يحدثها فيها فهى خجولة وحيدة ، أذن الفجر فصلى مع عمه في ذلك المسجد المجاور وأسرع إلى الشقة أرتدى ملابسه على عجل أن يذهب للمدرسة بين تعجب عمه الذى أدهش له فما

زال الوقت مبكرا على الذهاب للمدرسة في تلك الساعه لكنه لم يصبر ونزل مسرعا , وقف أمام المدرسة وقد كانت خالية من الطلاب تقريبا جلس في فناء المدرسة يتأملها ويذكر اليوم الذى أتى فيه هنا ..خطر على باله أن يقطف بعض الأزهارمن الفناء ويعطيها لتلك الشقراء كهدية تقدمت يداه إلى الورد لكنه تذكر شيخه الذى حرم عليهم قطع الورود لأنه لها الحق بالحياة أيضا مثلها مثله فتراجع عنها وأخرج من دفتره ورقة ليكتب جواب ولكن ما الذى سيكتب وضع الورقة وتسمرت عيناه على باب المدرسة ..يعد الطلبة الذين يترددون على المدرسة بانتظار تلك الجميلة لكن خيبة الأمل كانت تصاحبه منذ اللحظة التى أدرك فيها أنها لن تحضر اليوم إلى المدرسة مكث عبس الوجه طوال اليوم في دراسته ..عاد إلى منزله وهو بانتظار اليوم التالى ليراها لكن الخيبة طالته في اليوم الثانى أيضا ،كانت نيران الحيرة تتأكل في صدره يضغط على لسانه بأسنان يحاول التحكم في لسانه عن إخراج هذا السؤال الذى يدور في عقله لماذا غابت تلك الشقراء **!؟** أصبح هذا اليوم الثالث لكن الكل يعلم أنه أخرس لا يتكلم ..وفى تلك الليلة التى ظن أنها ربما مريضة وستعود بعد عدة أيام ،عاد إلى منزله لكن عمه أخبره أن اليوم هو الأخير للذهاب للمدرسة **!!**، انهار كل شيء أمامى لن أرى تلك الفتاة أو على الأقل أسألها ما اسمها ربما أعود إلى وطنى فأراها هناك أو ربما رحل أهلها بصورة مفاجئة كما سأرحل اليوم.. خطرت تلك الخاطرة على بالى وأنا بجوار عمى ألقى النظرة الأخرة عليها وفى الطريق أخبرته بتلك الشقراء فنظر إلى بطرف عينه قائلا : ربما رحلت إلى وطنها أو ربما مريضة .

فتردد بنفسى قائلا لا أنها ليست مريضة أنها تنتظرنى في وطنى بالتأكيد سأراها في مدرستى.

حملت ما احتفظه عقلى من ذكريات وثقافات من مصر وعدت إلى وطنى كانت الأرض تخبرنى بأنها ليست بخير الشوارع كئيبة ووجوه

الناس حزينة وعيون الأطفال مرتعبة لا تفرق بين يهودى ومسلم أو مسيحى فى الساحات لا تعرفهم إلا من الكيباه على رأسهم بعيون تقول لك نهايتك قادمة لا محال ..خيل إلى للحظة أننى السبب فى تلك الأجواء المضطربة فدائما تخبرنى نفسى أن ما يحل علينا من مصائب ماهو إلا نتاج ذنوبنا الغير مغفورة والتى نسيناها مع الوقت أو توغلنا فى فعلها حتى نسينا أننا خطأ ومذنبون ، لكن لم يكن ذنبى سبب تلك الغبضة والألم الذى نعيشه فيه بل حينما تخلى الأخوات عنا حينما تركنا الجميع وأصبحنا بين أنياب الدول القوية تلك العيون التى تنظر إلى بكرة كامن فى أعماقها لا ترغب فى وجود بنى جلدتى فجنسنا العربى بحد ذاته هو العدو اللدود له ، لا يلقون بالا لرجال بل ينظرون لأطفال المستقبل الذى يهدد مستقبلهم الذى يبنوه على تاريخنا الشريف ودمائنا التى تجرى فى أجساد لم تعرف الخطايا بعد، لدى صديق يهودى كنا نتحدث ونتلعب شأنى شأنه لكن كان هناك فاصل ..كخيط رفيع يفصل بيننا ألا وهو أعماقهم المظلمة التى تستبيح دمائنا كان ذلك الحاجز يظهر فى أفعالهم وتجارتهم واجتماعاتهم التى اعتقدنا أنها كأي اجتماع لفئة من الشعب متماثلة فى نفس الديانة والأفكار كجماعة المسلمين يتحدثون بشأن دينهم, صلواتهم , تاريخهم لا أكثر ، لم يعلمنا ديننا الغدر أو الخيانة بل التسامح والتعاون مع أى إنسان خلق على وجه الأرض فنحن مثلهم لا يحق لأحد الحكم علينا وعلى ديننا أو حريتنا غير القادر العلى فقط، عشنا وتعايشنا كما عاش محمد نبينا بالمدينة وهم طائفة لا تذكر لكننى دائما كنت بانتظار تلك اللحظة التى انتهزها اليهود وخانوا قانون النبى فكنت أنتظر تلك اللحظة التى يخانون فيها عهدنا , عيشنا وملحنا ويثورون ثورة إبليس وإعلانه و تمرده على أمر الله ، لكن رغم ذلك لم أنسى هذا الصديق اليهودى.. كنا أطفال صغار نلتقى فى حارات أرضنا نلقى السلام على بعضنا وفى إحدى الليالى ذهبت إليه بعد عودتى من مصر وجدته تغير كثيرا ارتدى على رأسه الكيباة وبدا شكله كالحاخام الكبير انتابنى الخوف للحظة فحين رأيته كذلك أشعر أننى فى

قصة أسطورية من الخيال تقدمت إليه فى جهل منى حول ردت فعله إذا دعوته للعلب مرة أخرى وكانت صدمتى أنه تحدث معى العبرية التى لا أفهمها إلا قليلا لكنه قال بالعربية : لا أتحدث مع الملعونين ، صدمة أوقفتنى أهذا صديقى أم أننا لم نخلق فى يوم لنكون أصدقاء بل للعداء ، توقفت مكانى أنظر إليه بدا لى رجل غريبا يقف مع أمثاله من الأطفال الذين ارتدوا نفس الزى تمام وبدؤا يتحدثون.. شعرت أنهم ليسوا أطفال بل شخاص مخيفين وأنا مازلت طفلا صغير.

رحلت إلى أمى أخبرتنى أن الأوضاع فى القدس الآن يتناحر فيها اثنان أحدهما ملك الحق والأخر ملك القوة ولا حق ينتصر مادام لم يسند بالقوة، كلماتها أرجفت قلبى أدركت أننا على شفا خسارة فادحة عما قريب لكن لا أدرى ما تلك الخسارة ، مرت الأيام عابرة كريح جهنم ، كانت جدتى تقول أن نهاية العالم قد حانت ..استمع إلى هزيانها فى مرضها لكنها كانت هزيان وطن مريض لا هزيان موت، كنت أجلس بجوارها أطعمها فتحكى لى قصص الأجداد والقدس.. أخبرتنى فى ليلة أن القدس أبية عفية قوية لا تستسلم وحين تستسلم سيسل الله سيفه بالمؤمنون وتقوم القيامة ، كان عقلى لا يفهم أمور السياسة المعقدة كل ما أفهمه أن لدى وطن يحتاج إلى الحماية وسأحميه، قالت أن اليهود خائنون العهود كارهون للأنبياء , قتلوا نبيهم ساخرون من رسل الله لا تنفك أية أو تفسير لتوراههم الحالى إلا وفيه سباب للأنبياء واتهامهم بالزنا من يريدون امتلاك الأرض باسم الله ليس يهود بل صهاينه وقد سقط قناع الدين عن حركاتهم الصهيونيه التى اسندتها دول أوروبا فلم يفعلوا ذلك حبا فى اليهود بل أرادوا التخلص منهم ومن مكرهم رؤس شياطين لا تستمع ولا تخضع حتى إلى الله ..العالم كره اليهود بالقدر الذى تعامل معهم فيه المسلمين والعرب بكل حب واحترام ولكن الصهاينه كارهون لمن يودهم ويترامون فى أحضان من يكرههم لينالوا من ضغط كروهيتهم ما يستطيعون نيله فى الدنيا فهم عالمون بأن الآخرة ليست لهم أبدا , نشأت وسط أخوتى على هذا الكره لمن يحاول

اغتصاب شبر واحد من أرضى ..حينما تشتد على المأساة التى رأها مما يدور بنا اذهب إلى جدتى أو قبر والدى وأخى على التلة ، أرى بلدى أمامى فأحثها كمن يتحدث مع صديقه كل شبر فيها صديقى أخبرها عن ذنبى أن أعيش فى خوف وآنا فى هذا العمر الصغير وما ذنبى أن أعود بعد الغياب فلا أرى أحبابى وأهلى وأخوتى فسألها أين أخوتك؟ هاجروك كما هجروا أولاد يعقوب أخيهم قتلوكى كما قتل أبناء آدم بعضهم هل تلك سنة الحياة لقد بدأتي الصراع الذى لن ينتهى يا أرضى ،انعزل من حولى الأصدقاء ماعدا الخوف ..أصبح صديقى الوحيد كنت أسرح بخيالى بين ثنايا تلك الذكريات حيث الشقراء الجميلة كان ذكرها يخفف عنى الخوف ربما الآن تدرس فى إحدى المدارس الفلسطينية كم أود رؤيتها ربما عادت هى الأخرى لأنها فقدت أبيها أو شقيقها مثلى فلم يعد لها أصدقاء فاتخذت من العدم صديق ..عيناى تصوران أرضى كالغائب الذى لن يعود أو كالمشتاق الذى غادرته محبوبته ورحلت، السادسة يخططون ليتجمعون يأيدو ويرفضون ونحن الشعب من يعانى وندفن وننسى وكاننا لم نكن من قبل وينسى التاريخ ذكرنا او ذكر تضحياتنا والأمنا، التاريخ ظالم للغايه !!

أصبح الأصدقاء أعداء واليهود تحولت هويتهم لصهيونيه وظهر الناب المسموم ليدس سمه فى أرضنا ،أخذت منى أرضى الزراعية التى ورثتها عن أجدادى بحكم الديون المتراكمة للبنوك ، أتى ثلاث رجال صهاينه أحدهم أمسكنى من خصرى والأخران كل منهما أمسك ذراعى وحبر أصبعى لأبصم على بيع أرضى ،بعت أرضى بالإجبار واعتبر اليهود أن تلك البصمة كفيلة بوضع أيديهم على أرضى رغم غياب بصمة أخوتى أبشع ما رأيت وهم يجرون أمى من ثيابها حتى انكشف غطائ رأسها وسترتها ،ضمت أصابعها وهى تصرخ أرضي ما راح أتركها لطمها اليهودى بقوة كدت أن أنفر إليه لأقتله فالقتل دفاع عن الأرض والعرض شهادة ونحن الفلسطينية رضعنا من إثداء آمنا شيئين حب الوطن والشهادة , ظل يلطم وجه أمى وتحت الضرب فقدت

الوعى فقام الرجل بتحبير أصبعها ووضع بصمتها على الأوراق دون إدراك منها ثم تركنا الجميع ، تلاطمت أمى خدودها وشقت جلبابها تصرخ وتعفر بالتراب وجهها حين استفاقت وعلمت بالأمر ،الجميع من من فقدوا أرضهم بالبيع الجبرى التفوا حولها لتهدئتها تسمرت مكانى, سمعت أحدهم يقول : سيقول الجميع أن هكذا فقدنا عرضنا ، فنحن نغتصب إما بالديون أو الإستيلاء بوضع اليد، الآن أدرك لما هربت أمى أخوتى إلى مناطق شتى لا أدرى أين هم الآن ولما قامت بتهريبى مع عمى إلى مصر حتى لا يقوم أحد ببيع الأرض لكننى مع الأسف عدت وكانت بصمتى وحدها كافية بالنسبة لهم حتى من صغير لم يتعدى السن القانونى .

كانت عائلات اليهود الفلاحين يزرعون فى أرضنا التى أصبحت أرضهم بالاغتصاب ،يحصدون ويتاجرون وتحولنا من أصحاب الأرض إلى عاطلين فلم يسمحوا لنا بالعمل كمأجورين عندهم بل جمعوا الشباب اليهود الذين لا يدركون على الأقل طبيعة التربة الزراعية لزراعتها.. حتى جاءت فكرة الاستيطان اليهودى لم أفهم معنى تلك الكلمة لكننى أدركت أنها تعنى شىء أكثر مرارة من فقدان أرض أبى وجدى ربما سيأخذون أِمى ويضعونها فى السجن لكن جدتى قالت فى هذيانها عوض الله علينا فى بيوتنا فأدركت أن تلك الجدران التى بنيت بالحب ستهدم بيد من الكراهية وتلك الضحكات التى كانت تصدع فى الجدران ستتحول لترانيم يهودية وذلك اللسان العربى التى تغنت به أركان المنزل والحارة ستتحول لعبرية وستبكى الأرض من الغريب المغتصب ، سمعت أن الوطنيون سيحتجون بثورة ضد الاستيطان , كان عمرى وقتها على ما أتذكر ثمانى سنوات أو يزيد قليلا، فحملت نفسى إلى الثورة لم أعرف الخوف من الموت فأبى وأخى قد زاقا الموت فما الذى يعنيه الموت لى سوى النوم فى تلك المقبرة على التلة بجوارهما وستتردد أمى على زيارتى من الحين للآخر وحينها لن أكف عن النظر إلى بلدى من هناك، وجدت الرجال يهتفون معترضين تلك أرضنا تلك بلادنا لا مكان

للصهاينه بأرضنا ظننت أن الرد سيكون بالمظاهرات أيضا والاحتجاج لكن فجأة انطلقت الصرخات وقذف الرجال من حولى وأمامى قتلى وجرحى ، ارتعش جسدى فركضت مسرعا مع الراكضين لا أعلم إلى أين تقودنى قدمى!؟ ،شعرت أن الأرض تمتد تحت قدمى كان كلما ركضت تطول المسافة ولا تنتهى وكأننى لا أجرى بل واقفا مكانى ،سأصاب أو أموت ومن هنا أدركنى الخوف من الموت لا للموت نفسه بل الموت دون شىء وأنا لم أفعل شىء والاستيطان مازل قائم ، ركضت فى الحارات مع الهاربين من الموت رأيت أمهات تموت وصغار تداس لون الدماء خضب الأرض والصرخات أفقدتنى السيطرة على نفسى فبكيت أصرخ مناديا على أمى.. فجأة سقط رجل عجوز أمامى وعيناى متصلبة فى عينى بلا حراك وللمرة الأولى خفت الموت نفسه .. خفت أن أموت تلك الموتة البشعة ملقى على الأرض بعيون مفتوحة مفزوعة يدوسنى الفارين بأقدامهم ويدنسنى الإنجليز بنعالهم بطريقة مثيرة للشفقة والرعب وفجأة أغمضت عيناى لا أدرى ماذا حددث لى ..هل مت؟!

فتحت عينى فوجدت نفسى فى أحضان عمى الذى شارك فى الثورة أيضا لكن عينى أرخت أستارها مرة أخرى ، استفقت من إغمائى فوجدت عمى قد وضع صنية من الطعام ووضعها أمامى , كان بيت عمى خاليا فلم يتزوج بعد كان من الغريب أن لا أحد يسأله متى يتزوج كعادتنا نسأل متى تتزوج إذا تأخرت عن الزواج.

ظننت أنه سيلطمنى لما عرضت به نفسى فى المهالك فهو يخشى على أفراد العائلة أكثر من نفسه ،مد يده وأطعمى فى فمى كنت ألتقط الطعام وأنا خائف أن تهوى يده على بعد الإنتهاء من وضعها بفمى لكنه أشعل نار فى صحن المنزل وحضر لنا كوبين من الشاى قائلا : لماذا لم تمكث فى المنزل ..لولا أن عينى رأتك لكنت فى عداد الأموات

أخبرته أننى أريد المشاركة فى الثورة انتقاما من الذين أخذوا أرضى ولطموا أمى, وضع عمى وجهه فى الأرض خجلا لأنه لم يكن فى تلك الأثناء موجود ولم يخبرنى أين كان حين سألته ،احتضن يدى وأخبرنى أننى رجلا الآن لا يجب على التصرف بتهور فنحن الاثنان لا غنى عن بعضنا بعدما مات أخوه ،أمرنى أن أمكث فى المنزل عند غيابه وآتى معه أحرث أرضه وأساعده فى الزراعة وأعتنى بالبيت ،شعرت كأننى أعاقب لم يعجبى الأمر إلى جانب تغيبه بالأيام تاركنى وحيدا ،كانت أمى ترسل بطلبى لاتناول الطعام لكننى كنت أرفض الذهاب خوفا أن أغادر ويتى عمى إلى المنزل فى غيابى وفى إحدى المرات طال الغياب فوجئت بباب البيت يفتح وقد أوشك الفجر على البزوغ ما إن دخل حتى انتفضت فى وجهه صارخا لما تركتنى كما تركت والدى وأخى يموتان لما تختفى , فجأة تسمر عمى مكانه وعقد لسانه عن الرد لكن بعد أن هدأت نفسى أعطانى أوراق مدون بها أسماء المتطوعين من المصريين والسوريين ؛ تطوعوا بأنفسهم وأموالهم لسد ديون الفلاحين إلى البنوك قبل أن يسحبها البنك منهم فإنتكاس محصول الزيتون زاد العجز عن سد الديون ثم أخرج من إحدى الصناديق التى جلبها معه سلاح ووضعه فى يدى حينها فقط , أدرك الكبار أن عالم الصغار حرم على أطفالهم لكننى كنت صغيرا إلى الحد الذى ارتعشت فيه يدى لثقل السلاح أو لخوفى لا أدرى ربما تلك الدماء التى أسيلت من ذلك الرجل ذاك اليوم مازالت تدب فى نفسى الرعب سألت نظرات عمى رغم علمها بالجواب هل سأدافع ويسيل الدماء كما أسيلت سابقا؟! فجأة سقط من يدى السلاح فالتقطه عمى وفرت من عينيه تلك الدموع التى كشفت الغطاء عن ذلك القلب الرحيم الرقيق المختبأ خلف جدار وجهه الصلب وصوته الأجش لم أدرى أن الرجال يبكون لكننى أدركت أنهم يبكون عندما يفقدوا القوة والسلطة، أخبرنى إن أردت حمل السلاح للدفاع عن نفسى وأخوتى وأرضى فلا بد أن أكون شجاع لا يخاف من مواجهت هؤلاء الشياطين الذين لبثوا ثياب الإيمان بالله وهم كفار يريدون سرقة بيتك , فهل

ستترك لهم بابك ما عدت صغيرا فى اللحظة التى تحمل فيها سلاحا ستكون رجلا ،وضع السلاح بيدى مرة أخرى لكن العجيب أن السلاح لم يعد ثقيلا!

ذلك الطريق الذى سلكته ليس ممهدا بالورود الحمراء وإن كان مخضب بلون الورد ومن يدرى من سيخضب دماءه ذلك الطريق للقادمين بعدى ،هاجرت إلى المغرب فى ظل حركات التهجير الإسرائيلية تلك البلاد المغربية كانت أروع من رحب واحتضنى فى كنفه , أعجبنى عاداتهم التى لا تختلف عن عاداتنا فى بلدى أمضيت بالمغرب سنتان ثم شددنا الرحال إلى مصر كان يخيل إلى أننا مثل المهاجرين الفارين من عذاب قريش إلى ملاذ المظلومين إلى أن أوقفت الرحال فى مصر تلك الحبيبة التى ظننت أننى لن أزورها مجددا ، ركضت مسرعا حيث تلك المدرسة.. تسمرت واقفا أمامها إلى حين خرج التلاميذ منها كانت عيناى تفحص كل من يخرج منها بالكاد أصبحت أعرف عدد التلاميذ بالمدرسة تلك الأشهر التى قضيتها فى مصر كنت علي أمل أن ألتقى بتلك الشقراء ولو لدقيقة , كان قلبى يسأل كيف أصبحت بعد غياب تلك السنوات الماضية ربما طالت قامتها وطال شعرها القصير واستبدلت تنورتها بفستان أنيق وربما كانت من أهالى تلك القرى المرصعة بأهلها وأضحت قبور خاوية على عروشها وتسلط عليها تلك الأيادى بالقتل كأنهم قطيع غنم مستباح إبادته , هؤلاء الذين سرقوا كل شىء حتى التاريخ وجاء الدور على أن يسرقوا الدين أيضا بسرقة تاريخ حائط البراق ،انضممت إلى معسكرات سرية فى مصر للتدريب على السلاح كانت تضم شباب من فلسطين وسوريا كان يجند بها المتطوعين من كل حد وصوب , أودعت تلك الطفولة جانبا وأصبحت أصغر متدرب فى معسكر التدريب المصرى مضى على عودتى من مصر ستة أشهر لم تكن الأروع على الإطلاق , صراعات ومعارك متكررة وحرب مناوشات لا تهدأ ،بدت الحياة قصيرة جدا.. فجأة فى إحدى المعارك وجدت شيئا يخترق قلبى فسقطت فى معركة الدفاع عن الدين , أحسست

أن روحى تضل طريقها إلى صدرى والضباب يسدل كفه على عينى فكل شىء أراه ضبابيا , فجاة وجدت نفسى اهتز بين يدى أحدهم , فتحت عينى فرأيت وجهه مصفر كان الدماء فرت من عروقه هاربة يصرخ بأعلى صوته مصاب معى مصاب ،لكن أى مصاب أنا لا أشعر بالألم لا بل لا أشعر بجسدى أيضا أنا حتى لا أتنفس هل انتقلت إلى الفضاء حيث لا هواء يخترق الصدر !! نظرت إلى هارون أحاول أن أتكلم لكن مهلا لما لا أسمع صياحه ينادى معى مصاب كأنه يحرك شفتاه بالصراخ فقط هل فقد صوته لكننى لا أسمع أى صوت على الإطلاق ..الجو هادىء للغايه لقد مت! لقد مت ! أيتها الأنامل السوداء التى تغمض عينى توقفى لا تغلقى عينى أنا لم أمت بعد لا ليست تلك النهاية ..أمى ..أخوتى جدتى عمى هارون ..أنجدونى تلك ليست نهاية قصتى فأنا لم انتصر فى المعركة فوطنى لم يحرر بعد...انتظروا...

****

أرخى ظهره على الكرسى متنهدا بعمق تلك الأحداث متناسقة مع الحلقة السابقة التى قام بنشرها كيف فعلها ذلك الشاب العربى ولكن ماذا بعد؟ لقد ألقى به فى الهلاك بعد تلك الحلقة فلن يستطيع استكمالها إلا إذا لجأ لهذ الشاب ..ضم كفيه ومسح وجهه يستفيق ويستوعب الأمر ..نهض خارجا حيث يجلس الشاب وجده جالسا يضع بفمه قطعة قطن فقد كانت الطمة قوية بما يكفى حتى شقت شفتاه السفلية من داخل فمه ابتسم ل(ماك) قائلا : لم أتوقع أن لديك قبضة قوية إلى هذا الحد.

أسرع (ماك) إليه فظن الشاب أنه سيضربه مجددا لكنه أمسكه بقوة من وجهه وتفقد جرحه ثم نظر إليه فى غضب : من أنت؟ تلك الحلقة الشنعاء لا أعلم نهايتها , لما فعلت شىء كهذا!؟ ألقى بنفسه على الأريكة فى حزن ..قائلا : إن علمت الصحافة أو القراء أن من كتبها كاتب ظل سأنتهى - أشار إلى غرفة المكتب - قائلا:

تلك الحلقة الرائعة أثارت إعجاب ألاف القراء ....

لقد أخبرتك أننى فقط كتبت أول خيط مقتبس من حياتى لكن لدى لك عرض خاص سيعجبك للغايه ..ستخوض تجربة فريدة من نوعها لم يخوضها كاتب آخر من قبل، أنصت (ماك) بتركيز إليه فأكمل الشاب قائلا: لن أكتب ولن أقص عليك شيء بل سأنقلك إلى زمن القصة.

تعجب (ماك) وانفرجت شفتاه عن ضحكة ساخرة قائلا : يالا عقول الشباب , تنقلنى إلى زمن القصة.. كيف!؟ ستركب مركبة فضاء أم أنك اكتشفت سر الثقب الأسود وستنتقل على سفينة انتربرايز الفضائية لنذهب للمستقبل!؟ توقف الشاب وأخرج القطنه من فمه قائلا: بل إلى الماضى..

اعتدل (ماك) فى جلسته وبدا على وجهه الجدية قائلا : هل اكتشفت سر الثقب الأسود للسفر عبر الزمن؟! فجأة بدا فى حالة ضحك هستيرية مشيرا لشاب قائلا : أنت شخص مسلى للغايه.

اقترب الشاب فجأة من وجهه بملامح جدية قائلا : إن أردت.. نقلتك هناك حيث بدأ كل شيء ..ألم تسمع عن التنويم المغناطيسى!؟ سأوقظ عقلك الباطنى وأنقله إلى تلك الحياة التى لم تراها من قبل..أمعن (ماك) يدقق فى ملامح الشاب يحلل تفاعلاته وحركاته فعقله غير مقتنع عن أى نوم مغناطيسى قد ينقل عقل الإنسان إلى أحداث لم يعهدها أو يراها من قبل سواء فى الماضى أو المستقبل ،وقف الشاب يخطوا ذهابا وإيابا يكمل حديثه ..اقتحامى لحياتك لم يكن إلا لإعطاءك تلك الفرصة التى لم ينالها أحد غيرك من قبل.

نطق لسانه فى غضب : هل تسخر منى أيها الشقى ...النوم المغناطيسى ؟..لن أقبل أن أهان إلى هذا الحد سأتصل بالشرطة ..رفع سماعة الهاتف فأغلقها الشاب بإصبعه وهو ينظر فى عينيه قائلا - مشيرا بأصبعه إلى

عقله: هناك فى عقل الإنسان جسم لا يدرى العلماء فيما يستخدم وما هى أهميته , البعض يعتقد أن الإنسان يستطيع السفر عبر الزمان عن طريق نقطة زمنية فاصلة بين الأزمنة والبعض يقول أن ذلك الجسم الذى لا يعرف أهميته ولا وظيفته هو المفتاح للسفر عبر الزمن ..أتعجب ..ألم تريد ولو يوما فى عمرك أن تسافر عبر الزمن.. فتغلق عيناك وتسرح بخيالك إلى تلك الأيام الخوالى من عمرك لكنك لا تتذكرها جيدا!؟..تجهم وجه (ماك) ووضع سماعة الهاتف فى تفكير عميق فقد ضغط كلام الشاب على الأمنية التى طالما بحث عنها الجميع ،أكمل الشاب قائلا : تخيل أن تقابل أشخاص لم تراهم فى حياتك من قبل وقد تفهم لغتهم وأنت لست منهم،جلس (ماك) على الأريكة فى صمت يستمع إليه فى تركيز شديد تابع الشاب حديثه : الزمن متعاقب ليس هناك فجوة زمنية على اللأرض تنقلك من عالم إلى آخر ..الأمر لا يتعلق بفجوة بل بالزمن نفسه إذا صعدنا إلى السماء لا تتعطل الساعات بل تتباطىء وإذا خرجنا إلى أبعد من مجال الأرض تتباطىء الساعات كأنها لا تسير لكن الوقت نفسه يستمر وتمر السنون فى الأرض لكنها لا تعد ثانية فى توقيت السماء لكن ذلك لا ينقلنا للماضى بل نصبح نحن الزمن ونصبح نحن الماضى فى وقت أصبح المستقبل على الأرض لكن ذلك لا يعد فجوة زمنية ، تلك هى الفجوة الزمنية الذى يبحث عنها الجميع ويعيد العلماء والفلاسفة الحديث فيها مرارا ، لكن الفجوة الزمنية الحقيقية تكمن هنا فى هذا العقل -أشار إلى رأسه- تلك هى الفجوة الزمنية الحقيقية ، أنا أستخدم ذلك الجزء من الرأس وأنقلك إلى حيث لا تتحرك العقارب , أعيدك إلى تلك الحياه التى تحكيها القصة تستطيع تدوين كل شىء تراه.. سأله (مالك) ما هذ الجزء الذى يتحدث عنه ؟ أردف الشاب قائلا: الجسم الصنوبرى

وقف (ماك) يسير حول الشاب يفكر فى الأمر هل حقا هناك شىء كهذا؟! لكن عادت إليه الشكوك مرة أخرى منافيا بأصبعه لا لا أصدق

تلك الخرافات إن وجدت لكشف عنها العلماء فى المجلات العلمية أنت تهزى لا محاله.

قال الشاب فى ثقه : لا تكشف المجلات العلمية عن كل شىء ..فى حقيقة الأمر ليس هناك تجسيدا فى السفر عبر الزمن بمعنى لا يستطيع أحد نقل ذلك الوعاء الروحى إلى الزمن الذى يريد وإن كان هناك طريقتين للسفر عبر الزمن كما يعتقد العلماء خلال نقطة فاصلة بين تعاقب الليل والنهار أو تعاقب الأزمان لكن من أين تأتى تلك النقطة فى وقت يمر على وتيرة واحدة متزنة متراصة كالبنيان ،لكن الوحيد القادر على ذلك هو عقل الإنسان لا يحتاج إلى نقطة فاصلة أو ثقب أسود أو فجوة زمنية أو المضى عكس الأرض أو عكس دورانها حول نفسها مثل أفلام السوبرمان فتظن أن الأرض إن أخلفت دورانها حول نفسها أو حول الشمس لن نكون على الأقل فى حالة اتزان بل سنهلك جميعا , لم يفكر أحد فى ذلك الجزء الصنوبرى بل فكروا فقط فى شىء أضخم لنقل الإنسان نفسه لا روحه، تستطيع السفر عبر الزمن حين تخرج بسفينة فضاء وتمكث هناك عدة أيام وتعود إلى الأرض فيتعاقب الزمن فى الأرض بينما هو ثابت فى الفضاء يمر بوتيرته البطيئة فتعود للأرض بزمن غير الزمن ووقت غير الوقت ويعد ذلك سفرعبر الزمن أو الثقب الأسود الذى يبتلعك وربما تجد الجحيم فى الجهة الأخرى لا ماضى ولا حاضر هل تتفق معى؟

وقف متسمرا لا يصدق ما يسمعه إن كان شىء حقيقى أم من خيال الشاب ليجعل منه أضحوكة مرة أخرى ،لكن روح المغامرة كانت تطغى عليه بالشكل الملحوظ متسائلا : ما الذى يجعلنى أصدق تلك التخاريف التى تهزى بها؟!

أدرك الشاب فوزه فى تلك الجولة فجلس واثقا قائلا : سأجرى تجربة معك سترى بعينيك ما أرمى إليه لكن أولا عليك أن توافق على شروطى ، أمعن التركيز مستمعا , أردف قائلا : عليك جعلى جزء من

حياتك ..كاد ما كان يقطع حديثه فقاطعه الشاب قائلا : لكن بشكل مؤقت لحين الإنتهاء من التجربة , هذا يعنى أن أمكث معك هنا فى المنزل.. كاد (ماك) أن يعترض على حديثه فقاطعه الشاب مؤكدا : حتى تنتهى التجربة.

رأى ما كانت تلك شروط ليست من الصعب تنفيذها لكن بأى شكل قد يقدمه إلى (أليكس) أردف قائلا : سأنفذ شرطك لكن أولا عليك ألا تفعل شيء إلا بإذنى وإلا سألقى بك خارجا ليس فقط خارج منزلى بل من بريطانيا للأبد ..ثانيا أمهلنى بعض الوقت لأقدمك لزوجتى ولكن قبل الموافقة على كل ذلك عليك إثبات صدق تخاريفك تلك ..متى نبدأ؟

أجاب الشاب بحماس : الآن إن أردت

اتجه (ماك) إلى غرفة المكتب وأشار إلى الشاب أن يتبعه والشك يدب فى نفسه حول تلك التجربة ونفسه تتوعد إن أصبحت تلك التجربة مكيدة فلن يزج به فى السجن بل يقتله فلا أحد يعلم من هو على أى حال فلن يسمح لأحد على وجه الأرض من السخرية منة أبدا ،طلب منه الشاب أن يتمدد على الأريكة بإسترخاء ثم اقترب منه متسائلا إن كان يؤمن بالروح لكنه أجابه فى سخرية ..إن الإيمان لا يعنيه فلا يصدق إلا ماتراه عينه ويستعبه عقله أابتسم الشاب واعدا انه سيؤمن عندما يرى بروحه تلك التى لا يؤمن بها ما لا يتخيل سينقل تلك الروح عبر الزمن وسبقى جسده هنا وذاكرته ستخزن ما تراه روحه ، كانت علامات الشك تنتابه كلما تحدث عن الروح والسفر عبر الزمن فتلك الخرافات تكتب بيد الكتاب لكن لا يؤمنون بها ، سأله الشاب أن كان جاهزا للتجربة فهز رأسه بالإيجاب ، أغلق الشاب الأضواء وأخرج من جيبه غليونة وأشعلها , أخذ نفس عميق ثم زفره فى وجه (ماك) طالبا منه أن يغمض عينيه ويشتنشق بعمق دخان الغليون ، ظل مغمض العينين مطرق السمع لخطوات الشاب وأنفاسه فمازال يسمعها بالقرب منه فأردف ساخرا إن حيله لم تصاغ عليه وهم أن يقذفه بالسباب والاتهامات كالعادة , فجأة

وجد نفسه نائما على صخرة جبلية وقف ينظر من أعلى الجبل شعر بوقع أقدام تقترب منه فالتفت خلفه فرأى مجموعة من البشر يكسون أجسادهم بملابس من الجلد بعضهم حافى القدمين والبعض الآخر يرتدى خف من الجلد أيضا ،كادوا أن يصطدموا به ، يتحدثون بلهجة لا يفهمها لكنهم بدوا باحثين على ملجأ لهم , فجأة أشار لهم صغيرا إلى أحد الغزلان فركض الرجال خلفها بالرماح ، فجأة تغير المكان حوله فوجد نفسه يقف بين فخارين يصنعون الأوانى الفخارية , نظر حوله فوجد نفسه يقف فى سوق مكتظ بالناس ثم انطلق صوت بوق فهرب الباعة إلى داخل حوانيتهم والأخرون فروا من السوق هاربين لكن وقف فى وجههم فريق من الجنود بدا من زيهم أنهم من العصر الرومانى فخروا الناس مستسلمين خائفين ،وقف الجنود يصرخون إن من يأوى منهم أحد من اتباع هذا الرجل فسيقتل أو يصلب ثم خرج من بين ثناياهم رجل يبدوا ككاهن معبد صارخا ..هذا الساحر الذى يدعى مداواة الأبكم والأبرص وأحياء الموتى وأنه رسول من الله كاذب يريد أن يضلكم واتباعه ..من يصدق أنه تحدث فى المهد صبيا ،فخرج شاب لا يتعدى العشرين من عمره صارخا فى هذا الكاهن قائلا : يا يهودى أنت تعلم من هو الكاذب حقا ، فأشار اليهودى إلى قائد الفريق فأمر جنوده بسحب الشاب وربطه بأحد الأحصنة ثم ضرب الحصان بالسوط فركض وسحل جسد الشاب الصغير حتى أكلت الأرض من لحمه وشربت من دمائه بطول الطريق , فجأة وجد نفسه واقفا فى المنتصف بين صفين من الناس يتراشقون الثمار العفن على أحدهم وبعضهم يردد قائلا : لقد أوشى بهم بختيشوع اليهودى نظر (ماك) خلفه فوجد رجلا كهلا وخلفه شاب استنتج أنه ابن هذا الرجل ..ظل يصرخ الرجل قائلا : ستعيشون فى ضلال ..العلم لا سماء له ..متى كان العلم ضد الدين ،ثم تحول الزمن سمع أجراس الكنيسة تدق وأصوات مهللة كأنها تحتفل بمناسبة ما.. قادم من بعيد, فجأة وجد فارس على فرصة يسأله لكنه وقف صامتا فأعاد الفارس جوابه فنظر (ماك) حوله يتأكد إن كان الفارس يسأله هو

أم أحد آخر لكن لم يكن أمام الفارس غيره فقشعر بدنه متسائلا بينه وبين نفسه هل يراه الفارس؟!، لم يجد الفارس جوابا فتركه وتوغل إلى داخل المدينة فاتبعه (ماك) يرى إلى أين يذهب فوجد مدينة بدا عليها مريضة تحاول التعافى لكن وجوه أهلها سعيدة فرحة ،حاول تخطى هؤلاء المتجمهرين يرى إلى ما ينظرون فوجد كنيسة عظيمة جميلة يلتف حولها الناس حاملين جزوع نخل وأغصان شجر ثم خرج قيسي الكنيسة ووقف فى استقبال أحد ما فتقد رجلا بدا على وجهه الوقار والحكمة تهدأ فى رؤيته النفس ويقشعر لوقاره الأبدان ،كاد أن ينحنى القيسي للرجل فمنعه ثم أخرج من جيبه مفتاح كبير فمد الرجل يده لأخذه فهلل الجميع وصاحت صرخاتهم بالسعادة ثم أشار القسيس إلى الرجل أن يدخل إلى الكنيسة فسمع أحدهم يقول للآخر هؤلاء المسلمين لو كنا نعلم مدى حلمهم ما كان سيطول حصارهم لنا فردد..المسلمين!! فردد آخر : هذا أفضل عهد حصلت عليه القدس ، فجأة بدت المدينة مزدهرة فآخره عظيمة الجمال والرونق يتأبط فيها بعض السائرين كتبا بدت من فخامتها أنها مركز علمى أشاع بنوره فى الأرجاء فسمع من أحدهم يقول: لقد أتى القاضى إلى هنا لتعليم الفقه والبلاغة فقد استقال من منصب القضاء وقدم استقالته للسلطان العباسى الذى وافق علها بعد عناء أنه يفضل التدريس عن القضاء ،وقف (ماك) متأملا فى كلام المارين من يفضل التدريس على القضاء ..ما تلك المدينة التى تتحول من خراب ودمار الى أبقى الرونق الحضارى والرقى ،فجأة ووجد نفسه يقف بين الناس صارخين أهربوا أنجوا بأنفسكم سيقتلوكم لن يفرقوا بين صليبهم وصليبكم ،نظر الى الجوار فرأى الأتربة تتصاعد من بعيد معلنة عن قدوم جيش عظيم أزيح الغبار فكشف عن جنودا يرسمون الصليب على دروعهم وصدورهم وخوذاتهم لا يلقون أحد أمامهم إلا أذاقوا نصل سيوفهم بدمائه ، دب الخوف فى قلبه الى أين يهرب أو يقف فهو لن يراه أحد.. أدار وجهه فوجد جيش أخر يقابله لكنه صغير إذا ما قورن بذلك الجيش القادم من بعيد ،ظل يبحث هنا وهناك فارا مع

الفارين فصعد الى منطقة فى الجبل يرى هذه الحرب الطاحنة التى دارت بين الجيشين فصاح أحدهم يأمرك السلطان صلاح الدين ألا تتراجعوا استمروا فاستمرت الحرب المتطاحنة بأشلاء متناثرة ودماء شبعت منها الأرض وتحول المكان الى أرض خلقت من الجثث من الطرفين ثم تحول مكان الجثث فجأة الى أفراح وتهليلات وأجراس الكنيسة صادرة من بعيد تعبر عن سعادتها بالنصر فقد انتصر جيش السلطان صلاح الدين ،لكن سرعان منا تغير من حوله الزمان ووقف بين وجوه حزينة يملاؤها اليأس قائلين الملك العادل يتخلى عنا من أجل من!؟ أين ناتى بصلاح الدين وجيوش العرب!؟..هذه الأرض تحرق بالشرق لنا الله ..نظر الى الرجل الذى بكى فى ألم مرير ثم نظر حوله وجد مسجد ضخم زين بأبهى الألوان وأجملها, فتح فمه مندهشا من روعة البناء والتصاميم كان لحرم الجمال ما أثار المشاعر فى نفسه فمضى يتحسس كل ركن بهذا المسجد الضخم وزينته التى تتدلى من الجدران الشاهقة ورسوماته والأرابيسك الفاخر وتلك القبة الذهبية الرائعة التى تضىء كالشمس حين تسقط الشمس عليها لكن فجأة أسودت السماء بالغيوم وهجمت عليه الغربان السوداء بعويلها وتصاعد الأتربة والأدخنة وساد الصراخ المكان ورأى الدماء تسيل من ذلك المسجد الى قدميه فخاف وراتعب وتراجع بأقدامه الى الخلف مهرولا , انعقد الأنفاس فى رئتيه وتتضارب قلبه حتى كاد يخرج من صدره وفجأة تهاوى فسقط فى بئر عميق يشتد سواده كلما طال سقوطه ثم فجأة انتفض من مجلسه.

ففتح عينه على صداع يفتك برأسه اعتدل جالسا محتضنا رأسه بين كفيه رأى يد تمتد إليه بفنجان من القهوة سمع صوتا مشوشا يخبره أن يتناولها فستساعده على التركيز فربما تشعر ببعض التشويش كأنك مستيقظ من النوم للتو، أخذ الفنجان وارتشفه دفعة واحدة , بدأت الأمور تتضح إليه فوجد الشاب جالسا واضعا قدم على الأخرى فى ثقة مبتسما وضع (ماك) الفنجان على الطاولة قائلا فى اندهاش : هل حقا ما رأيته؟! ..لقد

انتقلت الى عالم أخر شاهدت انتقال الإنسان فى لأرض بحثا عن المأوى ثم انتقلت من عصر للآخر ..ألم يكن ذلك وهم أليس كذلك؟!!!انتقلت الى تلك العصور وجسدى هنا!!!

أردف الشاب فى ثقة قائلا : أخبرتك أن الإنتقال عبر الزمن ليس إنتقال جسدى بل إنتقال روحى مثل الأحلام تنتقل روحك الى روح أخرى تتقابلان تضحكان تتسامران حتى إذا أقمت علاقه حميمية مع إمرأة رائعة الجمال فتشعر بذلك كأن جسدك بالفعل حاضرا فى تلك العلاقة بكل تفاصيلها ..إن الزمن زمن أرواح والعقل هو أساس الاتصال بتلك الروح التى تنقلك عبر الزمن ..هل تؤمن بالأرواح؟

شرد بتفكيره الى تلك الأحلام التى راودته من الطفلة الصغيرة وتلك المرأة التى تدعى (ميلين) فما زال يستشعر رائحة عطرها فى أنفاسه وقبلتها على شفاهه ودفىء جسدها النحيف رغم برودة أناملها التى أدفئها بين كفيه و رائحة تلك الحلوى مازال يستلذ بها فى فمه ودخان غليونة مازال يشعر به فى صدره بدا كمثل تلك الحالة الآن كأنه انتقل عبر الزمن الى حيث تلك المرأة فى سنة من النوم ،لاحظ الشاب شروده فسأله قائلا : متى نبدأ ..نظر إليه بعينينه المندهشتين التى لا تصدق ما رأه الى الآن ثم نظر الى الساعه فوجد أن تلك اللحظات التى رأها مضت فى ثلاث ساعات !!، نهض (ماك) مغادرا قائلا: لاحقا..سأخبرك لاحقا

*****

جالسا غارقا فى تفكيره يتحسس شفاه بأصبعه فى حركة خفيفة تعيد فيها ما رأه ،هذا الجزء الصنوبرى فى عقل الإنسان قد يحمل روحه الى السفر عبر الزمن!، انتفض الى غرفة المكتب يبحث على الانترنت عن معلومات تؤكد صدق الشاب الذى مازال رغم ما رأه يشك فيه ، ظل يبحث لساعات وساعات لكن دون جدوى لا شىء يذكر عن السفر عبر

الـزمن إلا أوهـام , المركبـة الزمنيـة الخياليـة التـى يصـدقها الـبعض أو الفجوة الزمنية التى تقبع فى جزء من الأرض ولا يعلم عنها أحد أبدا، يبحث فى كتب الخيال العلمى عن السفر عبر الزمان لكنه مازال لغز غامض لا يؤكد العلماء صدقه رغم تزعم بعض الأشخاص أنهم ليسوا من هذا العصر وإنما أتوا من أزمان أخرى مسافرين عبر الزمن الى الأرض وقد استغلت السينما ذلك فى صناعة الأفلام المتراكمة عن السفر عبر الزمن وكل منهم يطيح بخياله فى اختراع الوسائل المختلفة للسفر عبر الزمن ،لكنها كلها تصب فى قالب واحد وهو الخيال لا الواقعية .. ربما هو من سيجد وسيلة السفر عبر الزمن ليس بأنه أول جهاز تكنولوجى حديث وإنما عن طريق هذا الجزء الصنوبرى فى عقل الإنسان ربما هنا يكمن اللغز الحائر ،انتقل فى بحثه عن الجزء الصنوبرى ،توصل الى معلومات عن غدة فى جسم الإنسان تسمى الغدة الصنوبرية عرفها العالم القديم فى العصر اليونانى على أنها نقطة الوصول بين عوالم المعرفة ، أطلق عليها ديكارت لقب مركز الأرواح وفى المباحث العلمية الحديثة تتعقد الأبحاث حول فهم هذا اللغز الحائر من المخ , البعض يربطه بالأمراض التى تحدث فى المخ أو الجسم من خلايا سرطانية أو فقدان شهية أو ضعف فى الإبصار إن اختل توازنه أو صغر حجمه أو اختل عمله لكن فى النهاية وضعت جميع الأبحاث جملة, اجتمعوا الاتفاق عليها أن ذلك الجزء من المخ وظيفته غير مفهومه الى الآن ،توقف البحث بعد توصله لتلك النتائج وبدأ يتخلله الإيمان بأن هذا الجزء المجهول هو مركز الروح ،تذكر سؤال الشاب له حين سأله هل تؤمن بالأرواح؟لكنه لن يتجرأ على إخبار ذلك المسلم العربى أنه ملحد لا يؤمن بالرب أو الأرواح لكن تلك المغامرة فريدة من نوعها لو اكتشفها العالم لتصارع عليها ، نهض من كرسيه مطقطق ظهره الذى آلمه كثيرا لكنه تسمر مكانه حين طرأ على عقله أمر ما أسرع الى الشاب يبحث عنه وجده نائما على الأريكة بالخارج تنحنح ففتح الشاب عينيه اعتدل جالسا متسائلا عن الأمر ، سأله والقلق يتخلله:

على ماذا ستحصل إن وافقت على استمرار تلك التجربة؟ فلن أسمح لك أن تجعلنى فأر تجارب وتفصح للعالم كله عن تلك التجربة سيشك العالم بى وبما أنجزته فى سنواتى الماضية ..لن أسمح لك بذلك وإلا فلن أمضى فى تلك التجربة.

وقف الشاب مطمئنا له وقد بدا عليه شىء من الخذلان : أعدك أننى لا أفعل ذلك من أجل العالم أو اكتشاف طريقة السفر عبر الزمن.. بمقدورى أن أذهب لأى شخص لأجرى معه التجربة ثم أخرجها الى العالم وأجنى الملايين ولكننى أهديها لك لتعتبرها هدية منى إليك تستطيع المضى فى مؤلفاتك لكن الهدف الذى أمضى إليه محفوظ فى نفسى أعدك أنك ستعلمه حين يحين الوقت بذلك لكن لا تسألنى ما هو الآن أو فى أى وقت آخر سأخبرك به بنفسى فور انتهاء التجربة.. موافق ؟، مد يده لمصافحته فصافحه (ماك) لكنه جذبه من يده الى غرفة المكتب ووقفا أمام المكتب ..ألتقط (ماك) قلم وورقة وبدأ يكتب عقد تعاون بينهما تعجب الشاب متسائلا عن الذى يفعله، فأخبره أن حياته عبارة عن تعاقدات سيكتب تعاقد بينهما حتى لا يتراجع فى كلامه فلن يفصح عن تجربتهم مطلقا ولن يغادرالمنزل إلا بعد أن تنتهى التجربة و سيستلم راتب يحدده السيد (ماك) بنفسه ويستلمه الشاب فى ظرف كل شهر ١٠٠٠دولار ..تحجج الفتى قائلا أن ألف دولار أقل كثيرا عن الذى يتقاضاه فى المقهى لكن نظر إليه (ماك) فى مكر قائلا ألا يتحاذق فإن عمل بالمقهى ليل نهار لن يقبض أكثر من ذلك إلا من البقشيش ،ابتسم الشاب لدهاءه ، انتهى من كتابة العقد وأعطاه القلم وطلب منه أن يوقع عليه ..أمسك الشاب القلم دون تراجع ووقع عليه ثم أخذه (ماك) ووقع هو الآخر فى حماس شديد ، الآن أصبح على استعداد لبدأ مغامرة لم يرى مثيل لها ولم يراها أحد غيره وكفيلة أن يبدأ خلالها بإستعادة مجدة المتراجع مرة أخرى .

طوى (ماك) العقد وحفظه فى درج المكتب وأعطى للشاب نسخته .. لكنه أعطى ل(ماك) العقد فليس لديه مكان ليحتفظه فيه ..،أخذه (ماك) الى الغرف الفارغة فى المنزل قائلا : هناك غرف كثيرة تستطيع إختيار ما تريد من تلك الغرف ثم تركه يختار بنفسه ظل الشاب محتارا بين الغرف فاقترب من غرفة فى آخر الرواق كان الدور التانى للمنزل مخصص لغرف النوم بها أربعة غرف وهناك فى النهاية غرفة مثيرة للإعجاب فعلى بابها علق جرس هوائى دون عن باقى الغرف التى وضع أمامها سجادة صغيرة عدا تلك الغرفة فاقترب منها فى حذر أن يراه (ماك) فهو قد خيره بين الغرف وأشار إليه عليها لكنه لم يشير أو يلتفت الى تلك الغرفة القابعة فى نهاية الممر ..مد يده الى الباب ليفتحه لكنه كان مغلق حاول فتحه بالقوة لكنه كان محكم الإغلاق فادرك أن إحدهم لديه سر ما يقبع فى تلك الغرفة وقد أغلقها بإحكام ولكن ليس فى المنزل خدم أو شخص غريب حتى يتم إغلاق الغرفة بتلك القوة ..تعجب ورفع حاجبيه وعض على شفتيه متعجب ثم مضى يفتح الغرف الأخرى ويختار من بينهم غرفة له..كانت الغرف على أعلى مستوى من الفخامة والترتيب والنظافة , أدهش بجمال كل غرفة يفتحها لكن إحدى الغرف أثارت إعجابه فاختار أن يمكث بها ..كان بها سرير وكرسى هزاز وبها نافذة من خلالها ترى ساحة المنزل بأكمله على غرار الغرف الأخرى , سقف الغرفة يأخذ شكل منحنى فتجد جانبا مرتفع من الشقف والجانب الآخر منخفض فأثارت إعجابه كثير حتى أنه ارتمى بجسده على السرير فى راحة كالمتعب الذى لم يرى راحه لأيام

****

استيقظ على صوت سقوط شيئا بالأسفل , نهض من سرير يتفقد ما الأمر كان الصوت صادرا من المطبخ متصاحب برائحة شهية , نزل الى المطبخ فتفاجأ بوجود (أليكس) فى المنزل نطق لسانه فى تعجب باسمها فاتلفتت إليه وهى تجمع بقايا كأس سقط من يدها مرحبا به قائلة :

إهلا عزيزى يبدو إنك سهرت كثيرا ليلة أمس حين جئت وجدتك تغص فى نوم عميق لم أشأ إيقاظك آسفة ..فكرت فى تناول الغداء معا الليلة فقد مضى وقت الإفطار ، التفت الى الساعه فكانت الثانية مساءا تعجب ثم التفت الى (أليكس) التى أكملت حديثها بأنها لم تعهده ينام الى ذلك الوقت متسألة إن كان يكتب أم قضى ليلته فى الخارج؟ كان التوتر يعم عليه ملتفتا حوله يبحث عن شيئا ما متجاهلا حديثها تسألت إن كان يبحث عن شىء التفت إليها متسائلا هل رأت أحد هنا فى المنزل حين جاءت؟ تعجبت (أليكس) واتسعت عيناها متسائلة : أحدا؟! هل كان هناك أحد برفقتك ليلة أمس؟!

نفى ذلك بسرعة خوفا من تردد الشكوك به فى عقل (أليكس) متحججا أنه يكاد يموت جوعا من رائحة الطعام الشهى وسيذهب الى غرفة المكتب لحين الإنتهاء من تحضير الغداء ،لم تقتنع (أليكس) وبدا عليها القلق , وضعت يدها فى خصرها حيث تتلاعب الشكوك بعقلها إن كان (ماك) قضى ليلته مع إحداهن فى المنزل لكنه ليس من ذلك النوع الشهوانى لإقامة العلاقات الجنسية ولن يجرؤ على فعل ذلك فقد امتنع عن الخمر حينما طلبت منه ذلك ولم يرتشفه منذ أكثر من عشر سنوات إلا فى تلك الليلة التى تأسف لها فيها ،أسرعت تبحث فى القمامة عن زجاجات الخمر لكنها لم تجد شىء فهزت رأسها فى اقتناع أن ما خلق فى أفكارها محض خيال وعليها الذهاب الآن لتكمل تحضير الغداء فى الحال

وقف فى منتصف الغرفة ينادى على الشاب فى صوت هامسا كي لا تسمعه (أليكس) بالخارج لكنه لم يجده ظن أنه فى إحدى الغرف بالأعلى التفت ليبحث عنه فى الأعلى لكنه فوجىء بصوت الشاب هامسا أنا هنا، ارتعب (ماك) من ظهوره المفاجىء مأنبا له على ذلك فقد أوشك ان يصيبه بنوبة قلبية ،اعتذر الشاب مبررا خوفه من ظهور تلك السيدة بالخارج فأخبره أنها زوجته (أليكس) وعليه الإختفاء لكى لا تراه، ثم هم

بالخروج لكن قبض الشاب على ذراعه طالبا منه أن يقدمه إلى زوجته، نهره (ماك) واتهمه بالجنون لكن الشاب ذكره بعهده أن يعتبره كجزء من حياته لحين ينتهى إختباره متحججا أنه لا يستطيع التخفى عن أعين الناس طوال هذا الوقت وماذا سيحدث إن علم أحدهم أن هناك رجل غريب يمكث فى منزل السيد (أرثوفيتش) وقد أخفى أمره عن أقرب الأشخاص إليه وهى زوجته ...فكر (ماك) فى كلامه فأكمل الشاب قوله أن هذا الوقت مناسب لتقديمه لزوجته ، أمعن التفكيرفى كلام الشاب فأتاه صوت (أليكس) تخبره أن الغداء جاهز فأخبره الشاب أن تلك هى اللحظة الحاسمة لإخبارها بالأمر كاد أن يخرج لكن عيناه تسمرت على الضمادة برأس الشاب فأمره أن يزيلها فورا حتى لا تثير الشكوك فى نفسها ، ساعده على إزالة الضمادات ثم أخفى جرحه بشعره الطويل قليلا ثم خرج (ماك) وظل واقفا للحظات وهو ممسك بمقبض الغرفة نظرت إليه (أليكس) متعجبة لما يقف مكانه.. عليه المجىء بسرعة لتناول الطعام قبل أن يبرد لكنه كان مترددا قلقا توقفت (أليكس) تنظر إليه بتعجب متسائلة ما الأمر فاطرا أيخبرها أنه أخفى عليها أمرا ما أصابها الخوف أن تكون شكوكها الأولى صحيحة حين رأت وضعيته وحرصه على مقبض الباب فتح (ماك) الغرفة فخرج الشاب منها واقفا مشبكا أصابعه فى توتر أكمل (ماك) قائلا : أسمحى أن أقدم لكى صديقى، تعجبت (أليكس) ورفعت حاجبيها مرددة صديقك**!!!** فأوضح الأمر أنه صديقه.. قد تعرف عليه منذ فترة وقد وصل أمس الى بريطانيا لقضاء بعض الأعمال الخاصه به وسيمكث معهم لبعض الوقت لحين الإنتهاء منها ثم يغادر ، غمز الشاب فى كتفه ليتقدم ويلقى التحية , تقدم الشاب فى خجل وألقى التحية عليها متبعة بأسف لمجيئه بتلك الطريقة المفاجئة ، تجاهلتة (أليكس) وتوجهت بسؤالها الى زوجها عن ماذا يفعله صديقه هذا هنا؟ انعقد لسانه لا يدرى ماذا يخبرها لكن الشاب أخبرها أنه هنا فى مهمة عمل تبع إحدى شركات التغذية وسيمكث لحين الإنتهاء من عمله ثم يعود مرة أخرى الى بلاده ، لم تعطى (أليكس) بالا

وظلت صامتة تنتظر إجابة مقنعة من زوجها الذى ضحك فى مرح لتلطيف الجو المتوتر مرددا كلام الشاب مرة أخرى عليها ثم ..طلب منها تحضير الطاولة لثلاثتهم فصديقه مثله أيضا لم يتناول وجبة الإفطار، نظرت إليه (أليكس) متسائله بجديته فى طلبه ،فشعر بالحرج واتجه برأسه للشاب الذى أسرع بإخبارها مبتسما أن رائحة الطعام شهية للغايه زادت من جوعه كثيرا ،التفتت (أليكس) لتحضر أطباق لضيفهم الجديد فغمز (ماك) الشاب أن يتقدم الى الطاولة بسرعة .

لاحظ أثناء تناول الطعام تغير وجهها وانعقاد حاجبيها معبران عن استياء عميق فاقترب منها هامسا : أعلم أنه صغير على أن يكون صديق لى ولكن الصداقة ليست واقفة على العمر ياعزيزتى ..أسف لم أشاء أن أخبرك لحين الوثوق به فأنت تعلمين أننى لا أقحم أى شخص فى حياتى.. التفت الى الشاب قائلا : تلك الرائعة زوجتى (أليكس) ، ابتسم الشاب قائلا : أنها زوجة رائعة, أعتقدت أنها ابنتك فور رؤيتها ابتسم (ماك) ونظر الى زوجته محتضنا يدها بقبلة حانية قائلا : أنها كل شىء بالنسبة لى فهى الابنة ..الزوجة والحياة التى لم أحلم بالحصول عليها أبدا ..كانت نظرات (أليكس) تفصح عن قلقها من تلك الصداقة المفاجئة حتى انعقد لسانها عن التفوه بكلمة واحدة.

تناول الشاب طعامه على استحياء أن ينظر إليهما فلاحظ (ماك) ذلك فابتسم له قائلا : حينما تتزوج ياصديقى ستعلم الحكمة فى خلق تلك الحسنوات فى الحياة.. أشار إليه بشوكته ..المرح الذى تشعر به وأنت تدور العالم وحيدا سيكون مرا لن تدرك أنه مر إلا حينما تذوق حلاوته بزوجتك ..ثم وضع قبلة على يد زوجته التى ابتسمت بملامح قلقه وعينين لامعتين .

انتهي ثلاثتهم من الغداء فطلب (ماك) أن تحضره له (أليكس) قهوته المفضلة الى المكتب فسألت (أليكس) إن كان ضيفهما يريد تناول شيئا لكن الشاب التفت إليها شاكرا لها على تلك الوجبة اللذيذة فمنذ أن جاء

هنا لم يتناول وجبة شهية مثل تلك ..التفتت (أليكس) تجهز القهوة دون أن تعير لشكره اهتمام فأشار (ماك) له أن يتبعه الى المكتب.

بدا على (ماك) التوتر فلا يعلم الى متى ستمكث (أليكس) فى المنزل، التفت للشاب الذى لا يقل توتر عنه كاد أن يسأله فوجىء ب(أليكس) تدخل تحمل ملامحها علامات القلق وفى يدها كوب القهوة اقتربت منه ووضعته أمامه على المكتب ثم أخبرته إلا ينسى حفلة الزفاف بدا على (ماك) التشتت قليلا فظنت (أليكس) أنه نسى أمر الزفاف لكنها غطت الطرف عن ذلك وأثناء المغاردة طبعت قبلة على وجنتيه قائلة : لا تنسى أن تحضر صديقك ولا تنسى أن تحضر غدا لتناول العشاء مع عائلتى

****

غادرت (أليكس) فأسرع (ماك) وتمدد على الأريكة مستعدا لبدء التجربة متسائلا الى أى بعد من الزمن قد أسافر هذه المره**!؟**

أجابه بملامح باردة : لا أعلم ربما ألاف السنوات أو بضعة أشهر أو ساعات ماضيه لكن إن طال بقاءك فى إحدى الأزمنة فستكون تلك ضالتك التى تبحث عنها.

أردف قائلا وهو يفكر : فى المرة الأولى رأيت البشر حيث تشردهم البدائى ثم استقرارهم , شاهدت فرحهم وحزنهم وخوفهم وفرحة انتصارهم لكن لم يرانى أحد منهم ولم يشعر بوجودى لكن لم أشعر بمشاعرهم وكأننى أشاهد فيلم لم يؤثر فى مشاعرى سوى اندهاشى وإنكارى لما أراه هل حقيقه أم أوهام**!؟**

تسهم الشاب وبدأ القلق على ملامحه لكنه سرعان ما أخفى ذلك ثم صفق بيديه فانطفأت الأضواء إلا ضوء خافت من أباجورة المكتب التى أصبحت الشاهد على ما يحدث ،أخرج غليونة من جيبه وعلبة الثيقاب

ثم أشعل به غليونة , أخذ نفس عميق وزفره لأعلى ثم أخذ نفس أخر وزفره فى وجه (ماك) بعد أن أغمض عينيه.

عام ١٩٣٦م

سقطت أول قطرات مطر الخريف , خرج الصبية والفتيات صارخين بمرح راقصين تحت الأمطار،السعادة تغمر الجميع حتى النساء والشابات منهم والعجائز ..خرجوا يلتمسوا بأيديهم قطرات المطر الذى رسم الابتسامة على وجوههم معلننا بسقوطه, بدأ موسم حصاد الزيتون الناضج الذى يسقطه الرياح من أغصانه على أرض الطهارة والأقداس،التف الرجال والنساء يمرحون حول صغارهم وهم يغنون تحت الأمطار قائلين : راح نقطف زيتون بلادى واللوز الأخضر..هذه المناسبة عيد يحتفل فيه الجميع فيأخذ الصغار أجازة من الدراسة لمشاركة الأهل فى جمع محصول الزيتون ،كانوا يغسلون بتلك المطرة بعض ما يعانوه من استمرار الثورة الكبرى التى عمت بالأرض.. كانت رائحة التراب المختلط بفرحة المطر تزيل من أحزان المجازر التى حدثت فى انتفاضة الثورة والتى مازالت مستمرة ومازالت المفاوضات قائمة لإيقافها ،استعاد البعض منهم أراضيهم الزراعية مرة أخرى والفرحة بعودتها أشعلت حماسهم للذهاب وقطف حبات الزيتون الناضج وهم يغنون :

بارك ياربى شجر الزيتونا

زيتون بلادى ما أذكى حباته

ما أحلى شكله وما أغلى زيتاته

والعالم كله يرغب أكلاته

الحبة منه أحسن ما يكون

منه الأخضر فيه ومنه الأسمر من غيره الصفرة ولا مرة ..بتعمر القلب ..يفرح ساعه ما يكبر

زيتون بلادى واللوز الأخضر والميراميا ولا تنسى الزعتر

وأقراص العجة لما تتحمر ما أطيب طعمتها بزيت زيتونا.

كـان يمضـى بـين الصـغار والنسـاء حتـى المعلمـات يحملـن أوعيـتهم ويمضون الى الأرض لا فرق بين كبير وصـغيرمعلم أو طالـب فـى تلك المناسبة ، قادته قدماه فوجد نفسه يتبعهم وقد طبعت فرحتهم روح مرحة فى نفسه فوقف بين أغصان الزيتون ،ظن أن لا أحد يراه ولكن نظرات الصغار تأتى مباشرة فى عيناه فبدر عقله متسائلا إن كان يراه أحد منهم ياترى أم أن شكله قد تغيرللونهم وملامحهم فلا يستطيعون التفريق بينهم وبينه !؟ نظر إلى ثيابه فلم تتغير مـازال نفس القميص والبنطـال الـذى يرتديه وهو مقبل على السفر رفع حاجبيـه مندهش كيف لا يميزونـه!! ، تلك الأغانى التى يتغنى بها الجميع يفهمها ويدرك بوضوح معناها كأنـه ولد بينهم، كاد لسانه يردد معهم ما يغنونه (لا تنسى الزعتر والميراميا وأقراص العجة...) أراد أن يلمس تلك الفرحة التى انطلقت من ضحكات الصبية والفتيات حولـه والكبـار يشـجعونهم ويرددون أغانيهم وإحداهن تحكى للأطفال عما كان يفعله جدهم إثاء جمع الزيتون.. يتحاكون تراث أجدادهم ذكرت إحداهن أن والدها سافرالى بلاد العرب لكنـه لم يشعر بالحضن الآمن إلا هنا بين أحضـان أغصـان الزيتـون , المشـاعر الدافئـة المبهجة كانت تطفى دفىء فى الأجواء ،فمد يده وأمسك بأحد الأغصـان يقطف حباته التى يترعرع حبها فى قلبهم كأغصان الزيتون المترعرعة بحيويتهـا تأمـل عيـون الحاصـدين حولـه لكـن الكـل منشـغل بالحصـاد يتسابقون حول من يستطيع حصاد أكبر قدر من الزيتون الطـازج ، بدا يتحسس ملمس حبات الزيتون بين أصـابعه فلم يعهد من قبل أن قطف حبات الزيتون ..فأقصى ما رأه هى حبات زيتون فى خلة بكؤوس أفخر

أنواع الشمبانيا ،اقتطفها ووضعها على أنفه يشمها كانت رائحة التراث المنقول من جذورالأرض لحبات الزيتون تتحدث عن مدى قدسيتها..غمرت السعادة قلبه كطفل صغير يتلاعب مع الصغار،فجأة سألت إحداهن الصغار حولها إن كان يذكر أحدهم شيء من القرآن الكريم عن الزيتون ، أطرأ يفكر أليس هذا كتاب المسلمين المقدس!؟. انطلق الصبية الصغار يفكرون فى الإجابة فانطلق صوت صغير من جواره يخبرها أن الله أقسم بالزيتون فى القرآن الكريم ولا يقسم الله بشيء إلا لتعظيمه أو لنقاء مكانته ، نظر الى الصغيروالدهشة تملؤه لم يشعر به بجواره ثم أعاد نظره الى الحبة بين أنامله متعجبا تلك الحبة الصغيره تملك من النقاء ما يجعل ربهم يقسم بها ؟!، عاد يستمع لحديثهم المتبادل عن العصيان المدنى الذى تبناه الجميع لهجرة اليهود الغير شرعية وإجبارهم على سحب أراضى جدودهم منهم وحركة الإغتيالات التى قامت بينهم وبين اليهود إلا أن ذلك لم يمنعهم من الحصاد ، كانت تتردد على مسامعهم أخبار المفاوضات التى تقاوم لوقف العصيان المدنى لكن أطلق سؤال يبحث عن إجابة بين أطراف حديثهم لماذا نقف عن الدفاع عن الأرض لما علينا التوقف فى الدفاع عن سرقة الأرض بل هتك العرض أيضا قام اليهود بخيانة ملحنا وعيشنا وطردنا من بيوتنا وإجبارنا على بيع أرضنا إما بالديون أو بالقوة الأجنبية حتى أصبح النضال المسلح هو الحل أمام الضعف الذى خضع له العرب وهتك العرض التى قامت به اليهود ، فجأة أردف صبى صغير بجواره قائلا : لقد انضممت الى عمى بفرقة الثورة المسلحة , كنت مازلت صغيرا لكن الوطن كبير فى قلبى ولا مستقبل بدون وطن أهملت المدرسة فلا فائدة من حمل القلم لبناء مستقبل لشعب لا يملك أرضه فلما لا أحمل سلاحى لأدافع عن مستقبلى , لا أحد بالجوار يساند لا حكومة ولا حكام، الشعب العربى هو الثائر والساند الأعظم فى تلك الحاله , انضم لنا ثوارا من سوريا والعراق.. قضيتنا ليست منع اليهود بالتعايش معنا أو الإندماج معنا بل منعهم من سرقة أرضنا وتاريخها ، لكن الثورة أخمدت

بكلام الاتفاق المعسول لكن الخسارة واضحة كعين الشمس والعهود الغادرة تمد خطوطها تحت أقدامنا تقسم الأرض بكلمة من لا يملك لم لا يستحق لإعطاء من خانوا عيشنا جزء بالإجبار من أرضنا واغتيال قادتنا من المجاهدين واعتقال أخرين ..لم تدوم الهدنة والراحة التى أخذناها حتى عدنا للدفاع عن أرضنا ، ماذا تنتظر من شعب يهتك أرضه أيظل صامت دون حراك؟!،كانت الحرية تغتال بالإعتقالات والنفى ومحاولة طمس أى صوت عربى أو إسلامى..كان علينا التخلى عن كل شىء ودعنا صبانا ودفناها هناك مع شهدائنا واستبدلنا ضحكات طفولتنا بصرخات الحرية وألعابنا بسلاح إن لم نرفعه فى وجه عدونا لسقطنا فى مكاننا موتى تراب يدنسونه بخيانتهم ..كانت الأيام تمر كالجحيم أتسائل هل تلك لعبة!؟ ،فجأة طرق على أذنه صوت عذب ينادى فتوقف الصبى عن الكلام انتبه (ماك) الى تلك الحركة السريعة التى اتبعها الجميع من نفض ثيابهم المتربة والذهاب تعجب الى أين يذهب الجميع هل هناك حرب؟! فجأة جاء صوت أحد الصغار لطفل مازال يقطف حبات الزيتون قائلا أسرع لنلحق الصلاة..ترك الصبى ما بيده وأسرع حتى كاد أن يصطدم ب(ماك).. اتبعهم ليرى ماذا يصنعون فوجد الصغير يحمل جراكن من الماء يصبها على الصغير الآخر فى حركة هوجاء فجأة صدر صوت أحدهم مرة أخرى فأسرع الجميع يصطفون خلفه فى تساوى وخلفهم بعض النساء أما فى الجانب الآخر كان بضع فتيات وسيدات يفترشن ملاءات نظيفة يثبتن أطرافها ببعض الطوب ثم بدؤا فى إخراج أطعمتهم من حقائبهم ثم جلسوا بانتظار المصلين الذين لحقوا بهم بالجلوس على الملاءات المفروشة ، اقترب منهم وجلس بجوار أحد الصغار لم يلتفت إليه أحد ..كان الجوع يفتك رغم تناوله لطعامه قبل التجربة !، مد يده وهو يراقب أعينهم الى أين ستنظر.. التقط رغيف خبز رقيق اقتطم منه قطعة كان مذاقها غريب لكنه مقبول ثم أقبل يتناول طعامه بكل حرية وسط سعادة الجميع وتجاهلهم بوجوده..

انطلقت مجموعة من الرجال أشكالهم كالعصابات رسم على وجوههم ما يحملونه من غبضة وقسوة متوحشة ما يرون رجلا أو إمرأة حتى يقومون بالتفتيش لما لديهم بطريقة قاسية عنيفة تصل الى العراك ولساعات معدودة ،تسيطر تلك العصابات على القرية بأكملها بالضرب وإطلاق الرصاص والقتلى المتناثرين تلك (عصابات الهاغانا) فجأة انطلقت النيران من مجموعة رجال ملثمين يتقاتلون مع تلك العصابة التى تقوم بإعتقال كل فلسطينى يحمل سلاحا وإن كان مجرد سكين مطبخ.. كان هؤلاء الملثمين جماعات من الشباب الفلسطينية أطلق عليهم بالظلم العصابة الوطنية وذاع الصيت أنهم يقومون بحرب العصابات لكن كنا فقط نقيم العدل ونحافظ على حريتنا نحاكم الجواسيس الخائنون.. نشد الأفراح الى تلك المدن التى ظنت أن ليلها لن يشرق عليه فجر الحرية أبدا، تحولنا بسلاحنا وإيماننا الى حكومة الحرية أشاد الكل بنا , كنا نجلس بصحبة عمى من قرية الى أخرى ونحن نتطلع الأخبار وتصريحات بريطانيا (أننا أصعب شعب فى العالم)كنا نمضى فى نابلس بالأسلحة وسط تايد الشعب حتى انضممنا الى القدس تحت قيادة الحسينى ،فى إحدى الليالى جلست على الأرض بجوار سلاحى أنظر لتلك السماء واتسائل : هل جهادنا يؤتى بثماره ؟..لماذا تتكاثر علينا الدول كعصابة ثم يتهمنا الأخرون بأننا عصابات ؟! هل اختل توازن العالم؟!!

لا انسى صيف ١٩٣٩م حينما قضينا على جميع الجواسيس بيننا واضطرتنا بريطانيا أن نتنازل على تقليدنا الموروث مضى الجنود فى الشوارع يصرخون بأعلى صوتهم بأمر بريطانيا فى خلع الكوفية والعقال الفلاحى ومن لم يمتثل لتلك الأوامر فستعج به السجون فقد كانت تعتقل وتسجن كل من ارتداه بإعتباره منضما مع الثوار المحررين لأرضهم.. كانت السجون تعج بأصوات المعتقلين والشوارع تعج بدماء الإعتداءات على من لا يخضع لقرار بريطانيا.. كان لسانى يردد (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) أظهرنا اعتصامنا حين مضينا

فـى السـاحات نحـث الجميـع علـى ألا يخضـع ولا يستسـلم أحـد لتلـك القرارات ،اعتصم الجميع وتمسكوا بإرتداء الكوفية والعقال وخلع أهل المدن الفلسطينية الطربوش ،سلكنا طريق المسالمة فى الرد على تلك القرارات التى سخرنا فى تسامرنا من موقف بريطانيا أمام دهائنا ،كنت أغص فى نوم عميق فرائحة الانتصار تسكر الإنكسار الذى عانيناه لكن كما يقال فأيام الرخاء لا تدوم طويلا ، انتفضت على صوت المدافع تدب فوق رؤسنا وعاويل الطيارات تصم آذاننا ويد البطش تتطاول على الصغار قبل الكبار وعلى الشيوخ قبل الشباب،ومن تتملكه يد الجنود البريطانيين يعرض للمحاكمة فى المحاكم الجماعية التى طالت الكثير ومحكمة العدل العمياء الصماء لا ترحم كبير ولا صغير، تعاملنا كحشرات تعيقهم فى أرضنا..استبدلنا حصاد الزيتون بحصاد أرواح إخواننا فى الشوارع ،كنت أتابع مع عمى هارون القرى التى تقتحمها بريطانيا دون رحمة كنت أرى بعينـاى قتل الأم ورضيعها لرفضها الركوع للجندى رغم أنها لا تملك سلاح سوى حضن رضيعها.. الأطفال أن صرخوا على أبائهم تحتضن الرصاص صرخاتهم اعتبروا أطفال ذو عشر سنوات رجال فتقوم بأسرهم ولطمهم على وجوههم أو ركلهم بأقدامهم أن على صوتهم ببكاء الخوف والرعب ، تلك الأم التى ترمى بجسدها على ابنها اقتطع صرخها برصاص فحولتها لتراب يدنس!،ما اعتصر قلبى تلك المحاكمات الجماعية التى نصبها البريطانيين فى إحدى دورياتهم بالقرى ردا على العصيان , قبضوا على عدد من أهالى القرية ، كنت متخفيا أراقب ما يحدث من بعيدا فقد نصب بالجوار مشنقة لإعدام من حكم عليهم بالإعدام شنقا والبعض الآخر رميا بالرصاص كانت منصة الشنق تشبه المسرح الكبير الذى يتدلى منه أربع مشانق بانتظار ضحيتها ، ثارت الدماء فى عروقى وكاد الغضب يأكل قلبى فانتفضت اركض نحوهم , فجأة قبض عمى على ذراعى وأسقطنى بجواره هامسا فى صرامة أن تلك ليست الوسيلة للتخلص من هؤلاء علينا أولا تحرير المساجين دون خسائر التفت يشير لرجاله أن

يتخذ كل منهم ما يراه مكان مناسبا للدفاع والحماية كان علينا التخلص من الجنود المحيطين بالأسرى أولا ثم نحميهم حتى يستطيعوا الفرار بسلام , اتفقنا مسبقا أن يمضى بعضنا خلف الأسرى نحميهم بالأسلحة لحين الهرب والبعض الآخر يرد على النيران الثائرة بالباطل فى وجوهنا، قناصان مهره يضمهم الفريق أنا ثالثهم.. رفعت بندقيتى وحددت هدفى على أربعة جنود يوجهون أسلحتهم فى أوجه الأسرى ، بعدما أخذ كل منا موقعه وحدد أهدافه , أشار هارون عمى أن نبدأ.. أطلق..أطلقنا خلصنا الأسرى ممن يحيط بهم ثم ركضنا لتحريرهم وتأمينهم ومعى زميلاى كان الأسرى يهربون ويتبعهم بعض الجنود فأصبحت ألقى من يتبعهم حدفه ،فجأة نزلت علينا أوبلة من النيران البريطانية التى تفوقنا عددا وعدادا أما نحن فمحدودين العدد والزخائر التى نقوم أحيانا بسرقتها أو حصدها بعد انتهاء المعركة أو تهريبها من الحدود ، أصيب زميلاى فتسمرت مكانى حين رأيت أجسادهم مغربلة بالرصاص لا يكاد يخلوا موضع من رصاص ،صرخ الغضب فى أوردتى وانطلقت أقاتل غير مكترث إن أصبحت جثة هامدة، فجأة صاح هارون أن ننسحب مصاحبين جثث أخواننا والمصابين حتى لا يمثلوا بجثمان أحد مهم حملت جثة أحدهم لكن سرعان ما تركته وأخذت بندقيته خلف أحد الجنود الذى لمحته يتقفى خطى الأسرى الفارين كادت عينى تخرج من محجرها حين رأيته ، اقتربت منه فوقفت مكانى اقتنصه ببندقيتى رويدا رويدا ثم أطلقت فسقط مكانه قتيلا لكننى كدت ألحق به حين خدشت إحدى الرصاصات المنطلقة من الأيدى المرتعشة رقبتى فسقطت أرضا أسرع هارون وآخر وتأبط كل منهم ذراعى ومضينا لكن كنت أسرق النظر من خلفيهما واطمئن أن لا أحد يتبع الأسرى ،لم تكن إصابتى خطيرة لكنها كانت قوية بالقدر الكافى لتترك ندبة ظاهرة على رقبتى لا أكترث بعد الآن للندوب الخارجية فهى لا تقارن لما أحمله من ندوب داخلية ،فندوب الجسد لا تعنى شيئا مقارنة بندوب القلب، كنت أتابع أخبار القرى التى تقتحمها القوات البريطانيا و

عصابات الهاغانا صرخت حين طرأت علينا إخبار عن تزايد الضحايا ما ذنب أن يموت أطفال لا تزيد أعمارهم عن الثانية عشر عاما لكن تسمرت مكانى حين أخبرنى أحد زملائى فى الفرقة الجهادية أت أيضا لم تتخطى ذلك العمر ، لقد نسيت أننى صغير من بعد مقتل أبى وأخى وسرقت أرضى ومن اللحظة التى لم ترتعش فيها يدى من حمل السلاح، غدا ستسمع عويل صراخ يقول لماذا تقتلون أطفال لم تتخطى أعمارهم العامان من ألسن من نسوا أنهم لم يتخطوا الخامسة من العمر بعد!

كانت الهزيمة والخوف تدب فى أوصالنا الضعف حينما اغتيل قادتنا واحد تلو الآخر ..ارتوت الأرض بدماء الالاف من أخواننا بينما كان قتلى اليهود وجرحاهم لا تتعدى ألالف ، رأيت فى خمسة أشهر ما يشيب فيه الشاب ، ظل سبيل واحد هو للإستمرار فى جهادنا هو التواصل مع الفرق الجهادية الأخرى ،تجمع ما بقى منا فى القدس والخليل وكل مدينة فى فلسطين مر الزمن وأصبحت قائد إحدى تلك المجموعات وعمرى لا يتجاوز الخامسة عشر ، كانت نساء القرى يجمعون ذهبهم ودفعه إلينا لنتمكن من شراء الأسلحة فنشتريها ونهربها من الحدود الأردينية أو المصرية وأوقات كان يتدلى إلينا مجموعات من سوريا بالذخائر كنت أتنقل فى المعارك فى القدس تارة وعكا وبيت لحم تارة أخرى ..فى كل طلقة أطلقها صرخة تسأل متى ننتهى؟، ما يثير سخريتى عند الاستماع الى المفاوضات ملوك العرب بإقناعنا كثوار بإيقاف النيران والوصول الى حل مع صديقتنا بريطانيا ضحكت فى سخرية ديقتنتا؟!!متى كان الأصدقاء يقتلون بعضهم كما الأشقاء يبيعون بعضهم البعض ،حينها أدركت أن يد ملوك العرب تتراخى عن قضيتنا وقريبا سنصبح بلا أخوة وبلا وطن أو هوية..حكام ألسنتهم مساجد وقلوبهم معابد يهودية ،انضم إلينا مجاهدين أشقاء من الشعوب العربية حاملين أسلحتهم ..كانت رؤيتهم تثير رعشة الفرحة بقلبى ودمعة والأخوه بعينى ،أشخاص قد يقتلون ويدفنون فى أرض بعيد عن ذاويهم وأطفالهم وأخواتهم وأمهاتهم فى سبيل مساعدتنا فى الدفاع عن أرضنا وتاريخنا لا أنسى تلألأ أحد

الصلبان فى صدر شقيق عربى عندما ركض نحوى فتصادمت اكتافنا لم يعتزر على اصتدامه بل اقترب منى يخبرنى بلهجته الغريبة أن انتبه هناك جندى فى أعلى المنزل مخفى فى السور قد يصيبنا على تغطيته من وابل الرصاص المتساقط علينا من الأمام حتى يستطيع اصطياده أطلقت النار لتغطيته وفجأة وجدت الجندى يتهاوى من أعلى المنزل أشار الى الرجل بإبهامه لأعلى إن الخطة نجحت ثم مضى فى الساحة يقاتل .. أسند قلبى بكتف هذا الذى لا أعلم اسمه ولا من أى دولة شقيقة كان ما أدخل السعادة الى قلبى أنه رغم هذا فأنا أعرفه جيدا! فهو حر.. عربى.. سيسطر التاريخ كفاحه فى سطر واحد وهو يدون : انضم الأشقاء للدفاع أو ربما يردم التاريخ ذكره كالأخرين.

انتقلنا من معركه الى أخرى فى كل طلقة كنت أسأل سلاحى كيف حال الأحياء ومتى سينضم جثمانى الى الشهداء؟! ، أكثر من عشرين معركة خضناها كنا نترك شهدائنا دون دفن هاربين الى الكهوف فى أعالى الجبال بجرحانا ،فى إحدى المعارك الضارية.. التقيت بأخى الذى يصغرنى بسنتان فقط التقطته عينى صدفة يحمل سلاحه مع إحدى الجماعة التى انضمت لتدعيمنا ..تأججت نار الغضب فى صدرى كانت النيران تتساقط علينا كأمطار رعدية والقنابل بالطائرات , صرخ عقلى بما عكسته عينى عليه من رؤية أخى، لما هو؟! وكيف؟ وكيف حال أخوتى وأمى وجدتى ؟ دون وعى منى وجدت أقدامى تتقدم إليه لا تأبه للنيران وفجأة جذبنى عمى وأنا أمضى إليه متسائلا : الى أين تذهب!؟ كن بجوارى , صرخت.. أخى هناك وأشرت إليه.. التفت عمى إليه لم تكن عيناه مندهشتان فعلمت أنه على علم تام بانضمام أخى الى إحدى الفرق الدفاعية دون علمى فجأة وجدت يدى تلتف حول رقبة عمى وقد طغى صوتى على صوت النيران المتساقطة صارخا : لماذا لم تخبرنى ياهارون أجننت أن ترى أخى خالد ينضم الى الموت ولا تخبرنى سأقتلك إن أصابه شيء كانت أعين هارون مصدومة حتى كادت تخرج من محجريهما ومنذ تلك اللحظة لم أعد أناديه إلا هارون ، القيت به

أرضا وأسرعت الى خالد محتميا خلف الجدران جدار وراء جدار لإنقاذه من حصار النيران ناديته كان من الصعب سماعى ترقبت النيران واتجهت بنظرى الى عمى فهم أن عليه تغطيتى لإتمكن من الوصول إليه لكن إمكانياتنا الدفاعية كان أقل ما يمكن لها أن تصمد أمام تلك الأسلحة وأوبلة النيران ..نيران الخوف والقلق أكلت الصبر فى صدرى فاندفعت بإتجاه خالد لا أعبأ إن أصابنى شيء ..فليس بعد الموت موت ..انطلقت وقذفت بجسدى عليه ..كان رعبه من اكتشافى لإنضمامه لقوات الدفاع لا يقارن بمدى شوقه لى حين رأنى فأرتمى فى أحضانى يبكى كطفل صغير..هو حقا طفلا صغير! ، أمسكته من ذراعيه صارخا متسائلا : من أخبرك أن تحمل السلاح !؟..أين أخوتى وأمى وجدتى ..عجز لسانه من البكاء عن النطق فجأة اصطدم هارون بنا.. أمرنا أن نذهب الى خلف تلك الجدران من ذلك المنزل المتهالك أسرعت أنا وخالد ظل هارون يراقب ويطلق الرصاص لتغطيتنا.. جلسنا جلف جدران المنزل سقط السلاح كالمياه من يد خالد المرتعشة، مضى يخبرنى ونحن مختبؤن عن مدى خوفه أن يقتل وحيدا دون رؤيته لى أو لأى أحد من أسرتنا ويلقى به فى المقابر الجماعية التى يلقى فيها الشهداء دون معرفة اسمهم أو سنهم أو عائلتهم فى المدن المجاوره التى سيطرت بريطانيا عليها ،ألفين مدينة أحكمت فيها بريطانيا قبضتها على أعناق صغارها قبل الكبار تبيدهم وتلقى بهم مجهولون الهوية تحت التراب دون تحديد موضع مقبرتهم حتى لا ينشبوا الأهالى المقابر ويخرجون الجثث للتعرف عليهم ، أخوتى وأمى هناك فى تلك القرى الخاضعة للعدو.. قامت أمى بتهريب خالد فبعد رحيلى مع هارون أصبح هو رجل الأسرة الوحيد فكان ملاذه الوحيد للعثور على انضمامه لقوات الدفاع ..كان هارون على علم بأنه انضم لأحد الفرق الجهاديه لكن لا يعرف له طريق، أمرنا هارون أن علينا الاختباء فى أى مكان آمن فى الحال فجأة سمعنا صوت أحدى القذائف تنطلق حاولنا جهدنا بكل عزمنا

علـى الهـروب لكـن العـزم انـدثر وانـدثرت أجسـادنا وسـود كـل شـيء وصمتت الأصوات ...

******

فتح عينيه كان الألم قد نـال منـه كوابل من الرصـاص , قذف فـى عقلـه وجسده نظر حولـه فرأى نفسـه ممتدا علـى الأريكـة بالمكتب ..انـتفض ينظر حولـه يبحث عن تلك الأرض التـى كـان بهـا عن الصـغار وسط أغصان الزيتون عن المعركة الذى حصر فيها خلف الجدران بعيدا عن القاذفات حيث ارتطم رأسـه بـالأرض حينمـا أطلقت عليـه فـى المعركـة ..سرعان ما عاد الهدوء والاطمئنان إليه وانتظم تنفسـه فتنفس الصـعداء إن مـا حدث كـان من الماضـى..فجأة دخـل الشـاب إليـه وفـى يده فنجـان القهوة العربية , وضعها أمامه دون كلمة تعجب لأمر الشـاب لمـاذا هو هـادىء الملامـح هكـذا ولا يتفـوه بكلمـة!؟ .كسـر شـروده قـائلا : ربمـا ستعانى من الصداع قليلا تلك القهوة ستساعدك علـى التركيز،ثم مد يده بمجموعة أوراق وقلم وطلب منـه أن يكتب مـا رآه ..كانـت لهفـة الشـاب فى معرفـة مـا رآه (مـاك) غير طبيعيـة حين نظر إليـه بتعجب من تلك اللهفـة بـرر الشـاب أنـه يخشـى أن ينسـى (مـاك) جـزء ممـا رأى ويفقد بالتالى قصته ، مد يده والتقط الأوراق وبدأ يكتب ومـا إن انتهـى حتـى اختطفها الشاب فى لهفة وبدأ يقرأ بدا كأنه لم يصل الـى مبتغاه بعد من تلك التجربة فسأله (ماك) : أتدرى الى أى وقت ذهبت؟

أجاب الشاب فى شرود : الى مائـة عـام من الآن ..اخشـى أننـى تـأخرت كثيرا.

تعجب (ماك) وقضب حاجبيه متسائلا : عن ماذا تاخرت؟ ، غير الشـاب ملامحـه لابتسـامة متصـنعة ملتفتـا إليـه مهنئـا علـى مـا كتبـه فتلـك تكملـة لحلقاته التى بدأها، أخبره (ماك) أنه مازال يشعر بملمس حبات الزيتون

على جلده وبرعشة الخوف من القتال فى قلبه ومدى غضبه حين رأى المجاذر والمحاكم الجماعية والقتلى فى المقابر الجماعية.

ركع الشاب على ركبته ممسك بيد (ماك) الباردة قائلا : أنها الأرواح تتجند وتتقابل والأماكن أيضا كالأرواح تماما تتجند وتتقابل عن أرواح البشر، نظر (ماك) بعينيه قائلا : كنت أفهم ما يحدث وكأننى أتقن اللغة العربية منذ نعومة أظافرى إحاسيسهم - أشار الى قلبه - ..و أفكارهم حتى أنفاسهم صارت مألوفة كيف؟! : كل الأرواح ستفهم ما يقوله الله يوم الحساب ستكون اللغة واحدة ويفهمها الجميع.. للأرواح لغتها الخاصه وسرها الخاص الذى يجعل لها القدر على فهم كل شىء حتى وإن لم تكن تعلم شىء ..إن رأيت شىء لأول مرة فى حياتك فى أحلامك فإنك ستدرك ماهى ماهيته ما رأيته.. سر من أسرار الأرواح التى احتفظ الله بسرها عن البشر؛ (ويسألونك عن الروح ..قل هى من عند الله)

أمعن (ماك) النظر لعينين الشاب مصدقا لكل حرف يتفوه به لا مجال للشك فقد رأى بعقله ما لم يؤمن به من قبل.

نظر الى الساعه التى أعلنت عن نفسها بدقاتها الخامسة صباحا ..أشاح نظره عنها الى النافذة فطلت أولى بشائر الفجر الجديد.. قال وهو مازال يتأمل تلك الأضواء التى تخرج من رحم الظلام : لقد انكشف غطاء النهار مع سر من أسرار الحياة ، ضغط الشاب على يديه برفق مبتسما : لم ترى شىء بعد .

نظرإليه فى اندهاش وروح المغامرة تشتعل فى قلبه للقادم

****

أرسلت الشمس أشعتها فسقطت على الأوراق التى حبرت بما كتبت يداه ،ألقى بها أمامه على المكتب، ظل حائرا وإصبعه يتحسس التأكيد

على النشر ،ظل حائر لبضع دقائق ثم قرر عدم نشر تلك الحلقة وضغط على إلغاء ، فجأة رن هاتفه المحمول تفقد المتصل ابتسم قليلا مجيبا :

عزيزتى ..هل أنت بخير

- هل كنت نائما
- لا
- لماذا لم تأتى أمس!؟
- أتى الى أين .....أوه آسف ياعزيزتى كنت مشغولا قليل أبلغى اعتذارى ل (أميليا) فلم أستطيع القدوم على العشاء.

صمتت (أليكس) قليلا ثم قالت فى حزن : لا تتأخر الجميع سيكون هنا بانتظارك ..أغلقت الهاتف ، أدرك أنها غاضبة للغايه، فى حين كانت (أليكس) تتماسك لكى لا يرى دموعها أحد من العائلة وتفسد تلك اللحظات السعيدة لأختها الصغرى (إميليا).

أمر الشاب أن يتبعه إلى غرفته الشخصية فى الأعلى.. يتطلع الشاب لمعرفة ما الأمر فلحق به، كانت غرفة فخمة للغايه لم يرى مثيل لها فى الغرف الأخرى كان يتطلع لها ولسانه يردد إن تلك الغرفة رائعة الجمال لما لا يهديه غرفة مثل ذلك نظر إليه (ماك) من فوق نظارته.. قائلا تلك غرفة زوجتى لا تتطلع إليها ،جذبه من ذراعه وأوقفه أمام غرفة مليئة بالملابس الفاخرة قائلا : اختر ما يلائمك هنا بسرعة فلدينا زفاف نريد أن نلحق به .. اندهش الشاب متسائلا هل سيصطحبه السيد (أرثوفيتش) الى حفل الزفاف؟! أدرك (ماك) ظهره له منهمكا فى اختيار زى مناسب للشاب قائلا فى سخرية وهو يلقى بالملابس التى لا تلائم الشاب جانبا : أتعتقد أننى سأتركك هنا فى المنزل وحيدا !؟

ابتسم وهو يتحسس إحدى تلك البذلات الملقية على الأرض قائلا : عليك اختيار زى مناسب لى إذا لكن لا أظن أن مقاس السيد (أرثوفيتش) يناسب قوامى الممشوق .

نظر إليه (ماك) فى غيظ من فوق نظارته ثم نظر الى جسد الشاب وقد أدرك صدق كلامه فجسد ه رياضى ممشوق بينما (ماك) ملىء بعض الشىء وقصير بالنسبة له أشاح بوجهه عنه قائلا : حسنا اتبعنى

قام (ماك) فأجرى بعض الاتصالات وما هى الى دقائق حتى دق جرس المنزل ودخل بعض الموظفين يحملون ملابس مختلفة تتشكل بين بذلات أنيقة وقمصان مختلفة الألوان الى جانب الملابس الداخلية بما يناسب مقاس الشاب ..ظل الاتنان ينظران الى الموظفين وهم يرصون الملابس بحذر على الأريكة والطاولة ، ما إن انصرفوا حتى أبدى الشاب اندهاه بكل تلك الأشياء الكثيرة فهى أكثر مما يجب وباهضه الثمن للغاية فأسعارها مدون فى الفاتورة كلما أمسك قطعة من الملابس يتفقد سعرها فيثير إعجابه أنها باهضة للغايه قائلا : أرجوك أن لا تخصم أسعار تلك الملابس من راتبى سأمكث أعوام أسدد ثمنها.

نهض (ماك) من الأريكة واختطف الفاتورة من يديه فى غضب مشابه شىء من السخرية قائلا : وكأنك ستدفع تلك التكلفة من جيبك ..هيا جرب تلك الملابس لا تدعنا نتأخر عن الزفاف.

حمل الملابس معبرا عن سعادة البالغة تلك المرة الأولى التى يخرج فيها فى مناسبة منذ أن آتى الى بريطانيا وللمرة الأولى يرتددى مثل تلك الملابس الباهظة للغايه ..تحولت ملامح (ماك) المتغضة الى ابتسامه أخفاها عن الشاب، فرغم أن الشاب دائما مبتسما إلا أن تلك المرة التى يشعر فيها بأنه سعيدا وقد فرح لذلك .. صعد (ماك) وارتدى ملابس أنيقة للغايه تليق بالكاتب المشهور (ماك أرثوفيتش) ،انتظر الشاب لكنه تأخر قليلا نادى عليه أن يسرع فسيتأخرون على الزفاف ولا يرغب فى

إثارة غضب زوجته العزيزة (أليكس) .. أنصت الى الشاب لكن لا صوت له وكأنه اختفى ! ، دب خوف مجهول السبب فى قلبه فأسرع واقتحم غرفته بقوة ..فتسمر مكانه حين رأى الشاب فى أبهى منظر قد رأه ..أطال النظر إليه فالتفت له الشاب حينما رأه فى المرآة مبتسما:

هل أبدوا أنيقا؟..نظر (ماك) الى نفسه فى المرآة قائلا فى سخرية: أجل.. أجل لكننى أكثر أناقة.

أدرك أن منظره قد أثار إعجاب السيد (أرثوفيتش) فابتسم ،ركب الاثنان ف السيارة لم تترك عين الشاب الشوارع واللافتات والمحالات والمقاهى عيناه تقولان أنه لم يحظى بالخروج من وقت طويل لاحظ (ماك) انشغاله فسأله إن كان يعمل من قبل فى عروض الأزياء الخاصه بالرجال فأخبره الشاب ومازالت عيناه فى تأمله قائلا : تلك الشوارع اشتقت إليها كثيرا لم أراها منذ سنوات .

تنهد (ماك) فى راحة وحرية لا يدرك السبب ولكنه تيقن أنه سعيد لسعادة الشاب الذى يشوب وجهه غيمة حزينة.

وصل الاثنان للحفل كان زفاف فخم للغايه أقيم فى حديقة منزل عائلة (أليكس) ،فرقة موسيقية تعزف ألحانها عند دخول المدعوين الى الحفل، اثنان من الجرسونيرات الراشيقات تحمل إحداهن الشمبانيا والأخرى بعض المقبلات ينحنين نصف إنحناءة برأسهن ويثنين أرجلهن بعض الشيء عند دخول المدعوين للحفل وكأنه حفل ملكى ، رجال بملابس فاخرة يصطحبن نساء بفساتين فاخرة مرصعة بالمجوهرات.

كانت عينه تحصد الحاضرين باحثا عن زوجته (أليكس) كان يتردد إليه بعض المدعوين ليلقون التحية والترحيب، بينما عينان الشاب تتأملان تلك الفخامة فى الحفل والفرقة الموسيقية الضخمة التى تعزف للمدعوين الذين ينتظرون العورسين بالورود التى تفترش الأرض من بداية

الطريق الى منصة الزفاف حيث يقف قسيس شاب رائع الطلة يبدى هو الآخر إعجابه بفخامة الحفلة ومنظر الأزهار التى تحيط بمنصة الزفاف على شكل قلب ، تقدم باتجاه الكراسى.. وجد على كل كرسى علبة هدية صغيرة للمدعوين مد يده والتقط أحداها وأخذ أخرى من أحدى الكراسى الى (ماك) يخبره أن الحفل رائع ،نظر الى الهدية مبتسما وأخذها منه وكاد أن يفتحها حتى احتضنته (أليكس) من الخلف مرحبة به بالقبلات وسط أبناء عمومتها وأصدقائها الذين فور رؤيتهم تجمعوا حوله يرحبون به وسرعان ما أخذوه بعيدا عن الشاب الى داخل المنزل ..ترك الشاب سارحا بهديته التى فتحها كان بها قلادة صغيرة جميلة الشكل ومعها ورقة صغيرة بها بضع كلمات قرأها وأمعن التأمل فيها أخذته الكلمات الى عالم آخر سرح بخياله الى تلك الجميلة التى تمكث بقلادها فى أحضانه فى تلك البلد الغريب ..تنهد فى حزن و اشتياق ووضع الهدية فى جيبه ..توجه بكلامه ل(ماك) نظر حوله فلم يجده ..تعجب الى أين قد ذهب!؟ فمضى يبحث عنه فى الحفل.

كانت الفتيات تحيط به بضحكهن ولهوهن معه مضت (أليكس) تتأملة ببهجة فى عينيها يشوبها بعض الحزن والقلق ..اقترب منها (ألفريد) الذى وصل للتو الى الحفل أدرك أن (أليكس) تعانى من شىء ما فسألها إن كانت بخير فأشاحت بنظرها بعيدا تخفى دموعها التى لمعت فى عيناها فأمسكها من ذراعها وجذبها للخارج متسائلا : ما الأمر ؟

قصت له ما يعانيه (ماك) مؤخرا ،لمحهما (ماك) يتحدثان من خلف الزجاج ..أدرك أن هناك شىء ما تخفيه (أليكس) من وقفتها وتقوس ظهرها ويدها المضمومتين أمام صدرها، أن هناك أمر ما يزعجها استاذن من الفتيات اللآتى تمسكن به لكنه اعتذر أن هناك شىء ما ضرورى عليه القيام به ..ذهب إليهما فرأه (ألفريد) وهو قادم فأخبر(أليكس) شىء جعلها تضع يدها على عينيها فأدرك (ماك) أنها تبكى , نظر إليهما (ماك) فى قلق متسائلا عن الأمر ، ابتسم له(ألفريد)

ومد يده لمصافحته أخبره أنه سعيد للغايه لرؤيته بخير ،صافحه (ماك) لكن لم يعير لكلامه الاهتمام فقد تسمرت عيناه على (أليكس) احتضنها فى حنو متسائلا : ما الأمر!؟

أجابه (ألفريد) أنها سعيدة للغايه بزواج شقيقتها الصغرى لكنها لم تستوعب أن أختها ستسافر الى باريس مع زوجها لبضعة أشهر لقضاء شهر العسل بعيدا عنها ، ضمها (ماك) فى أحضانه وربت على ضهرها وحثها على التماسك كى لا تشعر (إيميليا) بشيء فما هى إلا بضعة أشهر وستعود لتعيش مع زوجها مرة أخرى هنا فى بريطانيا ،أطلق فكاهة قائلا أن إيميليا كانت ترقص مرحا عند زواجهما لأنها ستنفرد بالغرفة لوحدها بعد زواج (أليكس).. ضحك ثلاثتهم فقبلها من جبهتها ، رأهما الشاب من بعيد فذهب إليهما على الفور مؤنبا (ماك) كيف له أن يذهب دون أن يخبره لقد بحث عنه فى كل مكان ، رحب به (ماك) وأخبر زوجته (أليكس) و(ألفريد) أن يرحبا بصديقه ،رحب بهما الشاب وأومأ برأسه مرحبا الى (ألفريد) قائلا : سعيدا بلقاءك

لم يعبأ له (ألفريد) و نظر الى (أليكس) التى ظهر عليها الامتعاض فتركتهم أيضا وذهب الى الداخل متحججة أنها ستتفقد أختها بينما نظر (ألفريد) الى (ماك) أخبره أنه سعيدا برؤيته فى صحة جيدة هو وصديقه الجديد ثم مضى بعيدا ، أدرك الاثنان أن الشاب غير مرحب به هنا ربما لملامحه العربية الخمرية وشعره الفاحم ولكنه التى تفصح عن غربته واختلافه عن تلك البلاد ..

ربت (ماك) على كتف الشاب ثم أخبره ألا يقلق ..هما فقط كمثله فى أول لقاء له معه لم يعتادوا على وجوده لكنه سرعان ما سيعتادان على ذلك.

أخفى الشاب حرجه بإبداء سعادته لوجوده هنا , انطلقت الموسيقى معلنة بدأ حفل الزفاف فجذب (ماك) الشاب الى الحفل محثا له أن يستمتع بكل

لحظة فنادرا ما يجد حفلا فخما هكذا فى بريطانيا ابتسم كلا منهما للأخر محاولا كسر تلك الغمامة من القلق عما حدث .

جلس الجميع على الكراسى ينظرون الى العروسين وهما يتقدمان الى منصة الزفاف وخلفها (أليكس) و أبناء عمومتها بزى موحد تحمل كل منهن إكليل من الورد فى يدها همس (ماك) للشاب : أترى زوجتى (أليكس) أجمل من فى الحفل ..لما تبدوا رائعة هذه الأيام هى مثل الألماس يزداد رونقا كلما تقدمنا فى العمر.

ابتسم له وتابع الحفل.

وقف العروسين أمام القسيس واصطفت الوصيفات خلف العروس بينما الأشبين خلف العريس وبدأت مراسم الزفاف , ساد الصمت وبدأ القيسيس بالكلام.

أنصت الجميع باهتمام الى العروسين بينما (ماك) لم يستمع الى حرف مما قاله القسيس بل كان يتأمل (أليكس) بنظراتها وضحكاتها وهمساتها للفتيات و دمعة عيناها التى تفصح عن سعادتها لرؤية أختها عروس تذكر أن تلك الشابة قبلت أن تتزوج هذا الكهل الذى تجاوز الخمسين ببضع سنوات تلك الحسناء ما الذى رأته فى ذلك الكهل حتى ترضى بإلقاء زهرة شبابها مع رجل لن يستطيع أزهار حياتها كمثل الشباب، لاحظ بعينيه أن أحد الرجال فى ريعان شبابه ينظر الى (أليكس) لكنها لا تنظر إلا الى أختها ربما أدركت أن (ماك) يفكر فيها الآن ..نظرت إليه بابتسامه ومازالت الدمعة تلمع فى عينيها , أخبرته عيناها هل تتذكر تلك اللحظة التى وقفنا فيها هنا وسط الحضور!؟ أشكرك على تلك الحياة وتلك اللحظة الرائعة.. أغمض عينيه مجيبا نعم أدرك تلك اللحظة جيدا شكرا لك لأنك من وهبتنى تلك السعادة ،ثم التفتت (أليكس) للعروسين واستمر (ماك) فى تفكيره إن ربما يأتى مصير (أليكس) بعد موته بين ذراعى أحد هؤلاء الشباب يوما ما ..فلن تقضى حياتها الطويلة وحيدة

دون طفل بينهما ..ذلك الموضوع لم يشغل (أليكس) خصوصا منذ الوقت الذى فقدا فيه طفليهما الأول بعد يومين من ميلاده توفى لظروف غامضة بسبب صحته غير الجيدة.. تمتعت يداها بحمله قليلا وداعب قلبها حركات ذلك الصغير الخفيفة بين ذراعيها لكن لم تنعم (أليكس) بإحساس الأمومه والرضاعة إلا لساعات معدودة ولم يهنأ قلبها بضمه إليها إلا ساعات معدودة بعد مولده ..تساقط من عيناه دمعتان خشى أن يراه أحد ما أو يفسد أجواء الحفل بتلك الدموع ما إن سمع إعلان القيس قائلا : أعلنكما زوجا وزوجة ..وقبلا العروسين بعضهما وأطلق الجميع الورود والصيحات فسحب نفسه بعيدا الى داخل المنزل ..لاحظ الشاب مغادرته فاتبعه ..رأه يحضر كوب ماء من الصنبور وظل يشاهد الجميع يستمتع باحتفال من خلف الشباك , شعر بوقع أقدام خلفه لمح القادم بطرف عينه فأدرك أنه الشاب أعاد النظر الى الحفل وبصوت يشوبه الحزن والندم : أتدرك متى يشعر الرجل أنه كهل عاجز لا يستحق الحياة**!؟**...حينما تهبه الحياه زهرة لا يستحقها

تقدم إليه الشاب بخطوات واثقة , وضع يداه فى جيبه وأخرج هدية (ماك) التى نساها على الأريكة أثناء مرحه مع الفتيات ثم اتجه صوبه ووضع الهدية أمامه وفى صوت يعمه بالأمل : الحياة لا تعطى الهدايا إلا لمن يستحق ..نظر الى (أليكس) .. ربما أنت البستان الوحيد الذى يقدر قيمة تلك الزهرة ، نظر كلا منهما الى الآخر . خرج الشاب وهو يلقى بنظره على (أليكس) من الشباك , التقط (ماك) الهدية وفتحها كانت بها قلادة رائعة ومعها ورقة مرسوم عليها وجه يضحك ..أعاد النظر الى (أليكس) بعينان مبتسمتان ، كانت منهمكة فى الضحكة واللعب مع مثلها من الزوجات الشابات يجريين حول بعضهما ويقذفون بعضهم بالورود فجأة ضمها ذراعين من الخلف فسرعان ما أرخت نفسها بينهما تعلم تلك الذراع فهى الوحيدة التى احتضنتها طوال السنوات الماضية بحنان ودفىء بادرها بقبلة على رقبتها وهمس فى أذنها : أنت أجمل ما فى حياتى ..شكرا لأنك جعلتنى جزء من حياتك

التفتت إليه فى حنان ثم أخرج من جيبه طوق من الماس اشتراه خصيصا لها ،أبهرها جماله للغايه , أخبرها أن ابتسامتها أقل ما يقال عليها جميلة إذا قوت بجمال الطوق أدارت ظهرها له فوضع الطوق على عنقها كان فى غاية الجمال ما إن رأته الأخريات حتى التفتن حولها يبدين انبهارهن به وبجماله وبزوق السيد (ماك) الفريد من نوعه, سحبها (ماك) من وسطهن قائلا : اسمحوا لى سيداتى الجميلات أن اختطف زوجتى لتلك الرقصة.

وضع يده حول خصرها وضمها إليه فى رقة ملكية , وضع يده فى يدها وظل يرقص وسط نظرات الجميع الذين ترك كلا منهم لهوه وظل يشاهد رقصيهما ،اقتربت (أليكس) من أذنه هامسة : لم يكن عليك شراء تلك الهديه الباهضه ،انحنى إليها وهمسها بأذنها قائلا: استطيع أن أدفع حياتى هدية لك وقبلها بعنقها وظل يتراقصان مسندا رأسه على كتفها فاحتضنت رأسه بذراعيها ، وقف العروسين يشاهدان الرقص بما يشع فى قلبيهما من الحب وفى عينيهما من فرحة برؤية هذا اليوم الذى التقيا فيه أخيرا ،ضمت العروسة زوجها فى سعادة بالغة مفعمة بالحب حتى دمعت عيناها فحملها العريس ليرقص الى جوار (أليكس) وظل يرقصون ، وسط سعادة الأخرين بهم.

وقف يراقب من بعيد تلك الأجواء المفعمة بالحب ..فجأة سمع صوت زغاريد بالجوار , قضب حاجبيه متعجبا , وجد نفسه يتقدم نحو جمهرة من الناس أمامه وسط سقوط خفيف لرقائق الثلج ، يلتف الناس فى شكل نص دائرى أمام منزل صغير يتكون من دورين تزينه ورود تتدلى من أعلى الى أسفل المنزل يقف بالجوار بضع رجال يحملون الدفوف والطبول والبعض الأخر يرقص وبعض النساء والفتيات يطلقن الزغاريد ويرقصون ،حاول اختراق تلك الجموع وكلما اقترب منهم كلما دقت الدفوف والطبول على دقات قلبه المضطربة, فجأة صدم بأحد الرجال فالتفت له الرجل وما إن رأه حتى هلل به واحتضنه بحرارة

وقبل كتفيه ووجنتيه مباركا له على العرس , فجأة التف حوله الرجال مباركين راقصين بعدما أمسكوا بزراعيه لإرقاصه فوجيء بيد تربت على كتفه التفت إليها كانت إحدى النساء كبيرات السن تبدو ملامحها مألوفه للغايه ترتدى عباءة طويلة وتلف رأسها بحجاب هربت منه بعض الشعرات البيضاء من الجانبين جذبته من يديه برفق ما إن لمست يدها يده حتى أحس بالأمان يتخلل ضربات قلبه المضطربة فهدأت قليلا، أوقفته أمام باب المنزل ثم ألقت نظرة الى الداخل وخرجت محتضنة وجهه ثم وضعت قبلة حانية على جبينه تدعو له بالبركة والهنا فى حياته ثم تعلقت برقبته تحتضنه ..كان حضنها دافيء للغايه حتى كاد يغمض عينيه ويغوص فى غفوة عميقة بما يحمله من طمأنينة وأمان تذيب الخوف فى صدره ،ثم أردفت قائلة : مبارك لك يافلذة كبدى، أخذت بعض الأزهار من إحداهن وظل تلقيها عليه.. فجأة صدر صوت الزغاريد قادم من داخل المنزل يقترب أكثر فأكثر ..تسمرت عينه كالبقية الى الباب اقتربت منه المرأة الكبيرة وأمسكت بيده فتغيرت ملامحها متعجبة قائلة: يدك باردة للغايه ..الله يهنيك ياولدى ويجعلها ليلة مباركة عليكما ،توجه بنظره الى الباب فطلت منه قمر بثوب القمر يغطى وجهها وشاح شفاف أبيض أضيئت دقة ملامحها الملائكية منه وفى يدها باقة فخمة من الأزهار تتدلى الى قدميها ووشاح أبيض منقوش ببعض اللؤلؤء تمسكه بيدها الأخرى ،كلما اقتربت خطواتها منه كلما زادت قلبه نبضة حب.. كانت تخطوا خطواتها على استحياء والدموع تزف الرؤية السعيدة لعينيه وقلبه وعقله أصبحت الطبول تدق على نبضات قلبه والزغاريد تشد من أنفاسه والصفقات تمرح على توتراته وشغفه أن تلك اللحظة قد حانت والتقى الجمعان.

مد يده لها فاستجابت فمددت يدها تلامس كفه العريض أناملها الصغيرة كطفلة تحتضن يد أباها.. أخرج من جيبه سوار فى غايه الجمال نظرت إليه من وراء وشاحها الذى أظهر سعادتها بتلك الهدية الجميلة فى يوم الزفاف ثم وضع لها السوار ، مسك طرفى الوشاح ورفعه عن وجهها

لكن فجأة صاح به صوت قائلا : نحن بيننا برزخ لا يلتقيان ..تحول وجه العروس الوردى الى وجه ملون بلون الخوف والفزع ..نظر حوله فتحول الجميع الى أناس يرتدون أسود فى أسود بوجوه سوداء طمست ملامح وجوههم وتحولت الدفوف والطبول لصرااخ فجأة رأى نفسه يمضى الى الخلف وكأن الرياح تحمله.. كاد أن يقع لولا أن تلقفته يد قوية وصاحت تردد عليه : هل أنت بخير **!؟** نظر حوله فوجد (ماك) يضمه بذراعيه مفزعا كان وجهه شاحبا كأنه رأى شبحا ،غارق فى عرقه يلهث بأنفاسه المتضاربة فصاح به والخوف يتملكه : هل أنت بخير **؟!**

بحث الشاب حوله فى جنون فوجد أن كل شىء قد اختفى ..أعاد عليه (ماك) السؤال لم يكن بمقدوره جمع شتات نفسه للإجابة عليه فاكتفى بهز رأسه قليلا ،خشى (ماك) أن يراه أحدهم بتلك الحاله وخصوصا (أليكس) فيثير غضبها فأخذه الى الداخل وملا كوب من الماء وجذب يده ليمسك بالكوب كانت يده ترتعش فساعده على رفع الكوب ليرتشف منه رشفة وعاد (ماك) لسؤاله إن كان بخير فهز رأسه ثم أخبره أنه يرغب فى العودة الى المنزل الآن.

اضطر (ماك) الى الرحيل دون إخبار (أليكس) بذلك فقط أرسل لها رسالة نصية أنه غادر لأمر طارىء.. رحل الشاب وهو يلقى بطرف نظرة خيرة على العرس الذى أوشك على الإنتهاء مودعا بذلك الزفاف الذى داعب عقله ، ساعده (ماك) لركوب السيارة ، فى الطريق لاحظ ما ينال الشاب من تعب وإرهاق وشرود .

دخل الاثنان الى المنزل ..ألقى (ماك) بنفسه على الأريكة فى غرفة الضيوف بينما اتجه الشاب فى إرهاق شديد الى غرفة الكتابة خلع بزلته وألقى به على الكرسى بجوار الأريكة.. لاحظ (ماك) أنه ليس بخير

فاتبعه فوجده جالسا على الأريكة ضامم قدميه الى صدره دافنا رأسه بينهما كانت علامات الأسى تتلون حوله فى هالة أحس بها ،اقترب منه لكنه كان غارقا فى أحلامه الخيالية تحسس (ماك) ظهره وعلامات التعجب من الحالة التى وصل إليها انعكست فى نبرة صوته متسائلا : ما الأمر!؟

نظر إليه بابتسامة مكسورة تعلو وجهه ظن (ماك) أن هذا بسبب اللقاء السيء الذى قابلته به (أليكس) و(ألفريد)، فاعتذر عما بدر منهما ..هز الشاب رأسه فى ابتسامة افترشت وجهه أن لا عليه فقد اعتاد ذلك فى بريطانيا ومعظم الدول الأوروبية إذا لقوا ببعض العرب ولكن طالما تلك العنصرية لم تتخذ مجرى العنف فلا بأس بالأمر ثم أردف يخبره أن عليهم الاستمرار فى التجربة فى أقرب وقت فمدة إقامته هنا ستنتهى قريبا ولا يريد أن يرحل قبل إكمال التجربة.

أدرك (ماك) أن هناك شيء يثير قلق الشاب لا يريد إخباره بها ..لكنه احترم خصوصيته وأقنع نفسه بألا يضغط ليعلم ما الأمر.

طلب (ماك) منه أن يرتاحا قليلا من الزفاف وضجيجه لكنه رفض الذهاب الى غرفته راجيا أن يتركه لبعض الوقت هنا وسوف يذهب الى غرفته قريبا.

صعد (ماك) لغرفته ..فجأة تحول الليل الى زوبعة أصوات الرعد تخطف الأنفاس من الصدور وإضاءة البرق التى شهدت على استمرار الشاب فى يقظته حيث تثيره الذاكرة المكبوتة التى تترجى الخروج، أخرج من جيبه صورة قديمة أثارت مشاعره المدفونة ففاضت عيناه بالدموع ..جلس فى كرسى المكتب وفتح الجهاز المحمول وبدأ يكتب لكن من أين يبدأ!؟ لقد وعد (ماك) أنه لن يمس ممتلكاته أو يكتب مكانه.. فانتفض مسرعا الى الأعلى ،فى تلك الأثناء حين صعد (ماك) خلع ملابسه واتجه الى الحمام لتجهيزه للإستحمام قبل أن يلجأ الى الفراش..

أثناء ذلك جلس على طرف السرير يفكر فى شىء ما لم يطل الفكر فيه فسرعان ما اتجه الى الحمام ومكث فى حمامه الدافىء لبعض الوقت ثم اتجه الى فراشه ..حمل كتابه ووضع نظارت القراءة وبدأ يقرأ.. كان هناك أمر ما يجول فى فكره منعه عن التركيز تارة يقرأ وتارة ينظر باتجاه الباب ليسمع خطوات الشاب ليطمأن أنه عاد الى غرفته ، نظر الى الكتاب ففوجىء بطرق على الباب فنهض سريعا وما إن فتح حتى وجد الشاب يخبره قائلا : أنه أنسب وقت لتجربتنا علينا الآن البدء ..حاول (ماك) مجادلته فالوقت غير مناسب ومازال يشعر بالإرهاق من زفاف لكن الشاب لم يمهله لحظة لكى يخبره بشىء وانطلق بسرعه كالبرق الذى يسرع أضواءه فى المنزل الى غرفة المكتب.

وضع (ماك) الروب عليه ونزل مسرعا يتبعه فلذة المغامرة تجبره على التخطى أى ملذات أخرى حتى وإن كان النوم.

دخل غرفة المكتب وجد أن الفتى قد أعد كل شىء ؛ الأوراق والقلم لكن انقطع التيار الكهربائى بشكل مفاجىء فنظر (ماك) الى الأنوار فى خيبة أمل قائلا أن الوقت لا يحفذهم على بدأ تجربتهم الآن.

لكن الشاب قال أنه لايريد الأضواء على أى حال.

تمعن (ماك) النظر إليه فى تعجب فلما العجلة الى هذا الحد للتجربة فى تلك الليلة الغريبة ، تمدد (ماك) على ثم أشعل الشاب غليونة وأطلق الزفير فى وجهه.

******

فتح عينه وجد نفسه ملقى على الأرض مغطى بالأتربة وبعض الحجارة وقطع خشبية محترقة ملقاة على جسده ..عافر بقوة على زحزحة تلك الحجارة لكنه لم يستطيع سند على إحدى يديه وبيده الأخرى حاول إزالة تلك الأشياء وتحرير قدمه كانت تلك الأشياء تغطيه من خصره

الى قدميه بالحجارة والأخشاب فى كل محاولة يحاول تحرير نفسه يختل توازنه ويقع على جانبه ويعفر وجهه بالتراب فمرفقيه المرتعشين لا يساعدانه على التخلص من ذلك المأزق حاول أن يزحف مخلصا نفسه لكن الألم فى قدمه جعله يصرخ بأعلى صوته.. تلك الأشياء الساقطة عليه أصابه قدمه لكنه لا يستطيع تحديد أى قدم قد أصيبت هو فقط يشعر بالألم الشديد ،كان الرعب يأكل قلبه وأعصابه ، يلتفت حوله باحثا عن أحد ما ليقوم بمساعدته ويخلصه من تلك الأزمة فعاجلا أم آجلا سيلقى أحد الجنود بقذيفه هنا وينتهى أمره ،فجأة إزداد حوله تساقط النيران والتفجير فيتناثر عليه التراب والحطام ، تصارعت الأنفاس فى صدره حتى كاد يخرج قلبه من مسكنه ،أخفى رأسه بين زراعيه موجها وجهه نحو الأرض كان وجهه ملطخ بالدماء والأتربة ، حاول الخلاص بنفسه مرة أخرى لكنه فشل فظن أن تلك النهاية وأنه سيلقى حتفه هنا بعيدا عن (أليكس) حاول أغماض عينيه بقوة على أن يعود الى المستقبل أو واقعه كما كان لكنه كل مرة يغلق فيها عينه ويفتحهما يجد نفسه قابعا مكانه محتجزا تحت الحطام باءت محاولاته الى العودة بالفشل ففاضت عيناه بالدموع اليائسة من النجاة حزين على تلك النهاية الغير متوقعة فطالما ظن أن نهايته بين أحضان العزيزة (أليكس) ، أعلن استسلامه وكلما قذفت النيران حوله لا يخبأ رأسه بل أصبح يفتح زراعيه للموت فإذا لم يمت الآن فبعض قليل سيأتى إليه الموت ..ضامه بين أحضانه بعيدا عن موطنه ، فجأة انطلق نحوه بصيص الأمل فى ذلك الصبى الصغير الذى ألقى سلاحه جانبا وبدون كلمة قام بإزالة الحجارة والأخشاب من عليه فى حذر وعيناه تتردد النظر حوله حذرا من الرصاص المتطاير قام (ماك) بمساعدته بإزالة بعض الأخشاب على قدر المستطاع وما إن خفت الأثقال من على جسده حتى قام بالزحف جاذبا جسده من تحت الأنقاض ،وبعد عناء استطاعا سويا تخليصه لكنه لم يقدر على النهوض بقدمه المصابة والأخرى ترتعش بالكاد يستطيع ثنيها والوقوف عليها.. فجأة مضى الصبى بعيدا حاول (ماك) أن يلحق

به لكنه سقط فور وقوفه نظر الصبى خلفه فقد ظن أن (ماك) يلحق به لكنه وجده ملقى على الأرض لا يستطيع الحركه بمفرده فتراجع مسرعا ووضع ذراع (ماك) حول رقبته وأحكم قبضته بيده الأخرى حول خصره وفى كتفه يحمل سلاحه لا يتخلى عنه ،اندهش (ماك) الذى اعتقد أن الصبى تركه ليتولى أمره بنفسه بعدما قام بتخليصه من الأنقاض لكن سحبت شجاعة الصبى روح الاستمرار على تخطى جرحه ومساندة الصبى فى الفرار من هذه المعركه الدارية.. انحنى وأخذ قطعة من الخشب يتكأ عليها ليسرع بالفرار من تلك النيران ،إن كان قد تخطى النجاة من الموت فى تلك المره فالهرب بعيدا عن ذلك الوابل من الرصاص ..أمر فى غاية الصعوبه ،فى كل موضع لأقدامهم ينهال الرصاص بجانبهم وحولهم فيلقى الصبى بنفسه وب(ماك) على الأرض ثم سرعان ما ينهضان مسرعين ،لم يهتم فقط بالنجاة بنفسه بل ب(ماك) أيضا كأنه جزء لا يتجزأ منه ، أصبحت النيران تعصف كالرعد والصواريخ تزلزل الأرض حولهم كبركان ثائر قد أثير غضبه بالاقتراب منه، أسرع الصبى حتى وصل الى جبل بدأ فى الصعود لكن كلما صعد انزلقت قدمه لا يستطيع صعود الجبل بالحمل الزائد بحمل (ماك) ،ساعده (ماك) قليلا فى الانحناء والصعود على ركبتيه والتشبث بذراعيه بالحجارة للصعود وبمساعدة الصبى الذى يسحبه تارة لأعلى أو يدفعه من أسفل، كان الصبى يسبقه ببعض خطوات فى الصعود وحينما رأى مدى صعوبة (ماك) فى الصعود نزل بنفسه ووقف بظهره وظل يدفعه ممسكا بيده حول خصره كانت قدمه لا تساعده على الصعود فحل ذراع الصبى محل قدمه وظل يدفعه لأعلى ،فجأة سقطت قذيفة بجوارهم تسمر الاثنان مكانيهما وكادت أعينهم تخرج من محجرها وأنفاسهم تضل الطريق الى صدورهم فجأة جذب الصبى (ماك) على الأرض وألقى بنفسه عليه لحمايته من الأحجار المتساقطة عليهما لكن صوت القذيفة المدوى أصابهم بالصمم لبعض الوقت وأخل من توازنهما فأصبحا مترنحين قليلا ، فتح (ماك) عينه فوجد الصبى ملقى

عليه لحمايته نهض فسقط الصبى بجواره فاقد الوعى ظن أنه لقى مصرعه فهزه من كتفه وربت على وجهه ليستيقظ ..بدأ الصبى فى فتح عينيه فجأة أدرك أنه قد غاب عن الوعى فنهض مسرعا متابعا طريقة امتدت يده الى (ماك) ثانيا لمساعدته على الهرب ، تلك الإرادة القوية على الاستمرار كانت معجزة بالنسبة له ، فرغم أن صدا القذيفة أرهق جسده وهو رجل فماذا فعلت بذلك الصبى أتى صوت من بعيد صارخا قائلا : احتموا بالجبل ، اشتد الألم ب(ماك) وأصبح يفتك بقدمه التى شعر بأنها تقطع لكنه ظل يتحمل فإصرار الصبى على حمايته والهرب به لإخفاءه من عيون الجنود ومن نيرانهم المتطايرة جعلته يتمسك بالحياة أعطته دفعة على تحمل الألم ومواصلة الصعود فإن لم يكن يريد الحياة والاستسلام فلن يستسلم لأجل جهود هذا الصغير ، فجأة مد أحدهم يده وجذب (ماك) من كتفه الى أحد الكهوف ..ألقى نظرة خاطفة على الصبى لكن الرجل جذبه بقوة الى الداخل وتركه بجوار أحد جدران الكهف لحظات ووجد الصبى يطل أمامه بوجهه الذى أغرورق بالدماء دخل الصبى وقام بجذب (ماك) الى داخل الكهف أكثر قائلا : علينا الولوج الى العمق لنكون بأمان.

هم الصبى بالخروج فتمسك (ماك) بيده هز رأسه ألا يخرج لكن الصبى لم يعبأ وألقى بيده بعيدة دون كلمة حاول (ماك) الزحف خلف الصبى ليرى الى أين يذهب!؟ لكن إصابته منعت فاستقر منتظرا ، غاب الصبى لبضع دقائق وعاد بصغير يحمله على ظهره ورجل حينما تأمل ملامحهم وكشف الغبار والدماء عنهم ..عرفهم أنهم خالد وهارون الذى تقابل معهم فى تجربته السابقة ، لكن لماذا يظل قابعا فى تلك الفترة الزمنية لما لا ينتقل بين الأزمان كما حدث فى أول تجربة فجأة طرأ على عقله الشاب حينما قال أنه ربما تجد ما تبحث عنه فى إحدى الفترات التى يستمر بقاءك بها، كان يحيط بالجبل صوت إطلاق النيران لكن فجأة أصبح كل شىء هادىء تماما.. شرد بعقله عما قد يحدث الأن فى أسفل الجبل فقد شاهد أعداد ليست بقليلة تصعد لتحتمى بالجبل ،

كانت عيناه لا تترك للصبى جفن تراقبه يحمل أخيه وينزع ثيابه فى لهفة يتفقده إن كان مصابا فى أى مكان يضغط على قدمه وساقه متفحصهما من الكسور فدموع خالد المتواصلة وارتجافه الشديد ارعبت أواصال الصبى أن تكون إحدى الرصاصات أو شظاياها قد أصاب أخيه لكنه تنهد فى راحة عميقة مطمأنا بأنه بخير غير أن هناك كسر فى إحدى ذراعيه حين سقط وهو يصعد الجبل لكن الصبى لم يكن قلقا من ذلك ،فجأة صدر تأوهة من أحدهم كان هارون من يجلس أمام (ماك) مصابا فى كتفه كان يتكأ به على سلاحه لكن فجأة سقط السلاح من يده أسرع إليه الصبى يتفقده كانت إحدى الرصاصات قد اخترقت ذراعه وخرجت من الأتجاه الأخر لم يعد زراعه يقوى على حمل السلاح خلع الصبى قفطان وشقه ثم قام بربط زراع هارون كانت دموع العجز تحرق وجنتاه وندمه الشديد على إلقاء أبناء أخوة فى تلك المهالك وأنشغل بالحهاد على أن يقوم بحمايتهم والحرص على حياتهم وجمع شتاتهم لكن الصبى أخبره أن لا جمع للشمل مادام هناك شتات ولا حياة من قلب الموت، وأن ما حدث أمر متوقع فخالد مصيره كمصير باقى الأطفال إن لم يموت وهو يجاهد ويحارب فيسموت وهو يهرب من تحت قذائف المعتدين،مسح الصبى بأصبعيه دموع هارون ثم اتجه للخروج فأمسك به هارون متسائلا أين يذهب الآن فأجابه وهو يلتقط سلاح هارون قائلا : سأرى أن كان هناك أخرون يصعدون الجبل فربما يتبعهم الجنود ويعثرون علينا وستكون نهايتنا هنا ،هم هارون بالنهوض لكن الصبى أحكم قبضته على كتفه وأقعده قائلا فى حزم : أنت مصاب فقد أعتنى بخالد وذلك الغريب فهو مصاب بشدة تقابلت عينه مع عين (ماك) التى ترتعب من أن يكتشف الصبى حقيقة أنه بريطانى ،أسرع الصبى وخرج من الكهف مختفيا عن الأنظار ،اتجه هارون ناحية (ماك) وأخذ القطعة الأخرى من القفطان وربط به ساقه صرخ (ماك) من الألم فأسرع هارون وكمم فمه غاضبا محذرا ألا يصدر صوتا فربما تسلل أحد الجنود الى الجبل فيسمع صوته ويكشف أمرهم .

فتح عينه فوجد الليل غشا والسماء مظلمة مليئة برائحة البارود والدخان الخانق,, صوت بعض الجنود يصدر من أسفل الجبل وطلقات النيران التى تصدر بين حين لآخر هم (ماك) بالنهوض يترقب غياب الصبى فجأة أوقفه صوت قائلا : لا تتحرك ..تجمدت الدماء فى عروقه فلم يشعر بعودة الصبى ،سأله الصبى أن كان بخير، ثم لمس قدمه فتأوه (ماك) بشده فعلم الإجابة تركهم الصبى وهم بالذهاب أخبرهم أنه سيذهب ليحضر الطبيب أو ممرض لمداواتهم فى الحال قبل أن يزداد نزيفهما ،انطلق الصبى فنظر (ماك) الى قدمه كان حقا يشعر بالألم كأنه حقيقى لا يظن أنه قد سافر عبر الزمن أو يحلم فالألم يفتك إن كان يحلم لنتفض من نومه مفزوع من شدة الألم ..نظر الى خالد وهارون كانوا تقريبا فاقدين الوعى من جراحيهما ..كانت عيناه تتربصان بفتحة الكهف بانتظار الصبى أو أى غريب قد يأتى لإنقاذهما أغمض عيناه بعد أن فشل فى محاربه جفنية على ألا يغمضا فتح عيناه غير مصدق أن الليل مازال غاشيا ..وجد الصبى يشعل نارا صغيرة بداخل الكهف وقد أغل فوه الكهف ببطانية سميكة أسندها بفرعى شجرة وقد أحضر الماء وبعض الأسعافات الأولية وبعض الطعام وجد الصبى قد داوى جرحه وجرح أخيه والآن يداوى فى جرح عمه ويربط ذراعه المصاب ..ثم حمل بعض الشراب الدافىء الي أخيه ليتقوى به وكذلك عمه راقبه (ماك) بحذر لاحظ أن رأس الصبى مصابة بشدة ونزفت الكثير من الدماء حتى وصلت الدماء الى صدره وذراعه الأيسر ..ألقى الصبى نظره الى (ماك) فوجده.. قد استيقظ حمل إليه كوبا من الشراب الدافىء واقتربه منه قائلا : تناول هذا سيشعرك بالدفىء لا تقلق لقد ضمدت جراحك جيدا لقد كنت تنزف بشدة لكن الحمد لله أوقفت النزيف، فور ما ننزل من هنا سأجد طبيب لقد حاولت إحضار أحدهم لكن الأطباء محاصرون فى عياداتهم ومشفاهم ، فالقوات البريطانية حرمت على الأطباء الخروج من المستشفيات ومن يجرأ على ترك مستشفى أو استقبال أحد الجرحى يعدم فورا بالرصاص أو يمنع من مزاولة الطب

نهائيا ،لا يستطيع الأطباء الوصول إلينا الآن سنضطر للمكوث هناك وسأجد سبيل للوصول لطبيب فى أسرع وقت ..مد (ماك) يده الى الكوب ثم أرتشف منه رشفة لكنه لم يكن ماء دافىء كما ظن بل كان شىء حلو المزاق كشرته الدجاج أو شىء كهذا ..قضب جبينه تعجبا فابتسم الصبى قائلا : أنها لذيذة تناولها أنه حساء أعدته ربما أنت غير تعتاد عليه .

رفع (ماك) الكوب على فمه ولم ينزله إلا فارغا.. شعر بالدفىء يجرى فى أوصاله وشىء من الأمان يحيط به وتخيم عليه ظلالها، أردف (ماك) متسائلا كيف لصبى صغير فى مثل سنه أن يفعل ما فعله.

ابتسم وهو يلف قدم (ماك) بإحدى الضمادات مطمأننا له أنه مازال صغير فى السن لكنه يعلم كيف يضمت الجروح فهناك طبيب صيدلى قام يتعلمه ..فأحيانا يقوم الصيدلى بمأمورية تنظيف الجروح وتضميدها إذا عذر علينا نحن الثوار أحضار طبيب خاص أو الذهاب للمستشفيات لمداوات جرحانا فأجبرتنا حياتنا على التعلم من الأطباء المنضمين للجماعات والحركات الجهادية فما يتعلمه الأطباء فى سنين نتعلمه نحن من الخبرة والتجربة ، فأدرك (ماك) أنه بين يد أمينة حينما استطاع الصبى إيقاف النزيف ،لكنه سأله : أنت مازلت صبى صغير .

شرد الصبى قليلا وهو يحمل كوبا الى أخيه قائلا: لقد نسينا تلك الطفولة كيف كانت أيامها ،هذا خالد أخى الصغير..فقدت أخى الكبير وأبى على يد عصابات اليهود وأمى وأخوتى فى عداد المفقودين بعدما هربت أمى وأخى لحمايته لا أعلم أين هم ربما مشردين هنا وهناك ثم أعاد النظرلأخيه قائلا وربما هم هناك تحت الأنقاض يحاولون الهرب أو مدفونون تحت أطلال القذائف يبحثون عن من ينقذهم.. وأنت هل لديك عائلة؟

لدى أخت انقطع اتصالى بها منذ فترة لكن اشتاق إليها كثيرا... ولدى زوجة رائعة الجمال لكننا لم نحظى بالأطفال لزواج دام لأكثر من عشر سنوات ،تعجب الصبى قائلا : عجبا.. ربما هى مشيئه الله فنساء فلسطين معروفين بكثرة الإنجاب ..لم يشاء الله بعد .. فالأطفال بركة من الله لا تقلق فقريبا سيرزقك بصبى قوى ،هز (ماك) رأسه هامسا : لنفسه ربما تلك الآثام هى من حرمتنا من تلك البركة

أشار (ماك) الى رأس الصبى .. وضع الصبى يده الى موضع ما أشار إليه فوجد الدماء قد أسيلت فابتسم قائلا : لا تقلق فجرحى ليس بخطير.. اطمئن كانت ملامح الصغير تشبه الى حد كبير ملامح الشاب كثير الابتسامه التى تصطحب نظراته ووجهه فى كلامه وصوته الملىء بالأمل رغم الأمة ما إن انتهى من وضع الضمادات حتى جلس بجوار النار أمام (ماك) ضم قدمه الى صدره وأحاطها بذراعيه وأسند رأسه على أقدامه ينظر الى النار وسط تأمل (ماك) لهذا الصغير ما الذى قد اقترفه حتى يعانى تلك الحياة القاسية غلب التعب عيون الصبى فيغمض عينه تارة ثم يفتحها تارة أخرى يبدو أن النزيف فى رأسه يؤثر على وعيه قليلا، فيغمض عيناه تارة ويفتحمهما تارة أخرى فجأة.. أفزع الجميع من صوت الصواريخ التى أطلقت مرة أخرى والزعر يقبض على قلوبهم بكل ما أوتى من قوة ،أسرع الصبى الخطى يتلصص من فتحة الكهف عما يحدث فأخبرهم بفزع أن النيران تأتى من أسفل الجبل ربما عثرت القوات البريطانيا على بعض من الهاربين ،ثم أخبرهم أن عليهم التوغل الى داخل الكهف أكثر وأطفاء تلك النيران ..سيتمكنون من إشعال نيران صغيرة تدفئهم بالداخل ،توغل الجميع الى داخل الكهف وجلس الصبى القرفصاء قائلا فى قلق : هؤلاء الجنود سيقومون بتمشيط الجبل أو قذفه عما قريب لحسن الحظ أننا بأعلى مكان بالجبل لن يستطيعون الوصول إلينا الآن ..لكن مهلا

لا نستطيع المكوث هنا علينا التحرك الآن ،علينا إخماد النار كاد (ماك) أن يلقى بعض الماء على النار فلحقت يد الصبى يده متنفس الصعداء أنه لحق به قبل أن يلقى الماء قائلا: لا إن وضعت الماء على النيران فسيتصاعد الدخان وسيجذب ذلك الجنود الى موقعنا علينا دفنها بالتراب كى لا تتصاعد الأدخنة ،جمع الصبى التراب وأطفأ النار.. كان (ماك) يراقب الصبى الذى أخبرهم أن حان وقت التحرك الآن ،فالجنود مشغولون بما يحدث بالأسفل سيحاول التسلل بهم من خلف الجبل داعيا الله ألا يكون أحد من الجنود هناك قبض عمه على ذراعيه فى قلق عبر عن خوفه أن يقبض عليهم فهم مصابين وخطواتهم ستكون أبطىء أضعاف من حرية أقل جندى بريطانى ،ربت الصبى على عمه ونزع يده وجلس على ركبتيه وحمل أخيه الذى أصبح يعانى من الحمى على ظهره ثم أشار الى عمه قائلا : تستطيع حمل هذا الرجل سيتكأ على تلك العصا واتبعنى أنا أعلم الطريق من الجبل الى القرية التى بالجوار.

أتكأ (ماك) بالزراعة على كتف هارون بينما وضع هارون يده حول خصره ومضى فى حين تقدمهم الصبى وهو يحمل خالد كانت خطواتهم كسلحفاء تنجرف من فوق الجبل المتحجر صخراته وحصواته فتنزلق بأقدامهم فى ظلمت الليل كان النزول أصعب إليهم من الصعود لولا تحكمهم فى خطواتهم المتثاقلة لسقطوا كمياه شلال من أعلى الجبل أمواتا ، كان الصبى يحسب بعده عن العدو بمدى بعد صوت الرصاص عنه كلما ابتعد صوت الرصاص أدرك أنه فى أمان كان الجو بارد للغايه تكاد الدماء تتجمد فى عروقهم وتتخشب عظامهم حتى أدرك الصبى بعض النور فى أسفل الجبل.. أتكأ على صخرة هامسا هناك ضوء إن حالفنا الحظ سيكون منزل بالتأكيد فالمنازل تغلق أنوارها خشيت الاستهداف لكن هذا المنزل مضاءا ،تغلله الشك أن تكون أضواء إحدى الدوريات التى تمشط الجبل أو مكيدة لاصطياد المصابين الفارين فى الجبل بسهام الليل لكنه أمعن التفكير فالدورية لن تستطيع الالتفاف بتلك السرعة حول الجبل كما أنها مركزة جهودها على الفارين الى

الجبل الآن، أخبرهم أن ينتظروه هنا ليستطلع الأمر وإن لم يعود فى حدود الخمس دقائق فعليهم الهرب من اتجاه آخر.

وضع الفتى أخاه فاقد الوعى برفق على الصخور فوضع هارون كفه تحت رأس خالد وذهب الصبى يتلصص فى خفيه وخفة الى ذلك المنزل كلما اقترب من المنزل كلما نظر حوله كصقر.. يدقق النظر حوله يخفض رأسه لكى لا يراه أحد اقترب من المنزل فوجد به إمرأة مسنة تجهز أقدار من الحليب وتهم بحملها على ظهرها يكاد يكود المنزل خاليا إلا منها ..أسرع عائدا إليهم مره أخرى ثم حمل أخاه على ظهره وأخبرهم أن يسرعوا فالمنزل سيكون خالى بعد بضع دقائق فليس به سوى إمرأة عجوز وستهم بالرحيل ربما تحمل متاعها هربا فى الليل من الضرب وسيكون هذا المنزل ملاذنا تلك الليلة وفى الفجر نغادر القرية الى قرية المجاورة نستطيع التخفى وسط الأهالى هناك .

حمل أخاه ونزل الى المنزل كانت قدماه بالكاد تحملانه ..فقد أصابتهم الرعشة والضعف اقترب من المنزل كانت المرأة العجوز قد رحلت لا يوجد لها أثر ذهب الصبى الى الباب الخلفى للمنزل وكسر بابه ..كان هارون يراقب له المكان خشية أن يسمع أحد اقتحام باب المنزل ولكن كان صوت النيران من الجهة الأخرى من الجبل تطغى على الأصوات كلها ..دخل الصبى فوجد أريكة فوضع أخاه عليها ووضع تحت رأسه وسادة صغيرة ثم اتجه الى هارون يخبره أن يدخل فالمنزل آمن، دخل هارون مسندا (ماك) وما أدار الصبى وجهه حتى وجد المرأة العجوز تصوب مسدسها فى وجهه فضربته ضربة بقبضتها أفقدته الوعى.

****

فتح عيناه وقت نال منه الألم نيل الرجال كانت الأضواء تؤلم عيناه وتزيد الصداع الذى أصابه ..وضع يده على رأسه فتحسس الضمادات والشاش الذى لف به رأسه حاول النهوض لكن رأسه كانت ثقيلة للغايه

فجأة أطل عليه رجل غريب الملامح تحمل ملامحه الجد والحزم قائلا : لقد استفاق تقريبا ...كانت الغشاوة مازالت تسيطر على عينه لكنه يستطيع تميز الأصوات ،كان صوت الرجل حازما به شيء من الأمان فجأة سمع صوت هارون وينابيه

لكن الصبى سرعان ما فقد وعيه مرة أخرى

أحس أن هناك من يقبض على يده ويمسحها بشيء دافيء ثم مسح بالشيء الدافيء على صدره وأقدامه ظن أنه مات ويقوم أحدهم بتغسيله لكن الشهداء لا يغتسلون بل يدفنون بدمائهم ليجيبوا الله حينما يسألهم عن أعماركم فيما أفنيتموه وهو أعلم.

فستكون دمائهم شاهدة على شقاء الدنيا وأعمارهم التى دفعوها ،فقد أمضى عمره فى الدفاع عن حق الله فى أرضه.

فتح عيناه أصبحت الرؤية أوضح من السابق وجد (ماك) ينظف جسده بمنشفة مبتلة بماء دافيء ابتسم (ماك) فور أن رأى الصبى ينظر إليه متعجبا متسائلا: هل متنا ؟!

أجابه صوت حازم يأتى من بعيد ويقترب الصوت رويدا من اقتراب صاحبه قائلا : لا.. أنت بخير دعنى أرى عيناك

تفحص عيناه ثم رفع الرجل أصابعه الأربع وطلب منه أن يخبره كم عدد الأصابع التى يرى وإن كانت هناك تشويش فى الرؤية أو الذاكرة لكن الصبى أخبره أن يستطيع الرؤية جيدا ،هم بالنهوض فساعده (ماك). سأل الرجل من أنت وماذا حدث ؟ وأين المرأة العجوز؟

فطلب منه الرجل أن يخبره عن آخر شيء يتذكره

فأخبره أنه يتذكر المرأة العجوز التى ظن أنها غادرت لكنها ضربته بيدها القوية أردف عمه قائلا مشيرا الى الرجل: المرأة العجوز هى الطبيب (أحمد بشارة) تعجب الصبى ووجه بأصبعه ناحية الطبيب متسائلا : أنت المرأة العجوز كيف ولما هاجمتنى؟ ألم تدرك أننا هاربون من ذلك الجبل قال فى هدوء: أنا اتخفى فى زى إمرأة عجوز تبيع اللبن حتى استطيع مداوات الجرحى من الثورة المختبئين فى القرية إن علم أى شخص أننى طبيب فسأعاقب وأمنع من ممارسة الطب للأبد، أشار برأسه اتجاه الجبل وأردف يقول : هناك مصابين بانتظار الطبيب فى أعلى الجبل لكن لا يسمح لنا بمغادرة القرية أو المستشفى نخاف أن يقبض علينا.. فتلك هى الطريقة الوحيدة لمداوات المصابين من أى شخص أصيب فى تلك الثورة حتى لو كان طفلا لا يتعدى العاشرة من عمره ،أما لما هاجمتك فقد كان على التأكد أولا من أنتم ؟! فقد كان الشك يداعب وجدانى بنسبة ١% ..لم تكن ضربتى قوية الى هذا الحد الى جانب أنها ساعدتنى فى تقطيب حراجك دون الحاجه الى مخدر لقد نزفت كثير لذلك فقدت الوعى سريعا..لكن سيكون عليكم مغادرة هذ المنزل فى الحال قبل شروق الشمس والانخراط وسط أهالى القرية المجاورة.

أعطاه الطبيب طبقا طعام وأردف بطرح سؤال آخر : لكن كيف تعلمت تضميد الجروح؟! أنت بالكاد عالجت الجميع باستثناء جرحك

تناول الصبى ما بالطبق وابتلع فى صعوبة قائلا : أنها الحرب لا مجال للألم ..إن تألمت ستموت يجب علينا أن نموت مرة واحد فالألم موت، ففى الأمل وطن يتأخر حريته ويعانى وفى موتى وطن يحرر ويرتوى بدمائى ..فى الحرب لا مجال للألم ..الموت أو النصر .

أقشعر جسد الطبيب حينما سمع تلك الكلمات كادت تدمع عيناه، شعر (ماك) بخيبته وصغر مشاكله فى الحفاظ على اسمه والصعوبة البالغه فى توليد أفكار لأعماله ومواكبة الحياة فى حين أن على الجانب الآخر من العالم يتألم ما يتألمه الرجال ولا يبالى لذلك ..ألقى الطبيب بعبوة من الدواء التقطها الصبى فى خفة متبعها الطبيب قائلا : ستساعدك تلك الأدوية على تخفيف الألم.. تناول حبة منها بعد الغداء، ألقى الصبى بواحدة فى فمه مسرعا تسمر الطبيب مكانه قائلا : أخبرتك بعد الغداء، نظر الصبى إليه قائلا : لا أتذكر أننى تناولت طعاما فاخر؛ طعاما تناولته منذ يومين أن التزمت أوامرك فمن الأفضل لك أخذ تلك الأقراص معك (مد يده إليه بعبوة الدواء)، وقف الطبيب حائرا فأعاد يد الصبى بالأقراض .

وقف يتفحص خالد الذى مازال الخوف مما أراه بادرا فى عينيه مسك برأسه ليتأكد أنه سيستمع الى كلامه بتركيز ..أخبره أن يذهب بعيدا الى أبناء عمومتهم وإن يترك السلاح ويهتم فقط بتعلميه ..فعليه أن يكون فى أمان بعيدا عن النيران وإن لزم الأمر يهرب الى الأردن ولا يحاولوا البحث عنه أبدا فعندما يحين الوقت سيأتى ويعثر عليهم بنفسه

أجاب خالد بخوف بدموع تحفر مجراها فى وجهه قائلا: لا أريد أن أعيش جبان ...لا أريد الهرب أريد أن أكون بجوارك ، أحكم الصبى يديه على رأس أخيه صارخا فيه ..عليك سماعى ليس هناك أحد يصون أسرتنا غيرك أنت وعمى سنحمل السلاح وأنت ستحمى أسرتنا ..إن كنت تحبنى كأخ ..أرجوك أفعل ذلك لا تتركهم يضيعون عليك التشبث بالنجاة والحياة , أحرص على تعليمهم لا تترك فرصة لهم لترك العلم وإن كان فى العمر بقية سأصل إليك أعدك أخوتى وأمى أمانة فى رقبتك أنت رجل لست طفلا بعد الآن .

حمل سلاحه واتجه الى الطبيب فى حزم ورجولة.. تفوق سنة راجية أن يأخذ خالد معه بعيدا عن النيران حتى يصل الى بر الأمان لأهلهم فى

غزة فذلك سيكون معروف لن ينساه له أبدا ، ثم أشار الى (ماك) قائلا: أن بإمكانه أن يذهب مع خالد والطبيب أحمد بشاره الى أن يجد أهلك فلا داعى أن يصاحبهم.

كاد (ماك) أن ينطق لكنه قاطعه الطبيب أحمد بشاره قائلا : إن فى القرية المجاورة هناك ملجأ للثوار عليه أن يذهب الى هناك فإن وجدت أى رجل فى القرية يخبره كلمه السر فقط وسيقومون بأيوائهم .ثم أخبر الصبر بكلمه السر , فجأة سمعوا وقع أقدام تقترب وأصوات بلكنة أجنبية تصيح بالساريه أن تقترب.. فزع الجميع فأسرع خالد الى الطبيب أحمد أخبره أنه لن ينساه ..عليه الذهاب الآن بأخيه الى بر الأمان .. اتفق أن يفترقان فى طريقين مختلفين حتى لا يتم الإمساك بهم، هز الطبيب رأسه موافقا فودع الصبى أخاه بالاحضان والدموع الراجية ألا يترك أحدهم الآخر وعيونهم تشبع إشتياق كل منهما الى الآخر فربما لا تلتقى الوجوه مجددا ، ارتدى الطبيب مسرعا زى المرأة العجوز وخبأ معداته فى أوانى اللبن ثم أعطى لخالد جلباب فتاة يرتديه ثم هرب مسرعا.. وقف الصبى وهارون يؤمنان لهما الطريق حتى اختفيا بعيدا عن نظريهما، ثم جهزوا أنفسهم للهروب أيضا فأصوات الجنود تقترب منهم وفجأة انطلقت النيران كتحذير إن كان هناك أحد مختبأ فعليه الاستسلام.. صرخ الصبى فى عمه أن يسرع خلفه الى القرية قبل كشف أمرهما والإمساك بهما ..أسرعوا الخطى فى جنح الليل والظلام الدامس التى تكاد لا ترى فيه من بجوارك اتبعهم (ماك) مسرعا فقد وقع اختياره أن يمضى مع الصبى فى طريقه الذى ظن أنه قد رحل مع الطبيب وخالد ، تسلل الى القرية المجاورة فى حذر دخلوا القريه.. كان كل منزل فى القرية يحكم إغلاق أبوابه ونوافذه خوفا من تطلع أحد الجنود البريطانيين إليهم لأذيتهم باتهامهم زورا أنهم يتبنون أحد من الثوار كان الثلاثة يتسللون خفية بين حارات القرية يبحثون عن ملجأ ما فى منزل مهجور أو شخص ما يأويهم، فجأة وبدون سابق انذار أثناء تسللهم فى الحارات اصطدم الصبى برجل فسقطا أرضا.. صوب الصبى مسدسه

ناحية الرجل لكنه لا يستطيع تحديد مكانه فى ذلك الظلام الدامس فجأة صرخ الرجل : لا اله الا الله محمد رسول الله , أنزل الصبى سلاحه وقد شقت الأنفاس طريقها لصدره بعد انحباسها من الخوف متسائلا : كيف حال التمير؟

اندهش الرجل ولملم شتاته ونهض من الأرض ..أشعل عود ثقاب واقترب من وجه الصبى يراه فرأى الضمادات التى تلف رأسه وحاله الانهاك والتعب التى أصيب.. نظر خلفه فوجد معه رجلان مصابان أيضا.

اقترب منهم هامسا : على جبل عكا ينتظر القادمين، تنهد الجميع بعمق فى راحة شديدة فأردف الصبى يخبره أنه مرسل من الطبيب أحمد بشاره كشفت أنياب الرجل عن سعادة بالغه واحتضن الصبى وهو يخبره أنتم مرحب بكم يارجال فجأة انساب جسده الصبى بين زراعيه فاقد الوعى احتضنه الرجل وسط خوفه وهلعه وحمله على ظهره وركض مسرعا الى أحد المنازل.. صاح بصوته العصفور جريح فخرج له خمس رجال أقوياء قام منهم بحمل الصبى من الشيخ والأخرين اصطحبوا (ماك) وهارون الى الداخل ،قام الرجال باستضافتهم وإطعامهم وأعطائهم ثياب، بينما أخذت زوجة الشيخ الصبى الى غرفتها الخاصه ثم قامت بتبديل ثيابه وإشعال الحطب بجواره لتدفء الغرفة وجسده المثلج،ظلت الزوجة تعتنى بالصبى ترى فيه صغيرها الذى هاجر مع أعمامه وأولادهم الى سوريا ،تولت السهر بجواره بينما كان هارون يقص على الرجال ماحدث معهم إلا أن قابلوا الطبيب أحمد بشاره،كان الشيخ عارف هو شيخ القرية وأمام مسجدها يتحد من رجال القرية فى إخفاء الثوار من دوريات التفتيش فى إنفاق سرية داخل كل منزل لا يخرجون إلا فارين أو مشاركين فى حركات الجهاد لكن رغم ذلك فقد ينجوا القليل منهم من أيدى عصابة إيتزل الذى يقتنصوهم كالمتهورين المجانين من حين لآخر الى الحد الذى هدوا فيه المنازل

على رؤوس أصحابها وهم نيام، كان قلق الشيخ عارف أن تأتى دورية فى سواد الليل وتقصف المنازل على رؤوسهم فأصبح كل ليلة يمضى فى أرجاء القرية بصحبة رجل أو اثنين لتنبيهم فى حاله اقتراب إحدى الدوريات ،يتسلل خفية فى المنازل التى هجر منها أهلها ..أصبحت الأرض الآن تعج باليهود كالديدان بينما رحلت الراحة مع أهلها من أبناء الأرض تاركينها ،كان الفتى يهزى بما ناله فى صغره شوقا لأخوته وأمه التى مر طويل لم يراها أخوته الذى لا يعرف لهم طريق أو دليل يبكى تارة فى اشتياق لهم وتارة يصرخ على الرجال بالاختباء من السارية القادمة كان جسده تحت الغطاء بينما عقله مازال تحت القذف فى ساحات القتال ينتفض جسده تارة مع صراحة ويسكن تارة أخرى حين يبكيه الشوق للسلام.

****

فتح عينيه بأنفاس متضاربة فى صدره نظر حوله فوجد نفسه بغرفة المكتب تنفس الصعداء هم لينهض وجد الشاب يمد له كوب ماء , أخذه لكن يده المرتعشة حجبت عن شربه الماء فسقط الكوب على الأرض أسرع الشاب والتقطه ثم أسرع بكوب ماء آخر ورفعه على فمه أسند (ماك) نهاية الكوب بيده.. تناوله لأخر قطرة به ..ثم أخبر الشاب أن تلك التجربة شاقه لكن لماذا استفاق الآن؟ فأردف الشاب يخبره أن هناك مدى محدد تتخطاه الروح فى البعد أن الجسد إن امتد هذا المدى الزمنى الى أطول من هذا فسيرقد ميتا أو يدخل فى غيبوبة ولا يدرى متى يستيقظ منها ، هز (ماك) رأسه قائلا : لهذا استيقظ فى الوقت الذى لا أريده.. لكن لماذا لا أعود الى الحاضر فى الوقت الذى أريده ..لقد أردت العودة حينما ظننت أنها النهايه هناك قضب الشاب حاجبيه مفكرا ثم سأله : أردت العودة ولم تستطيع؟! ،هز (ماك) رأسه قائلا : واجهت

الموت ووابل الرصاص أغمضت عينى مرارا لاستيقظ لكننى لم أستطيع العودة.. هل لديك تفسير.

أردف الشاب فى شىء من الحزن : روحك تعشق شيئا هناك ،ما الذى رأيته جعلك تعشق ذلك العالم عن العودة لحاضرك.

أمعن (ماك) التفكير لكن لم يجد جوابا فهز رأسه نافيا لا شىء ، مد يده الى الأوراق أمامه يدون ما رأى لكنه أحس بالارهاق،فنهض للصعود لغرفته لكنه سقط فجأة على الأرض متألم ممسكا بقدمه أسرع إليه الشاب وبدون كلمة كشف عن ساقه ،ارتسمت علامات الدهشة والصدمة على كليهما نظر إلى بعضيهما ثم عادا للنظر الى الجرح الذى شق ندوبه بالاحمرار فى ساقه،حاول النهوض لكنه لم يستطيع أخذ الشاب زراعه حول رقبته ويده الأخرى حول خصره فترأي له ما فعله الصبى الصغير له فى المعركة فى كل خطوة يخطوها الى غرفته يترأى فى ذهنه أنه مازال يحاول الهرب الى الجبل فى صعوده للسلم وغرفته ذلك الكهف المظلم البارد ورأى الشاب قد تحول الى الصبى الذى لا يعبأ إلا لخطواتهما حتى وصلا الى الغرفة حين دخل غرفته أجلسه الشاب ووضع له وسادة خلف ظهره فرأى أنه يسند ظهره على جدران ذلك الكهف ،وذلك الرعد الذى بدا لتوه يشبه القاذفات التى دوت مصاحبة بصراخ المجاهدين أسفل الجبل ، ربما مامضى مازال قابعا فى عقله تداعب عيناه لكن سرعان ما عادت رؤية الأوضاع على حقيقتها وتغيرت ملامح الصبى لذلك الشاب العربى ، نزل الشاب الى أسفل فرأى أنه من هالته من الخلف كالصبى الذى حمل نفسه بسلاحه دون خوف ،كلما تذكر مامضى ذاقه أنفاسه الاضطراب والخوف كأنه لا يزال فى قلب المعركة، عاد الشاب مع علبه الاسعافات وكشف عن

الندوب وقام بتطهيرها ثم وضع بعض مراهم المضاد الحيوى بدأ يدلك حول الندوب بيدين حانيتين ماهرتين كطبيب بارع فسأل (ماك) : أن يده حانيتين مثل الأطباء لكنها خشنتين بعض الشىء ، ابتسم الشاب قائلا : أنا طبيب

انتفض جاذبا قدمه غير مصدق ما سمعه أذنه فألمته قدمه ،مد الشاب يده وأعاد قدمه الى وضعها الأول مبتسما قائلا : لقد كنت طبيبا فى وقت مضى لكننى لم أستطيع المداومة فى دراسة الطب فتركت الجامعة لم تسمح لى الظروف أن استمر لهذا عملت نادل فى ذلك المقهى ..ألا يسخر منا القدر بطريقته الخاصه ؟عاد الى الالهتمام بالندوب مره أخرى فلم يرى تلك الهالة الحزينة التى ارتسمت على وجه (ماك) تأسفا على حال الشاب لكن منعه كبريائه أن يبدى أسفه على ما وصل إليه الشاب فمازالت لهيب كره العرب المسلمين تحجب رقة قلبه بجدار من الكبرياء، رفع الشاب يده قائلا : عليك تدفئة جسدك فالليلة شديدة البرودة, ابتلع هذا القرص سيساعدك.. عمت مساءا ،ثم حمل الحقيبة وأغلق الباب كاد أن يشكره لكن كبريائه منعه .

عاد الى غرفة المكتب ..

أخرج الصورة من جيبه مره محدثها قائلا:

انتظرى قليلا ..قليلا فقط ..فقد اقترب الأوان لتتخلصى من ألامك

****

انتهت من تعبأة حقائب السفر.. غلقت الحقيبة الصغرى لكنها وجدت صعوبة فى إغلاق الكبيرة حاولت الاتكاء عليها بقدمها فدخلت (إيميليا)

تساعدها فى غلقها ،ثم التفتت لاحضار بعض الأشياء فوقعت عيناها على الطوق فى رقبتها فاقتربت من المرآة تنظر الى نفسها ثم تتحسس الطوق بأناملها بشفاه مبتسمه وأعين حزينة.. انتبهت الى (أيميليا) تطلب منها إغلاق سحابة فستانها ، رأت (إيميليا) انعكاس وجه (أليكس) حزين فى المرآة ، التفتت إليها متسائلة فى قلق عن الأمر لكن (أليكس) أخبرتها أنه لا شيء مهم ، تيقنت (إميليا) أن (أليكس) تخفى شيئا عنها احتضنت وجه أختها بين يديها ونظرت فى عيونها الحزينة التى تلمع بالدموع المكبوتة متسائله : هل هناك خطب ما مع (ماك)؟!، ألقت (أليكس) بنفسها على كتف أختها غارقة فى بكائها اندهشت (إيميليا) لهذا البكاء المرير التى كبدته (أليكس) فلم تلاحظ (إميليا) شيء طوال فتره الزفاف ربتت عليها لتهدأ لكنها تركتها وأسرعت فى غلق باب الغرفة خشية أن يراهم أحد ما ،عاد الى (أليكس) تمسك يدها وجلستا على السرير طلبت منها أن تخبرها ما الذى يحدث معها؟ بدأت (أليكس) تصف لها مشاعرها المتقلبة فى حياتها المضطربة التى تعانيها وزوجها مؤخرا فحياته تنهار رويدا رويدا لكنها لا تخشى أن يفقد اسمه أو ثروته بقدر خوفها من أن يفقد نفسه ،يحاول جاهدا أن يضع قناع يخفى تلك الحاله التى تسير على وتيرة واحدة الى الحضيض بشراء ذلك العقد الثمين وهو بأمس الحاجة الى الأموال فقريبا ربما يضطر لبيع سيارته أو المنزل لكن ذلك لا يهمها بقدر ما يهمها صوابه الذى يفقده شيء بشيء وارتباطه القوة بالأعلام وإبقاء اسمه على الساحه فقد أفتعل أن أحدهم اقتحم منزلنا لكن جميع التحقيقات أثبتت شيء واحد أنا من صنع يده فقط لكن (ألفريد) أعلن عكس ذلك للصحافه، كادت (أليكس) تخبرها شيء آخر لكن لسانها انعقد فجأة..لاحظت (إيميليا) ذلك فضغط على يدها أن تكمل ما يدور بذهنها لكنها نفت أن لا شيء آخر،تنهدت (إميليا) فى قلة حيله منها فى حل ذلك الأمر غير أنها رتبت على يدها مواسية قائله أن الامور دائما تتغير فلا شيء يستمر على حالته الى الأبد كما أن (ماك) يمتلك تلك الإراده الفولاذيه التى لن تسمح له بالهبوط للقاع ،فجأة

جاء صوت والدتهما من أسفل تخبرهما أن يسرعا بإحضار الحقائب ،احتضت (إميليا) (أليكس) بحرارة وتبدلت دموع الحزن الى فرح زواج أختها ،حملت معها الحقائب الى أسفل ما إن رأهما (بيتر) زوج أختها (إميليا) حتى أسرع إليهما وحمل عنهما الحقائب ..أسرعت (أليكس) تساعده فى وضعها بصندوق السيارة ما إن انتهوا من وضع الحقائب حتى التفت (بيتر) يحتضن (أليكس) طالبا منها أن تتمنى لهم الحظ السعيد ثم ارتمت (إميليا) بأحضانها مربتة على ظهرها ألا تقلق فالأمور ستكون بخير عن قريب عليها الثقة بكلامها وستكون على اتصال بها لحين عودتها من قضاء شهر العسل ، كانت الدموع باختلاف مشاعرها تتلألأ فى عينيهما ،تبادلت (إميليا) قبلات وأحضان الوداع مع (أليكس) ووالدتها ثم ركبت السيارة وبدأت بالتحرك فأخرجت (إميليا) رأسها من نافذة السياره تلوح لهم بيدها مودعه حتى اختفت عن الانظار،ما إن رحلت حتى دخلت أمها الى المنزل ، شعرت أليكس ببرودة الشديدة حين غادرت (إميليا) ذلك القلب الدافىء ذهب ليدفىء قلب آخر بين أحضانه ،تنهدت فى حزن مدركه أن لكل إنسان الحق فى حياته الخاصه يعيشها بعيدا عن الأخرون فلابد للطيور فى النهايه مغادره أعشاشها مثلما غادرت قبلها،خشيت (أليكس) أن تخبر (إميليا) عن هذا الشاب العربى الذى اقتحم حياتها ويشغل اهتمام زوجها فلا ترغب أن تحمل (إميليا) أثقال أكثر مما عانت فما واجهته من محاولة لإقناع عائلتها بذلك الزواج قبل أن يظهر حملها فى عائلة تتبع العادات والتقاليد القديمة فى الزواج والطهارة من ألا تقيم علاقة جنسية قبل زفافها وألا ينظروا الى الطفل أنه نشأ من الزنا الذى لبس قناع الزواج لإخفاءه ،البعض يتهمهم بأصحاب العقول المتخلفه فى عالم الحرية لكن (أليكس) دائما ما تمسكت بتلك التقاليد وأصيبت بالصدمه حين علمت بحمل أختها لكنها ساعدتها فى إخفاء الأمر حتى تهنأ بحياة سعيدة مع طفلها،تذكرت ذلك اليوم الذى تملك الحب منها وقام (ماك) بتقبيلها قبلتها الأولى فى حياتها لكنها ابتعدت خائفه أن تنجرف الى علاقة جنسية قبل الزواج فأخبرته بخوف

أنها من عائلة تقليدية لا تسمح بالعلاقات إلا فى إطار الزواج.. خشيت ألا يحترم (ماك) ذلك ويتهمها بالجنون أو التخلف لكنه فى اليوم الثانى تقدم لخطبتها وتحديد موعد الزفاف لكن الخوف الآخر الذى انتابها حينها هو رفض عائلتها من زواجهما لأنه ملحد يكبرها أكثر من عشرون عاما وهى من عائلة متدينه فى العشرينات من عمرها ،لكنه اضطر وتظاهر بإيمانه للموافقة على الزواج الى جانب إصرارها على الزواج منه والتمسك به، فتزوجا وتوج الزواج بإكليل من صراخ طفل جميل لكن اندثر الإكليل بعد ليالى من ميلاده ،فأصبحا يمران بأقسى أيام حياتهم لكنهما حاولا تخطيا تلك الأزمة كان يواسيها زوجها ظهر كرجل صلب يتخطى أى عقبات فى حياته يمنحها الأمل والصبر ثم يحتضن فى الليل كتبه وقلم وأوراقه تواسيه ويحكى لها حزنه وضعفه فتواسيه وتستمع له وتحكى عنها مثله، إلا أن أتخذت الحياة منحنى الانعزال بين كتبه فى غرفة الكتابة التى تحولت الى جدران من الكتب وحملت الأيام أقلامها تقلب صفحات تمضى من عمريهما لتخط الآن فى آخر صفحات الكتاب , تكتب أول كلمات الفصل الأخير فى حياتهما ،فجأة تساقط المطر ورعدت السماء فركضت الى الداخل ،كانت قررت المكوث مع أمها تلك الليلة لكنها أسرعت وبدلت ثيابها لتذهب الى منزلها غيرت ملابسها وهمت بالذهاب لكن سوء الطقس وترجى أمها لها أن لا تذهب فى ذلك الطقس المخيف منعها من الذهاب لكنها ظلت طوال الليل مستيقظة منتظرة أن تهدأ العاصفة وتشرق الشمس للمغادرة ، وفى جوف الليل رن هاتفها كانت المتحدثة (إميليا) أخبرتها أن رحلتها تم تأجيلها بسبب العاصفة لبضع ساعات ترددت ...(أليكس) قليلا ثم أخبرتها أنها لن تستطيع المكوث مع والدتها لحين عودتها وستذهب فى الصباح الى منزلها ، سعدت (إميليا) من قرارها المفاجىء لكن الأحسن لها ولزوجها (ماك) فى ذلك الحالة قائلة أن هذا هو القرار الصائب ولا تقلق على أمهما فهى تستطيع الاعتناء بنفسها وسيتابعانها من حلال

الهاتف.... كادت أن تغلق لكنها تذكرت أنها لم تقم بشكرها لاحتفاظها بسر حملها عن أسرتها ومساعدتها فى تسريع أمور الزواج .

****

تناول القرص ثم غفت عيناه فى راحة فلم يعد يشعر بذلك الألم فى ساقه، فجأة وجد نفسه فى تلك الصحراء السابقه يحمل بين يديه تلك النبيتة الغريبة يبحث حوله عن العاصفة التى كادت تقلها من جذورها سابقه لكنها اختفت ...ظل يبحث عن أى دليل يقوده الى بر الأمان، الشمس حارقة وحلقه مازال جافا فتمنى كوب الماء البارد التى روته به (أليكس) ، ظل يبحث عن مأوى له وتلك النبيتة عن تلك الشمس المحرقة .. فجأة وجد أمامه شابة تسبقه فى خطواتها تبدو مألوفة لديه ركض نحوها يناديها أن تساعده لكنها مازالت مستمرة فى السير لا تسمعه ولا تراه ..تعثر فى خطواته فسقط على وجهه بين يديه النبيتة فأسرع يتفحصها فقد خاف أن يقطع منها شىء لكنها فجأة اختفت.. نهض مفزوعا يبحث عن تلك النبيتة التى بين يديه ،أعاد نظره الى تلك السيدة فوجدها تنظر إليه حاملة النبتة بين يديها وهى تقترب منه وكلما تقدمت كلما زادت ملامحها وضوحها حتى أصبحت أقرب إليه من قاب القوس .. نظرت إليه فى ابتسامه ثم عادت تنظر الى النبتة ، تلك المرأة يعرفها أنها (ميلين) ..مد يده لها فوضعت النبتة بين يديه قائلة بصوت غير مسموع لكنها استطاع معرفة ما تقول: لا تتأخر أكثر من ذلك عليها العودة سريعا الى جذورها ..إن تأخرت ستهلك وستظل وحيدا هنا دون دليل ، أدرك أنها تتحدث عن النبتة ..أخذ النبتة منها وقد بدا عليها الذوبان فرفع رأسه يسألها عن معنى كلامها لكنها فجأة اختفت ..عاد النظر للنبتة فشعر كأنها تتنفس ملمسها حريرى لكن أنفاسها تتباطىء

وتذبل رويدا رويدا ..فتح عينيه فمازال نائما ومازالت الأمطار تهطل لقد حلم بذلك فى سنة من النوم.. تنفس الصعداء ثم عاد وأغمض عينيه ليغوص فى نوم عميق .

قام بتدوين حلقته على الصفحة الرسمية كانت كل كلمة يكتبها تعيد الى ذاكرته تلك الأحداث التى عاشها وأثرت لأول مرة فى جسده ،قام بتفقد الرسائل آملا أن يجد رسالة واحده منها تخبره عن أحوالها فهو يشتاق إليها الى حد الموت الى الحد الذى يشعر بوحدته بعيدا عنها حتى وإن وضعت الدنيا تحت آمرته، أكمل كتابته وما إن انتهى حتى أرخى ضهره على الكرسى فى استرخاء تتابعت التعليقات من القراء ..سأل نفسه إن كانت تتابع ما يكتبه أيضا وتبدى إعجابها به فى نفسه ربما الآن تضع أناملها على ذر إرسال الرسائل مترددة أو قد يكون قلبها تحول الى صخرة صماء جف نبع الحب منه وأصبح جفاء ،مد يده وفتح درج المكتب , أخرج بين ثنايا أوراق دفتر صغير قديم صوره لها تأملها معاتبا لما الغياب والجفاء عن الحب النابض لها فى قلبه تحسس وجهها فى الصوره وأناملها وهى تشاور مودعة وجهها وشفتاها ووجنتاها ولسان حاله يردد ياليتنى أستطيع التماس ذلك الوجه مرة أخرى من جديد يداعب أناملها كما اعتاد أن يفعل.. يمشط شعرها ويعقد لها تسريحات رائعة ينتقى ملابسها وترتدى كل ما يراه ملائم لها ولجسدها الدقيق ، ابتسامتها ونظرات عيونها المتقدة التى تعكس ذكائها وفصاحتها كان بينهما نوع فريد من الألفة والتحاور فكان كل منهما يعلم ما يجول فى خاطر الآخر دون كلمة ، لكنها أصبحت صعبة الميراس.. حدث صورتها متسائلا : الى متى ستظلين مدفونة بين وريقاتى ولا ترين الضوء ياعزيزتى!!؟، أعاد الصورة الى موضعها بين ثنايا الدفتر بينما كانت أنفاسه متثاقلة من الحزن الذى توغل صدره صعد الى غرفته ..وجد باب غرفة الشاب العربى مفتوحة فاقترب منها يتفقد أمره ، كان نائما يغط فى نوم عميق لكن جسده كان يتصبب عرقا!،اندهش (ماك)

الى حالته فالطقس شديد البرودة ، فإن له بذلك الجسد المتعرق فى ذلك الجو البارد! ظن أنه مريضا أو يعانى أمر ما ...وضع يه على جبينه يتفقد حرارته لكنها كانت عادية لكن كل ما فى الأمر أنه يتصبب عرقا، أطفا نور الغرفة وأغلق الباب خلفه وهو ينسحب بهدوء ،عاد الى غرفته وجد على أنامله ابتلال من عرق الشاب تذكر حينها كيف تخلل جسده.. العرق فى بعض أحلامه فى الطقس البارد وكيف كان يتجمد فى منامه وهو فى طقس حار فربما الشاب يحلم أيضا كمثل أحلامه التى تجعله يتصبب عرقا فى الشتاء ويرتعش بردا فى الصيف!، تذكر (ميلين) وتلك الصغيرة التى يراهما فى أحلامه قد توقنا عن زيارته منذ أن دخل الشاب حياته لكن ذلك الحلم فى الصحراء الكبيرة هو ما يزوره دائما تلك الأيام وتلك النبتة التى تحملها (ميلين) بانتظارها فآخر ما رآه ؛ (ميلين) فى بريطانيا تتناول حلوتها خارج المقهى فكيف وصلت الى قلب الصحراء معه.. يالله من لغز!! ، ما العلاقة بين الاثنين وما تلك النبتة ؟ أيمكن أن تكون حياتى ؟ لكنها أخبرتنى أن أسرع وإلا ستموت ..أتعنى إن انتهى من روايتى فتلك ربما تلك ستكون آخر أعمالى التى أقوم بها ولم يتبقى من حياتى الجرداء التى لم تثمر أطفال إلا القليل بمقدار حجم تلك النبته؟!،تعجب من أمر تلك الندوب التى تسللت الى قدمه كيف وصلت اليه وهو لا ينتقل إلا بالروح فقط فالأمر بعيدا إذا ما قورن بما شعر به مع (ميلين) حين أحس بكل شىء معه.. مازال أثره الى الآن لكن لم يصل الحد الى الندوب، انتقال الروح لا يؤثر فى الجسد إلا إذا استمر مدة طويلة وسيكون التأثير عقلى ليس فقط جزء من الجسد ، أثارت تلك الندوب تفكيره أدرك أن تفسير ماحدث يكمن مع الشاب العربى ،ألقى بنفسه على فراشه وتخلل صدره.. رغب فى الكتابة ففتح الدرج بجواره وأخرج منه بضع أوراق وقلم ثم أخرج الصورة من جيبه ووضعها على صدره وهو يكتب ...

****

دخلت المنزل كانت الأجواء الهادئة توحى للرأى أنه لم يرى المنزل موضع قدم لإنسان منذ مدة طويلة ،دخلت (أليكس) وضعت حقائبها بجوار الباب ثم نادت على زوجها لم تجد إجابة فذهبت الى غرفة المكتب , طرقت الباب وأنصتت تسمع جوابا فتحت الغرفة فوجدتها خالية.. صعدت الى غرفتها وفتحت الباب فى حذر فوجدته يغط فى نوم عميق ..اقتربت منه بهدوء تسحب الأوراق من بين يديه فجأة سقط القلم فأصدر صوتا تسمرت مكانها خشيت من إيقاظه لكن التعب نال منه ما جعله لا يشعر بها أو يستمع لذلك الصوت ،نلت تلتقط القلم وهى تضغط على شفتاها ثم أحضرت غطاء وقامت بتغطيته ، ثم تسللت بهدوء الى الخارج تغلق الباب بحذر ، وجدت إحدى أبواب الغرف مفتوحة فذهبت تلقى النظر فيها لكنها وجدتها فارغة فأغلقتها ثم اتجهت الى غرفة المكتب، ما إن دخلت الغرفة حتى شعرت بشىء ما يتحرك وقد اختفى فورا عن الأنظار.. تسمرت مكانها للحظة ثم بحثت في أرجاء الغرفة لكنها توقفت , ظنت أن ما رأته درب من خيالها ، أخذت الأوراق ترتبها على المكتب لكنها وجدت الأتربة قد غطت كل ركن فى الغرفة لاحظت أن جهازه المحمول مفتوح قامت بحركة خفيفة على أحد الأزار ففتح الجهاز على الصفحة الرسمية ،اعتلتها السعادة حين رأت الحلقة الجديدة مكتوبة فجلست تقرأها على وجهها ..اندماجها مع الأحداث وما إن انتهت فردد لسانها قائلة : لقد وجدت سبيل العودة ياعزيزى.

قفزت من مكانها فى سعادة غامرة ، ثم أغلقت الجهاز وبدأت فى تنظيف الغرفة بحماس ..فتحت الدرج فوجدت جزء من صورة يتلصص من بين ثنايا أوراق الدفتر التقطتها.. بدا عليها التعجب فلم ترى تلك الصورة من قبل ،رفعت رأسها الى الأعلى متنهدة فى يأس قائلة: أمازلت تنتظر رسائل منها ،هزت رأسها فى يأس ثم أعادت الصورة لموضعها وأغلقت الدرج وعادت للتنظيف،كان مختبأ خلف ستائر النافذة يراقب

انفعالتها وتقلب مشاعرها أثناء القراءة كان خليط من المشاعر يتلألأ بها أثناء القراءة،غادرت (أليكس) فاتجه الشاب الى الدرج باحثا عن تلك الصورة التى لم تثير غضب (أليكس).. أمعن التفكير ربما هناك شىء مشترك يجمع بينهما وبين تلك المرأة فما رآه من (أليكس) ليس انعكاس لمشاعر امرأة ترى صورة نقيدتها فى قلب زوجها فتلك ليست صورة حبيبة سابقه للسيد (أرثوفيتش)، التقط الأوراق التى احتفظت بها فى الدرج وبدأ يقرأ... بدا كأنه مستمتعا بالقراءة لكنه تسمر مكانه وتبدلت ملامحه.. اعتالت الرعشة والصدمة أوصاله فسقطت منه الأوراق مندثرة على الأرض , نهض متراجع بأقدامه تكاد تحمله حتى كاد أن يسقط فاستند على الجدار , تصاعدت الأنفاس فى صدره كعداء ماراثون بوجه شاحب صرخ عقله غير مصدق كيف تخلل عقل (أرثوفيتش) الى ذلك دون السفر ربما هذا السبب فى وجودى هنا.. ربما.. ربما ، انتفض الى الخارج ...فتح باب الغرفة فى عنوه وقف فى وسط المنزل ينظر بأرجائه , تحول كل شىء فى عينه وانتقل بنفسه وروحه الى حيث المكان الذى يبحث عنه لا يكاد يصدق استدار حوله واستدار المنزل بجدرانه أمام عينيه ..تتضاربت الأنفاس فى صدره لم يستطيع تمالك نفسه واشتعلت النيران فى أحد أركان جدران المنزل ترددت على مسمعه ضحكاتها ..وتسرب من ذلك الزمن برودته الى أوردته فجأة سقط على ركبتيه صارخا.. أحاط رأسه بكفيه , أغمض عينيه مرارا على أن يفتحها فيعود الى الواقع لكن مازال هناك الأصوات الصاخبة والضحكات الساخرة, تفجر على موضع فى رأسه فصرخ بما أتته أنفاسه من قوة انتفض (ماك) من النوم يبحث حوله عن الأمر لكنه ظن أن كابوس أفزعه.. تردد الصراخ مرة أخرى فانتفض الى مصدر الصراخ بالأسفل ..نظر من شرفة السلم فوجد الشاب يتوسط المنزل راكعا على ركبتين ورأسه على الأرض بين كفيه والصراخ ينطلق منه دون انقطاع , كان يتكأ على طرابزين السلم صارخا ما الأمر !، أسرعت (أليكس) بالخروج من المطبخ متسائلة عن الأمر هى الأخرى

وجدت (ماك) يتعرج فى نزوله حتى كاد أن يسقط ،أسرعت إليه لمساندته فما إن ظهرت أمام عينه حتى تفاجأ بوجودها قائلا (أليكس)!!..أنت هنا؟!، كادت أن تجيبه لكن صراخ الشاب قاطعهما فتركها وأسرع الى الشاب , مسك رأسه ونظر فى عينيه متسائلا عن الأمر.. رأى عينيه حمراوتين دامعتين تكاد تخرج الدماء من وجهه ينتفض جسده مرتعشة متخشبا بدى الزعر عليه , أحاطه (ماك) بذراعيه وربت على ظهره طالبا أن يهدأ قليلا لكن جسد الشاب يرتعش بقوة كأنه يعانى من نوبة أو صدمة شديدة ،حاول تأبطه لكنه متماسكا برأسه لا يتركها فأحاط يده بظهره وساعده على النهوض , كانت أقدام الشاب بالكاد لا تحمله حتى سقط عدة مرات أثناء صعود الدرج لغرفته ، اتبعتهم (أليكس) والتساؤلات تتأجج فى رأسها عن ما يحدث ..لم يستطيع (ماك) الالتفات إليها فقط أخبرها أن يحضر له مسكناته من خزانة الأدوية ،أسرعت (أليكس) الى خزانة الأدوية التى اندثرت من بين يديها مفترشة الأرض فنزلت تلتقطها بيديها المرتعشتين ، أخرجت هاتفها المحمول للإتصال بأحد ما لكن الهاتف سقط منها أيضا, جلست محاولة التماسك ثم أسرعت الى أعلى ،ألقى (ماك) الشاب على السرير جلس ومازال يحتضن رأسه بزراعيه فساعده (ماك) على إرخاء جسده، كان وجهه يبدء رويدا في الشحوب وعينه متسمرة على سقف الغرفة وكأن الأشباح تحدثه فى أذنه وتترأى أمام عينيه ،حاول إفلات يده من رأسه لكن مزال متمسك بها , أسرع الى الخارج فقابلته (أليكس) على السلم وبيدها الأدوية ..انتشلها منها وطلب أن تحضر له أدوية أخرى للصداع ،أحضرت (أليكس) بعض الأقراص وكادت أن تصعد فنسيت أمر الماء فذهبت الى المطبخ وأحضرت كوب من الماء وحين صعدت نادت على (ماك) فوجدته ساهما متسمر والخوف يتملكه , اقتربت منه ونادت هامسة مرة أخرى فالتفت إليها ..رأت يده ترتعش وهو يتناول منها ما أحضرته متجاهل سؤالها حين أخبرته إن كان عليها الاتصال بالطبيب (جان) لكنه أردف قائلا : لا داعى أنه فقط يعانى من نوبة

صداع شديدة ،جلس بجوار الشاب ثم رفع رأسه على زراعه , وضع قرصين فى فمه ثم أعطاه الماء ..كانت فمه المرتعش , يسقط الماء منه على صدره وبصعوبة ابتلع القرصين ، كانت (أليكس) مازالت متسمرة مكانها تراقب ما يحدث ،وضع (ماك) رأس الشاب بهدوء على الوسادة وقد بدا على عينيه أنه يسحب فى النوم، التفت (ماك) الى (أليكس) معتذرا منها على ما حدث للتو ،ثم طلب منها الخروج الآن تراجعت (أليكس) بأقدامها الى الخلف وأغلقت الباب وأسرعت الى المطبخ ترتشف كوب من الماء لكن سرعان ما انهارت جاثية على ركبتيها تلتقط أنفاسها المضطربة لكنها انهارت فى شلال مكبوتة من الدموع ..

تراخت يده عن رأسه وبدأ جسده يعود الى إنسيابه الطبيعى بعدما كان متصلبا يتكاثر العرق على جسده ثم غفا فى نوم مضطرب يشوبه الهذيان ظل يردد بين حين وآخر أعيدينى..أعيدينى أين أنا؟..،لأول مرة شعر بالحزن عليه ظننا أنه مشتاق لوطنه ..تلك الضغوطات التى تعرض إليها وبعده عن أسرته ووطنه وذلك الطقس البارد لم يعتاد عليه فبلاد الشرق تشع بالشمس الدافئة.

فتح عينيه ينظر حوله وجد (ماك) جالسا هادئا متسمر العينين عليه , جلس فى مكانه متسائلا لماذا يجلس السيد (أرثوفيتش) هكذا !؟، نظر اليه (ماك) فى تعجب متسائلا : ألا تتذكر ماحدث؟! أشاح الشاب بعينه يبحث حوله عن بصيص خيط لاسترجاع ما حدث التفت الى (ماك) فوجده يمد له يده بكوب من الماء, أخذ ه وارتشفه ثم وضعه بالجوار أعاد (ماك) سؤاله وهو يتأمل عينه المليئة بالخوف والفراغ : ألا تستطيع تذكر شيئا حقا؟!،

هل فعلت شيء خاطئا أو تسببت بالأذى لك؟،هز (ماك) رأسه نافيا وأردف سائلا : أتعانى من مرض ما؟فى الليلة السابقة دون قصد منى كان باب الغرفة مفتوحا دخلت الى غرفتك وجدتك تغض فى نوم عميق غارقا فى عرقك كالمريض واليوم أيقظنى صراخك وأصبح جسدك

متصلبا باردا كجثث الموتى ،هز رأسه نافيا تذكره شيء لكنه شعر بالحرج وأحمر وجهه الشاحب فى خجل معبرا عن أسفه لما حدث،وقف (ماك) ينظر من النافذة قائلا : لقد حل المساء ..يجب عليك أن تستريح لعدة أيام حتى تسترد عافيتك لا داعى للاستمرار فى تجربتنا حين ذلك الوقت .

وقف الشاب قائلا : لا داعى لذلك أنا بصحة جيدة لا أستطيع التوقف عن التجربة فمدة العقد تنتهى ،التفت إليه مقاطعا له : تبا للعقد لا أستطيع استكمال التجربة وأنت بتلك الحاله ،انتاب وجه الشاب شيئا من الإنكسار والخذلان فربت (ماك) على كتفه قائلا : لا تشغل بالا هيا بنا نتناول شيئا ما ..أنا أتضور جوعا وأنت أيضا.. أراهن أن (أليكس) أعدت طعاما شهيا ،اندهش الشاب قائلا : السيدة (أليكس) هنا؟!،هز (ماك) رأسه قائلا: لقد نالها من الفزع ما نالنى ،نظر الشاب الى الأرض فى حرج ، فابتسم (ماك) قائلا : هيا لا داعى للحرج ستتفهم الأمر.

سمعت (أليكس) وقع أقدام على السلم فاتجهت الى زوجها متسائلة إن كان يشعر بخير ،ابتسم لها وأخبرها أنهم بخير لكنهم يتضورون جوعا، أخبرته أنها كانت تعد الغداء حالا فالتفت الى الشاب قائلا : ألم أخبرك أنها تعد لنا طعاما شهيا ..فى الحقيقة لقد شممت رائحة الطعام من أعلى.. رسم الشاب ابتسامة متصنعة على وجهه،جلس ثلاثتهم يتناولون الطعام لاحظ (ماك) أن الشاب شاردا لم ينبش طبقه ولو بتناول بقطعة واحدة قطع شروده قائلا : عليك تناول شيء ما فوجهك شاحبا ،ألا ترى (أليكس) رغم أنك أفزعتها بصراخك اليوم إلا أنها تتناول طعامها جيدا ،بادرت (أليكس) بالابتسامة له ، نظر الشاب إليها وأبدى اعتذاره عما بدر منه فقاطعه (ماك) قائلا : لا داعى للاعتذار ل (أليكس) فهى متفهمه الوضع .

تصنعت (أليكس) الابتسامه وهو تتناول طعامها قائلا : لا داعى للاعتذار ..أنت مرحب بك فى أى وقت،ضحك (ماك) ملطفا الأجواء

قائلا: هناك الكثير من الأسف على هذه الطاولة ..دعونا نتوقف عن ذلك ونستمتع بطعامنا ..نظر الى (أليكس) طالبا أن تحدد له موعد مع طبيبه الخاص لصديقهم العربى ..هزت (أليكس) رأسها بالموافقه بينما أردف الشاب يقول شيئا لكن (ماك) أشار له بأصبعه أن يصمت ويتناول طعامه، بينما كان سعيدا بتلطيف العلاقة بين الشاب وزوجته .

دخل الاتنان الى غرفة المكتب ظل يبحث عن شيء ما انتبه له الشاب متسائلا عن ماذا يبحث فأخبره أنه بالأمس كان يدون شيئا ما ولا يدرى أين وضع الأوراق فأخبره أنها بالدرج الثانى من المكتب نظر إليه (ماك) من فوق نظارته رافعا حاجبيه ثم فتح الدرج فوجد الأوراق بجوارهم الصورة فأعاد النظر إليه من فوق نظارته قائلا : أرى أنك تحب اختراق القوانين ،جلس ووضع ساق على أخرى قائلا فى ثقه : بل السيد (أليكس) هى من فعلت ذلك لقد رأيتها ثم قال فى همس ورأت أيضا الصورة ،،جلس على كرسيه ونظر الى الشاب فلاحظ أنه ينظر إليه بطرف عينه فأشار إليه بأصبعه قائلا : ليس الأمر كما يدور فى رأسك فلا تفكر فى تلك التفاهات عشقى لزوجتى يفوق العقل، كاد (ماك) أن يكمل حديثه لكنه توقف قليلا حين أعاد النظر الى أوراقه قائلا : أظن أنها النهاية وشيكه ..،انتبه له الشاب والتفت له متسائلا عن معنى ذلك ، فهز رأسه بلا شيء قائلا أنه عليهم الانتهاء من تلك التجربة سريعا قبل أن يفوت الأوان ..بالمناسبة ما التمير؟ كلمه السر التى أخبر بها الصبى للشيخ هى التمير ؟ ما هذا ؟

طائر التمير الرمز القومى لفلسطين ..يسمى طائر الشمس دائم الهجرة فى بلاد الشرق حيث الحرية مثله مثل الشمس ..يتخطى الحدود دون خوف ويتغير دون أن يفقد هويته

****

فتح عينيه فوجدها نائمة بجواره رائعة الجمال بعينيها الخضراوتين تتأمله فى نومه اعتدل موجها وجهه إليها مبتسما.. ألقى عليها الصباح فأجابته بابتسامة ثم نهضت وألقت برأسها على صدره فى رفق تستمع الى دقات قلبه , احتضنها بين ذراعيه ..أردفت متسائلة هامسة : الى أى مدى يصل حبك لى؟

الى حد اللانهايه ، ظلت تستمع الى دقات قلبه أثناء ذلك ثم رفعت رأسها واقتربت من فاه سارقة عدة قبلات من شفتيه قائلة: قلبك يفصح عن حبه المكنون ثم بدر مكملا حديثه قائلا: آسف على إزعاجك بما حدث أمس.. ما حدث من صديقنا العربى ..لن تستمر إقامته فى بريطانيا سيستمر شهرين ثم يغادر الى بلاده ..أرجوكى تفهميه جيدا

هزت (أليكس) رأسها ثم أردفت قائلة : لقد حددت لكما موعد مع الطبيب جان ..لقد تأخرت عن موعد فحصك كالعادة ..ستلتقى به اليوم فى الظهيرة ...فلتستعد أنت وصديقك العربى لذلك، همت أن تنهض فجذبها من زراعها قائلا : أرجوك تقبليه فقط هذه المدة لم يبقى على وجوده معنا سوى شهر فقط كادت أموره تنتهى هنا ..

نظرت (أليكس) بعيدا متنهدة ثم نظرت إليه قائلة : جهز نفسك أنت وصديقنا العربى للذهاب للطبيب اليوم سأنهض لتحضير الإفطار سأكون بانتظاركما ، فضمها إليه ودامت قبلاتهما لدقائق أوقفهما رن هاتفه المحمول فنهضت (أليكس) والتقط الهاتف ليجيب.

جلس (ماك) منتظرا الشاب على مائدة الإفطار قامت (أليكس) بتحضير عجة البيض وشرائح من الخبز المحمص وأكواب العصير وشرائح من الجبن الرومى الذى يعشقه (ماك) كثيا قائلة : آمل أن يعجب الإفطار صديقنا العزيز، ألقى (ماك) نظره الى الساعه فى يده قائلا : لا أعلم لما تأخر عن النزول الى الافطار ،فجأة سمع وقع أقدامه قادما فقال : ها هو قد جاء ..ألقى عليهم الشاب التحية وجلس يتناول الإفطار.. استعجله

(ماك) حتى لا يتأخر عن مشوار مهم سيقصدانه معا ،تعجب الفتى لذلك الأمر فأخبره (ماك) أنه سيشرح له كل شىء فى الطريق ما إن اقتطم الشاب بضع اللقمات من الخبز والمحمص وارتشف جزء من العصير حتى نهض (ماك) على عجالة مربتا على كتفه قائلا : هيا لكى لا نتأخر ..أوقفته (أليكس) طالبة من أن يكملا فطارهما لكنه أخبرها أنهما سيتأخرا إن مكثا يتناولان إفطارهما ..غادرا فاتبعتهما نظرات (أليكس) من النافذة حتى اختفيا عن أنظارها فأخرجت هاتفها وأجرت اتصال بأحدهم.

ظل (ماك) يدندن ببعض الأغانى الفرنسية القديمة فى سيارته فأوقفه سؤال الشاب الى أين نحن ذاهبان فأخبره أنه سيعرف بعد قليل لم يعد إلا عشر دقائق حتى يصلا الى موعدهما ،عاد الفتى لشهادة ووجهه الحزين ناظرا أى الخارج ..أراد (ماك) أن يسأله عن الأمر لكن كل مرة يهم فيها أن يسأله ..يتوقف لسانه عن السؤال لا يريد اقتحام خصوصيته ،رأى الفتى أن يتجه الى أحد المستشفيات فنظر الى (ماك) بتعجب نظر إليه (ماك) بطرف عينه يرى الانعكاس على وجهه ..لاحظ أن الشاب ينظر إليه فأدار عينه متنحنح متصنع التجاهل من نظراته ..دخل الى مأرب المستشفى ثم عاد وتنحنح قائلا :هيا يا فتى علينا مقابلة الطبيب (جان) لا تقلق أنه من أعز أصدقائى وطبيبى الخاص منذ سنوات.. كاد أن ينطق الشاب فقاطعه (ماك) واضعا يده على فمه قائلا : دون كلمه ..لن أسمح لك بأن تعانى مما عانيت فى المرة السابقة ،صعدا الاثنان الى المستشفى حيث غرفة الطبيب (جان) طرق (ماك) باب الغرفة ثم دخل كان الطبيب (جان) واقفا فى استقبال (ماك) ما إن رآه حتى قام باحتضانه ضاحكين معاتبا (جان) له لغيابه الطويل عن زيارتها أو الاتصال به فتحجج (ماك) بانشغاله مقدما له صديقه العربى مد الطبيب جان يده الى الشاب العربى الذى مد يده أيضا مصافحة مرحبا به طالبا منه أن يجلسا على راحتيهم ،ثم أردف (ماك) قائلا : هذا صديقى العربى أتى الى بريطانيا فى عمل سيدوم شهرين لقد اقترب

أحدهم على النهايه لكنه يعانى من صداع دائم وتعرق مستمر كاد أن يقتلع قلب (أليكس) من صراخه من الألم (ابتسم) ، ابتسم جان قائلا: علينا أولا القيام ببعض التحاليل والأشعة للتشخيص وأنت أيضا استعد فلن تغادر قبل فحصك جيدا،نهض (جان) مصطحبهما الى غرف التحاليل ثم الأشعة ثم أخذ (ماك) الى غرفة الطبيب النفسى الذى بدر بسؤاله عن أنه كان يعانى أرق فى منامه أو بعض الكوابيس.. صمت (ماك) قليلا ممعن التفكير أن يخبره عن الحلم الذى يراوده دائما بالصحراء و(ميلين) والصغيرة لكنه أخبرهم أنه لا يعانى شيئا فى منامه فلاحظ تراجعه الطبيب (جان) الذى يجلس هو الآخر متابعا لحالته مع الطبيب النفسى ، عاد الطبيب يسأله إن كان يتوهم شىء أو يستيقظ من النوم مشوش التفكير لا يذكر أين أو ماذا فعل أمس لكن (ماك) نفى ذلك،انتهى الفحص وبعد أن انتهوا أخبره (جان) أنه سيتصل يخبره عن نتيجه الفحوصات التفت(ماك) للمغادرة فأوقفه (جان)طالبه من الاعتناء بنفسه جيدا ،هز (ماك) رأسه مبتسما ثم غادر ما إن غادرا الغرفة حتى وقع نظر (ماك) على امرأة تحمل طفلا صغيرا بين ذراعيها وبجوارها السيد (أرت) تسمر مكانه فنظر الشاب الى ما تقع عين (ماك) عليه فوجد أمامه السيد (أرت)،بدا على المرأة الشحوب لكنها لا تعانى من شىء فتبدو بصحة جيدة ..مضى الاثنان فاتبعهم (ماك) الذى اتبعه الشاب دون كلمة بعدما سأله عن الأمر لكنه تجاهله ومضى خلف أرت والمرأة، مضى خلفهما بحرص على ألا يراه أحدهم فأبقى على مسافة قصيرة بينهم ..ظل أرت والمرأة يتنقلان من مكان لآخر حتى استقر بهما الأمر واقفين أمام لوح زجاجى كبير تطل منه الأنظار الى غرفة.. بدات غارقة فى حزنها حتى علا صوتها باكية وألقت برأسها على كتف السيد (أرت) فاحتضنها مواسيا ذاهبا عنها حزنها ،كانت دموعها الحارة تزف الأم الى قلب (ماك) وشغفه لمعرفة ما يدور معتصرا عقله يتذكر تلك المرأة التى تبدو ملامحها مألوفة له للغايه ،استدر السيد (ارت)مصاحبا المرأة معه فالقت المرأة النظرة الأخيرة على من بالغرفة

وما إن استدار حتى استدار (ماك) فجأه محاولا إخفاء نفسه عنهم لكنه لم يجد مخبأ ففتح فأدار لهم ظهره وفتح معطفه متصنعا البحث عن شىء ما ،فمرا بجواره متخطيا أنه وما إن اختفوا وما إن اتخذا المصعد للمغادرة حتى أسرع الى تك الغرفة ،فجأة تسمر مكانه وأجهم وجهه مصفرا واتسعت عيناه حتى كادت تخرج من محجريهما.. نظر اليه الشاب متعجبا ثم تقدم ينظر الى ما حول (ماك)الى ذلك ،أ ن تلك المرأة فى الصوره ترقد أمام الغرفة بين الحياة والموت ،هم أن يسأل (ماك)عنها لكنه فوجىء به تخطو قدماه الى باب الغرفة.. فتح الغرفة ثم تصلبت قدماء فلم يستطيع التقدم خطوة واحدة كانت شابة فى ريعان شبابها حولها الهزل والضعف الى امرأة شاحبة الوجه تحتضر بين أجهزة تحتضنها بأصواتها العالية التى أصبح قلبه ينبض مرتعشا على أصواتها ،راكدا على شفتاها أنبوبه تبث الأكسجين الى رئتاها ،حاول التماسك قابضا على قبضته البارده واقترب منها بخطوات متثاقله هزوزه بالكاد تحمله لا يصدق أن هذا الجسد الملىء بالشباب يرقد منتظر الموت أن يحمله بعيدا ٠٠تلك الوجنتان الورديتان تحولتا الى ورد أسود ورديتها من الذبلان ،اقترب من سريرها ثم ركع على ركبتين أسرع اليه الشاب أن يمنعه لكنه توقف حين رآه يتحسس أناملها التى يتشبث أحدهم بأحد الأجهزه ،شعر ببرودة الموت فى أناملها قائلا لها بصوت يكاد يخرج متماسكا ألا يبكى : يداك باردتان ..لما لا تعتنى بنفسك جيدا دائما مهملة لا ترتدى القفازات، قرب فمه من يدها ونفخ فيها من أنفاسه ثم قام بتدليكها لبعث فيها دفىء الحياة أو ربما كان يفكر فى إعطائها القوة فى مواجهة الموت، أغرورقت عيناه بالدموع..أصبحتا كجمرتين ملتهبتين ثم ضم يدها الى فمه محتضنها فجأه أوقفه صوتا ضعيف يكاد يسمع قائلا: انتظرتك طويلا لكنك لم تأتى ..رفع رأسه مسرعا الى وجهها غير مصدق أنها فتحت عيناها وتتحدث اليه (رأت) كطفل صغيرا محرجا من خطأه يد تمسك بيدها ويده الأخرى تقبض بيها على ملابسه فى حرج كادت أن تنساب يدها

من يدها لكنها تشبثت بيده اصابته القشعريره أنا أناملها الصغيرة هو من تتمسك به ابتسمت والدموع فى عينيها التى سقطت على وسادتها طالبه منه الاقتراب منها تتامله فهة تشتاق أن تنظر اليه عن قرب ،سألها فى ألم عن ماحدث لها فاخبرته مبتسمه تلك ضربيه (ماك) الصغير ، تجهم وجهه غير مصدق فهزت رأسها مبتسمه بالايجاب قائله: أجل ..(ماك) الصغير ..اشتقت إليك كثيرا ..أرسلت إليك العديد من الرسائل لكنك لم تجيب عن أى منهما فظننت أنك ، لكن توقفت فأردف قائلا : ظننتى أننى لم أعد أريدك فى حياتى مجددا! ..لكن هذا لم يحدث مطلقا لقد أردتك أن تكونى بجانبى كالنفاسى، هزت رأسها نافيه قائلة : لم يكن هناك مجددا ..أنا دائما بجوارك لم أتركك مطلقا ،لأرسلت إليك جواب شرحت لك عن الامر ،تذكر ماك الجواب الذى ارسلته من قبل ورفض قرآته.. أخفض رأسه متأسفا عما بدر منه.. أجهش بالبكاء فخب عينيه بين يديه كطفل صغير، لربتت على يده وضمتها الى صدرها فأردف معتذرا بصوت يخنقه البكاء : آسف ..منعنى كبريائى آسف ،قبلت يده قائلة : بأن الأمر لا يهم فقد يكفى ما حدث الى الآن ،أرعش الحنين اليها قلبه لسماع ذلك وبكت عيناه فرحه فقام باحتضانها، كان يراقب ما يحدث من اللوح الزجاجى فجاه وجد السيد ارت قادما من بعيد وفى يده طفله صغيره رائعه الجمال تشبه تلك المرأه الى حد كبير ،هم أن يدخ فينبهه بعودة السيد (ارت)لكن شيئا ما منعه فتسمرت أقدامه مكانها وواضطربت الأنفاس فى صدره ، تخطاه السيد(ارت) غير منتبه لوجوده لكنه توقف فجأه ولمح (ماك) بالداخل من اللوح الزجاجى فأسرع الخطى الى الداخل.. ظن الشاب أن هناك صراع سوف يبدأ إذا تلاقى الاثنان وجها لوجه ،دخل (أرت) الغرفة بالصغيرة التى نادت على أمها فالتفت إليها (ماك), وجدها تقف وبجوارها السيد (أرت) فنهض يمسح دموعه بسرعة خاطفة متظاهربالقوة خوفا أن تخدش تلك الدموع كبريائه ،جلس (أرت) القرفصاء وهمس فى أذن الصغيرة بشىء ما فركضت الصغيرة واحتضنت (ماك).. اقشعر جسده وكادت عيناه

تفيض بالدموع لكنه تماسك وجلس القرفصاء فى تثاقل قائلا : مرحبا عزيزتى.. فأردفت : مرحبا خالى (ماك) لقد اشتقت إليك كثيرا ..اندهش (ماك) متسمرا مكانه فأردفت الصغيرة قائلة : أمى دائما تخبرنى عنك ..كنت انتظرك كثيرا أن تزورنا لكن أمى أخبرتنى أنك دائما مشغول , رأيت صورتك فى الأخبار وفى ألبوم صور أمى ، أمي تقرأ لى رواياتك لكن لا أفهم منها الكثير لكن أمى تشرح معناها لى لكن رغم ذلك لا أفهمها هل ستمكث معنا وتشرحها لى؟

أردف (أرت) قائلا مع ابتسامة خفيفه : لا تطلب من أمها قراءة أعمالى بقدر ما تطلب منها قراءة أعمالك أنت.

حمل الصغيرة بين زراعيه فالقت نفسها فجأة فى أحضانه محتضنه بقوة. كاد الدفىء الذى شعر به فى جسدها لا يختلف عن دفىء أمها وحنانها له. تلك السعادة التى تبعثره طوال تلك السنوات تمعنت فى ثانية واحدة حين ألقت الصغيرة بنفسها بين أحضانه ،رفعت الصغيرة رأسها متسائلة إن كان (ماك) قد رأى أخيها الصغير (ماك) ،فبتسم لها وأخبرها أنه لم يراه ولكن ربما هو قبيحا مثله فهزت الصغيرة رأسها نافيه قائلة أن أخيها لطيف ورائع مثله تماما ،فجأة مدت أمها يدها لها فمالت الصغيره بإتجاه أمها فأنزلها (ماك) بهدوء الى جوار أمها على السرير ما إن نزلت الصغيرة حتى ارتمت فى أحضان أمها بين قبلات أمها الحانية لها ،تركهما (ماك) مستأذنا فى الخروج لترتاح فتشبثت المرأة بيده قائلة : سأنتظرك ، ربت على يدها واضعا قبلة على يدها ثم خرج فاتبعه (أرت) حتى وقفا على مسافة قصيرة من الغرفة.. نظر إليه (ماك) منتظرا منه إجابه على الوضع الذى به فأخبره أنه مرض ما بعد الولاده ظن أنها ستتعافى منه بسرعة لكن حالتها سارت تتدهور مع الوقت وقد تردد فى إخبار (ماك) بالأمر رغم أن هناك خيط صغير يربط بينهما لكنه خشى أن ينهره (ماك) أو يسىء التصرف ليه إن أخبره بالأمر ورغم الصداقة القديمة التى نشأت بينهما ،اغتاظ (ماك)

كثيرا فصب غضبه عليه بألا ينطق بتلك الصداقة ثانية فهو لم يكن يوما أهل الى الصداقة ،خلع (أرت) القناع عن وجهه شخصيته الخبيثه بابتسامة ساخرة قائلا أنه أيضا لم يعتبر ما دار بينهما سابقا صداقة لكن عليه تقبل أنه أصبح جزء لا يتجزأ من حياته التى تتوارى وراء ضوء الشمس وسرعان ما ستختفى قريبا مع اسمه الى الأبد ،قبض (ماك) على رقبته فى غضب حتى كاد يختنق فتدخل الشاب مسرعا يفك يد (ماك) من رقبة (أرت) قائلا بأن هناك من تراقبهم ،التفت (ماك) فسقطت عيناه على المرأة التى تشاهد ما يحدث بينهما بعينين مليئتين بالحسرة والحزن وهى تحتضن صغيرتها تخفى عن عينها ما حدث بينهما ،أنزل (ماك) يده بسرعة ونظر الى الأرض فى خجل من نفسه أمامها فبالكاد كان الأمل يدب أنفاسه فى عودة العلاقة الطيبة بينهما مجددا،كانت أعين المرأة تتوسل بألا تعود العداء والخصام بينهما مجددا ،تنهد (ماك) فى تماسك لغضبه قائلا ل(أرت) : سأتغاضى عن أخطاءك تلك المرة لكن لا تحاول استغلال ما بيننا فى الضغط على ألا تتغاطى عن أفعالك القذرة مرة أخرى.. كن شجاعا ولو لمرة فى حياتك وحارب فى معركتك لوحدك .

التفت للمغادرة فنظر إليها للمرة الأخيرة قبل مغادرته فقرأ شفتاها تقول شكرا لك مبتسمة فابتسم لها ثم غادر المكان مسرعا يتبعه الشاب يحاول اللحاق به ،ما إن خرج من المستشفى حتى تنفس الصعداء بزوال تلك العتمة التى مكثت فى قلبه وأقلقت راحته طوال تلك السنوات الماضية . ارتاح أخيرا وشعت الحيوية فى روحه .. أمر الشاب فى سعادة أن يصعد الى السيارة مسرعا فسيصطحبه الى مكان يعشقه كثيرا ، ركب بجواره وهو يحاول تحليل تلك الشخصية المعقدة التى تكره الغرباء ممتلئة باليأس. الآن يتحرك مرحبا بالحياة كشاب فى العشرين من عمره، توقف (ماك) أمام إحدى المطاعم ثم طلب من الشاب النزول مصطحبه الى الداخل ثم اختار طاولة بجوار النافذة يجلسان فيها.. لحظات وأشار الى النادلة فتاة جميلة فى العشرينات من عمرها أخبرها

فى سعادة غامرة أن تحضر لهما غداء شهيا لشخصين لم يتناولا الإفطار جيدا ،تعجبت الفتاة مبتسمة ثم هزت رأسها وغادرت ، قام بتدليك كفيه ببعضهما وعيناه متسمرة الى الخارج.. سأله الشاب إن كان يشعر بالبرد هز (ماك) رأسه وعيناه مازالت مكانها تنظر بالخارج قائلا أنه فقط يشعر بالسعادة الغامرة من زوال ذلك الحاجز الذى أرهق روحه طويلا ..لكن بدا عليه القلق حين أخبره أنه يخشى أن يقوم هذا الأحمق (أرت) بإفساد الأمر مجددا ، انتبه الى النادلة التى وضعت عدة أطباق متنوعة من الأطعمة أمامهم متمنية لهما أن يستمتعا بطعامهما ما إن غادرت حتى التفت الشاب يتأكد من مغادرتها فأردف يسأل من تلك المرأة ،نظر إليه (ماك) وبدا الحنين يعود بذكرياته الى الحاضر قائلا : أنها أختى الصغرى (ويتنى)هى شقيقتى من الأب فقط (نظر الى الشاب) هى وليدة علاقة غير شرعية ، بدأ الأمر حين توفت أمى وأنا فى سن صغير فى العاشرة من عمرى ..صدم أبى بموتها كان حبها فى قلبه يفوق حبه حتى لابنه الوحيد فتحول من قس متعبد لأسرته الى سكير يحتشى الخمر أكثر من احتساءه الماء حتى أختل عقله وأصبح قدماه تخطى الطريق الى المنزل فأمكث وحيدا بالأيام والليالى دون أب أو أم حتى ظننت أننى إذا تقابلت صدفة مع والدى فلن يعرف شكلى ،إذا أتى الى المنزل يأتى مترنحا يمسك صورة زفافهما اسمعه يعاتبها بالألفاظ على تركه وحيدا ورحيلها المفاجىء عنه ثم يلقى بتلك الصورة أرضا فيعود نادما على ما حدث ويركع ملتقط الصورة من بين شظايا الزجاج ويضعها فى جيبه ، لم يعد لدينا المال أو الطعام فقضيت ليال طويلة بدون طعام حتى أنهكنى المرض وفقدت الوعى فى المدرسة استيقظت على صوت الممرضة تخبره أن بإمكانه اصطحابى الى المنزل لكن عليه الإعتناء بى ، عدنا سويا الى المنزل كانت المرة الأولى التى نعود فيها سويا الى المنزل منذ وفاة أمى لكننى حينها تمنيت لو أننا لم نعد ، صرخ فى وجهى مطلق السباب والشتائم مهددا : أردت أن تموت فمت بعيدا عنى لا أريد أن أرى وجهك أمامى فى ثلاجة الموتى فليس لدى التكاليف الازمة

لجنازتك، أصابتنى كلماته بالعار والأمل شعرت أن قلبى كاد يقتلع من صدرى فقررت ترك المدرسة والبحث عن عمل مناسب لأستطيع العيش ، تم رفضى من كل مكان طلبت فيه العمل فمن سيقبل بعمل طفل صغير معه حتى وافقت إحدى السيدات بأن أعمل لديها فى المقهى الخاص بها كلما سألها أحدهم من المقهى عن من يكون الصغير تخبرهم أنه ابن أختها ، كان المؤلم أن أبى من ضمن الناس الذين ترددوا الى المقهى عدة ليال ولم يتسنى له للحظة واحدة أن يخبر أحد أننى ابنه ،فى إحدى الليالى زاد عن كرهه فذهبت لإحضار الشيك منه فلطمنى وسقطت على الأرض ثم طلب منى أن أدفعه من مالى الذى أجنيه لكننى وقفت وعدت لأطلب منه دفع الشيك مجددا رفع يده لتنهال بالضرب على مجددا فأوقفته المرأة وعلمت بذكائها الحاد أن ذلك المعتوه هو والدى ثم هددته أن يدفع ثمن شرابه أو تبلغ الشرطة فأخرج لها المال لكنه لم يكفى فخلع عن يده ساعة والدتى التى لم تفارق يده مطلقا إلا حينها ثم غادر ولم أرى وجهه بعدها ،وبعد عدة أيام أعطتنى تلك السيدة ساعة والدتى كهدية فى الكريسماس، كان من الغريب لمن يلقى الضرب من والده أن ينتظره يلقى عليه التحية فى تلك المناسبة.. انتظرته طويلا لكنه لم يأتى ، حينها أصبحت يتيم الأب والأم إلا أن جاء والدى يوما معتذرا منى ومن صاحبه المقهى وطلب منه اصطحابى الى المنزل لكى أعيش معه متعهدا ألا يمد يده بالعنف ضدى مجددا ، ذهبت الى منزلى وكأننى لم أتركه منذ سنوات كان كل ركن به يشتاق الى الحياة فى ظلمته وأتربته وتلك الحال الكئيبة التى اعترته بعد رحيل أهله ، عدت الى دراستى فلم تسمح لى السيدة بترك المدرسة وفى المساء أعود الى العمل فى المقهى وفى إحدى الليالى جاء أبى على عادته سكيرا للغايه لم أعبء برجعه ونهض احتفظ بمرتبى مع أمالى فى التى احتفظ بها فى خزانة ملابسى وفى اليوم التالى عند عودتى من المدرسة دخلت غرفتى فوجدت ملابسى ملقاه على الأرض وفى وسطهم صندوق النقود فارغا،انهرت وصببت غضبى عليه ووجدت يدى تمت عليه وهو نائم

..أصرخ فيه مطالبا بأموالى التى سرقها لكنه كان سكيرا لم يشعر بقبضتى على وجهه أو ركلى له فى قدمه لكنه نهض وحملنى فى غضب من الأرض وألقى بى خارج المنزل فسقطت على ذراعى ،كسر ذراعى وكاد أن يبتر لولا تلك السيدة التى لم تترك طبيبا إلا وتوسلت له فى إنقاذى وقمت بعملية تركيب شرائح لكن العملية أثرت على ذراعى الأيسر فلا أستطيع أن أقبض بقوة على أى شيء بيدى لكنها فى النهاية أنقذتنى من أكون عاجز بذراع واحد فقط ومنذ تلك الحادثة تبنتنى تلك السيدة وصرت كابنها وأمرتنى ألا أعبء بمصروفاتى الدراسية وأن انتبه الى الدراسة فقط وأترك العمل فى المقهى وقد كان ما أمرت حتى صرت فى السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية ، تعرفت على (أرت) فى الصف الدراسى وأصبح صديقى الوحيد والمقرب وفى الأجازه المدرسية كنت أعود الى المقهى لاعمل مع السيدة فى إحدى الليالى اقتحم أبى المقهى وجذبنى من فوق البار وانهال على بقبضته بالضرب فأقسمت عليه بحبه لأمى أن يكف عن ضربى ويتركنى وشأنى كانت الدماء تسيل من فمى كانت قوى القبضة حتى خلع لى ضرسين وظل فمى متورما ينزف , أوقفته كلمتى كالمصعوق واختفى عن ناظرى عدة سنوات حتى إجتزت المدرسة الثانوية ودخلت الجامعة ، فى كثيرمن الأوقات اشتاق لأمى كثيرا لكننى لا أستطيع رؤيتها أو ارتماء بنفسى بين أحضانها وكان يزيد الشوق لأبى لكن من المؤسف أنه أخرجنى من حياته بيديه أى أنه لا يرغب فى مرة أخرى فلما اشتاق إليه ، فأقسمت ألا أفكر فيه ثانية ، واتخذت من تلك السيدة التى راعتنى من صغرى حتى الجامعة أم وأب لى إلا أنها أصيبت بسرطان القلب وهو مرض ضار جدا يتعين علي الأطباء فتح قلبها وإخراج الورم لكن قلبها كان ضعيف أن تتحمل العملية وتوفت فى أقل من إسبوع ، شعرت أننى وحيدا تقطعت بى السبل لم أجد أحد بجانى فقد رحلت أسرتى تمنيت من الله أن يساعدنى لكنه أيضا تخلى عنى ، أخذت المقهى لكننى لم أستطيع أن أديره فحملت ما تبقى من ذكرى تلك السيدة وقمت ببيع المقهى فى

المزاد وكان ذلك أكثر شيء ندمت عليه ، فى كل ليلة أشعر أننى خذلت تلك السيدة ببيعى للمقهى الذى أعطته لى قبل وفاتها , أمر من أمامه كل يوم مذلل الرأس معتذرا عما فعلت لكن لم أستطيع الإستمرار فى المقهى والعمل فى نفس الوقت ،ذهبت الى منزلى أحاول إصلاح الأمور بينى وبين أبى وجدت المنزل فارغ ملىء بزجاجات الخمر والملابس القذرة لبعض العاهرات التى يصطحبهم أبى شمرت عن ساعداى وقمت بتنظيف المنزل وقمت بإعداد طعاما شهيا ومكثت طول الليل بانتظاره وفى الثالثة صباحا سمعت ضحكات تقترب من المنزل فتحت الباب فوجدت أبى بإصطحاب اثنتين من العاهرات تلتف أيديهم حول خصره تسمرت مكانى وأجهم وجهه ثم أبعد عنه المرأتين ووقف فى حرج منى فرحلت وعهدت نفسى ألا أعود إليه أبدا فقد قمت بدفنه الآن الى الأبد فلقد أصبح لديه حياته الخاصه التى يهتم بها وحان دورى أن أسلك طريقى الخاص وحياتى الخاصة أيضا لكن لا يمكن قطع ذلك الرابط الذى بيننا بسهولة وجدت شرطيين ينتظرانى فى مسكنى الدراسى , أنقبض قلبى بشدة وهربت أنفاسى دار فى عقلى أمرين إما أن أبى يمكث فى إحدى السجون بتهمة السرقه أو قتل أحدهم أثناء سكره لكن الأمور لم تكن كذلك ،فجأة رأيت نفسى أقف أمام جثمانه فى غرفة التشريح ، لا أدرى لما أفتقدته حقا تلك اللحظة لكنى لم أحزن ولم تزرف عينى أى دموع تعرفت على جسمانه وأخبرتهم أنه أبى فاصطحبنى المحقق الى غرفته لإستلام ملابس أبى بعد انتهاء التحقيق كانت الدماء تغرق تلك الملابس , قمت بتفتيشها فوجدت صور نساء عاريات أو مسحوق الموروفين فأمقته أكثر فقد أخذت الملابس واتجهت للخروج لكن أوقفنى المحقق متعجبا منى لأننى لم أسأل كيف مات أبى.. أراد أن يخبرنى بذلك لكننى قاطعته وأخبرته أن أمر موته لا يعنينى فقد سلك الطريق الذى كان يجب عليه سلكه منذ زمن لكنه تأخر ،هممت بالمغادرة فوجدت إمرأة زنجية تقف أمامى ودموعها معتذرا فى كونها سبب وفاه أبى لكن لم أعير لحديثها اهتمام وتركتها فى منتصف الحديث ورحلت

دون كلمة وقضيت أيامى فى مسكنى مع (أرت) لكن بعد مضى ثمانية أشهر رأيت نفس الشرطيين يقفان على باب منزلى وقفت مكانى لم أستطع التقدم بخطوة واحدة اتجاههم فاقتربا منى وعقلى لا يجد أى شيء ليفكر فيه ،لم يعد لدى أحد أخشى عليه من قسوة الحياه أو أخشى عليه من الضياع، فجأة وجدت تلك المرأة الزنجية تخرج من سيارتهم وتحمل فى يدها طفلة صغيرة فأخبرنى الضابطين أن تلك المرأة هى عشيقة أبى وتلك الصغيرة بين يديها هى أختى الصغرى وقد كشفت ملابسات القضية وسبب وفاة أبى أن تلك المرأة كانت أحد العاهرات التى يتلذذ بأجسادهن فى الليالى الغابرة بالمقهى الليلى وأثناء عودت تلك السيدة الى منزلها تعرض لها ثلاث رجال يحاولون اغتصابها فقام أبى باعتراض طريقهم إليها وإبعادهم عنها لم يكن يعلم أنها إحدى العاهرات حين اصطحبها الى منزلها وجدها تعمل من أجل تعطيه العلاج الثمين لوالدتها فقام والدى بالإعتناء بها وبأمورها وعاشا سويا من , الغريب أنه كان يحسن معاملتها جيدا ويخبرها عنى فى كل ليلة حتى تعرض له هؤلاء الرجال الثلاثة وقاموا بقتله إنتقاما منه حين رأوه يخرج من إحدى الكنائس بعد تحديده لموعد زفافه بتلك المرأة ، قاموا بالالتفاف حوله فى سواد الليل وتوجيه ضربة مباشرة الى قلبه فخر صريعا فى الحال ،وبعد موته ظهر الحمل على تلك المرأة ، أنبت نفسى فى تلك الليلة على أبى كيف تركته وحيدا مشتتا فى الطرقات اللعينة وأمقته حتى مات ، كان يعانى من وحدته الفظيعة فى أواخر أيامه يحاول القضاء عى تلك الوحدة بالنساء حوله لكنه لم يمس أى إمرأة منهم ،يقوم باصطحابهن الى المنزل ويظل يشرب الى أن يغط فى سكره فيسرقن أمواله ويذهبن وهو يعلم لكن ذلك كان أفضل لديه من أن يقضى لياليه وحيدا ،تلك المرأة التى لمسها بعد أمى قرر الزواج منها،لكننى كنت أصغر من أن أتفهم تلك الوحدة القاتلة فقد نظرت إليه على أنه حثالة سكير لكن لم أنظر الى موضع عينه والى قلبه لم أعطيه الفرصة ليفصح لى عن مكنوناته ،أنا ظلمت أبى حقا، دخلت غرفتى وأخرجت ثيابه الممتلئة

بدماءه قمت بإخراجها من الكرتونة وأتفتشها فوجدت فى إحدى الجيوب صورة أمى وفى الجيب الآخر ورقة.. اعتذار قائلا : آسف يابنى حين قمت بسحق عظامك فى المقهى ذلك لأننى اشتقت إليك كثيرا بحثت عنك مرارا لكننى لم أجدك توسلت من صاحبه المقهى أن تخبرنى مكانك أو تسمح لى برؤيتك من بعيد لكنها هددتنى بإبلاغ الشرطة عنى وزجى فى السجن للأبد, فضلت أن أكون سكيرا حقيرا على أن أكون سجينا يلصق باسمك العار فى حياتك ،حين رأيتك جذبت من فوق البار لاحتضانك لكن صاحبة البار صرخت فى وجهى فلم أتمالك نفسى ووجدت يدى تمتد الى وجهك ..حقا لم أقصد تمنيت لو أننى مت قبل فعل تلك الحادثة، حين أقسمت بحبى لوالدتك أيقظت عقلى الى تلك الحقيقة التى لم أدركها وأنك قطعة منها لكنك لم تكن تشبهها بل تشبهنى كثيرا وأثار ذلك غضبى منك لكنك لم تذنب فى ذلك،آسف.. آسف من كل قلبى لأننى لم أكن الأب الذى تستحقه.

طويت الجواب والندم يقطع قلبى على ذلك الإعتذار المتأخر ،من يجب عليه الاعتذار!!؟ أيجب على الأباء الإعتذار لأبنائهم أم يجب على الأبناء الإعتذار لآبائهم!؟ ، لا أدرى ، لكننى لم أقبل بتلك السيدة زوجة لأبى ولم أقبل بها فى حياتى فقد عانيت من حياتى ما يكفى قمت بطردها فى كل ليلة تقف فيها أمام مسكينة تطلب منى إحتوائها هى وابنتها بعد موت والدتها وطردها من السكن ،فى ليالى البرد القارس أجدها تقف أمام المنزل منتظرة منى السماح لها بالدخول فتظل طوال الليل تحمل صغيرتها أمام المنزل تحت الأمطار التى تستطيع الهرب فى بعض الأحيان استمرت شهرا أراها كل لحظة أمامى فى كل مكان وفجأة استيقظت مبكرا لأذهب الى جامعتى فلم أجدها تعجبت غيابها وظننت أنها مشغولة بأمر ما لكن لم أجدها فى اليوم التالى واختفت لمدة إسبوع فشعرت باشتياقى لها لكن الخوف سكن قلبى حين انتاب عقلى أن مكروه أصابهم وأصاب تلك الصغيرة الباكية كل ليلة تترجانى أن أنظر إليها كأخ ..أخ..أنا أخ ..تلذذت بتلك الكلمة وأنا أفكر فيها كيف لى لم انتبه من

قبل حلاوة تلك الكلمة لكننى كنت أتصارع بينى وبين نفسى فتلك الطفلة ليست أختى الشقيقة على أى حال ،وفى الصباح وجدت الشرطة بانتظارى أدركت أن تلك المرأة أصابها مكروه وسيتكرر مشهد وقوفى للتعرف على جثتها مثلما حدث مع أبى لكن وجدت المرأة ترقد فى المستشفى مصابة بالكدمات والكسور إثر اعتداء أحد السكارى عليها أثناء عملها فى إحدى المقاهى الليلية التى اضطرت العمل بها حتى تنفق على صغيرتها ، أخذتها الى المنزل بعدما تعافت كانت المرة الأولى التى أدخل فيها الى منزل أسرتى منذ أن تركته آخر مرة متخذا قرار أن أسلك طريقى الخاص لكننى عدت مع أسرة جديدة لى ،أخبرت تلك السيدة بشروط العيش معى أولا عليها الكف عن العمل وسأتكفل العمل نيابة والانفاق عليها وعلى ابنتها الصغيرة ، تلك المرااة حقا كانت تبحث عن الحياة الشريفة واليد التى تنتشلها من تلك الحياة القاحلة التى عانتها، لم تثقل كاهلى بطلباتها الشخصية بل أوقات لم أسمع لها صوتا قط إلا صوت الصغيرة تبكى وهى تهودها ، ذات ليلة وجدت المرأة تحضر كعكة عيد ميلاد احتفالا بميلاد (ويتنى) كان من المصادفة أن يكون يوم ميلادها هو نفس يوم ميلادى !،وجدت اسمى على الكعكة واسم الصغيرة , تصلبت مكانى حين رأيت اسم (ويتنى) مدون على الكعكة فهو اسم أمى ،جلست بينهم لأول مرة وشاركت معهم الاحتفال دون كلمة ، بدأت (ويتنى) تتلعثم فى كلامها ففوجئت بالمرااة تخبرنى أنها تبحث عن عمل لمساعدتى لم أدرى كيف امتدت يدى على وجهها حين سمعت ذلك طرأ فى عقلى أنها ستعود الى عملها فى المقاهى الليلة مجددا،سقطت على الأرض حين لطمتها فاهتز فى حياتى شيئا ما هربت خائفا أن أتحول شيئا فشيئا الى نسخة أبى التى لا أرغب بها فى الإطلاق جلست فى إحدى الحدائق فرأيت المرأة قادمة تصطحبنى الى المنزل معتذرة لأنها لم توضح لى أمر العمل الذى ترغب فيه لكننى وجدت نفسى ألقى بنفسى فى أحضانها باكيا ووجدتها إمرأة متفهمة رغم أن أناملى مازال أثره على وجهها ،توقفت عن منادتها بالمرأة وبدأت أناديها

باسمها (أوليفيا) ،فكرنا فى عمل جيدا لها, أخبرتها أن تلك الكعكعة رائعة المذاق وأخبرتها أن تعد أخرى من أجلى،فى الصباح اشتريت لها الكثير من الطحين وأخبرتها بعملها الجديد ستقوم بإعداد أشهى الحلويات وسأقوم بمساعدتها فى توزيعه ، كانت (أوليفيا) حقا ماهرة فى صناعة الحلويات واستمر الأمر حتى افتتحنا محل صغير لصنع المعجنات والحلويات وأصبحت من أشهرهن وقد حان الوقت لأن أعود الى استكمال تعليمى الذى تركته للإعتناء بهما طوال تلك الفترة وانتقلت الى إحدى المدن أدرس بها كنا نتواصل من حين لآخر ،دخلت إحدى المطاعم لأذاكر دروسى طلبت وجبة سريعة واستمريت الى الليل أذاكر وفى نهاية اليوم طلبت الشيك , لم أرفع رأسى من الكتاب ولم يتسنى لى رؤية النادل أو أحد بالمطعم استمريت أسبوعين أتى يوميا الى المطعم لأذاكر حتى انهكنى التعب ونسيت يوما محفظة نقودى فوقفت أطلب من النادلة أن أعتذار ..فجأة وجدت السيدة (أوليفيا) هى من تقف أمامى ومعها أختى (ويتنى) التى ارتمت فى أحضانى حين رأتنى كانت قد كبرت سريعا وأصبحت فى غاية الجمال وتشبهنى كثيرا ،ذلك الفراغ التى عانى منه قلبى إمتلأ بحبهما ولم أتركهما ليلة واحدة منذ ذلك الوقت، لقد كبر عمل السيدة (أوليفيا) حتى امتلكت عدة مطاعم للحلويات وأخرى للأطعمة السريعة وقد انتقلت الى المدينة التى أدرس بها لتجمع العائلة من جديد ،حين صدر لى عدة روايات جلست فى المقهى ارتشف قهوتى لكننى تركتها بالجوار الى أن بردت فمددت يدى أشربها فوجدتها استبدلت بأخرى ساخنة وبأحداهن التى لم أرى فى جمالها من قبل تمسك القهوة الساخنة مؤنبة لى على أنها تقرأ إحدى الروايات لأحد الكتاب دون توقيع ،تعجبت من الأمر وأخبرتها أنه أمر طبيعى فليست جميع الروايات تحمل توقيع الكاتب فمددت يدها لى بأحد أعمالى وطلبت منى توقيعى وحينها أكتملت النجوم فى سمائى حين سقطت فى حب زوجتى، كانت صديقة (ويتنى) و(أوليفيا) .

أردف الشاب متسائلا : وما المناسبة فى القدوم الى هذا المطعم ؟

ابتسم (ماك) قائلا : ذلك مطعم السيدة التى راعتنى منذ صغرى بعدما نجحت فى حياتى العملية قررت شرائه لكن المال معى لم يكفى فقد طلب صاحبه مبلغ باهضا للغايه فساعدتنى السيدة (أوليفيا) وزوجتى (أليكس) فى شرائه، قلب (ماك) إحدى الأوراق المكتوب عليها اسم المطعم (روز) أردف قائلا : السيدة روز هى من اعتنت بى لكن المطعم الآن أعطته هدية زواج ل (أليكس) لكن هذا لا يعنى أن لا يجب علينا دفع ثمن ذلك الطعام (ضحك) هيا تناول طعاما علينا العودة الى المنزل سريعا ،أردف الشاب متسائلا: لكن لما استمر عدائكما لعشر سنوات؟!، نظر إليه (ماك) كأنه أعاد العبث بجرحه الذى إلتأم للتو قائلا: لأنها عصت أمرى فى الزواج من (أرت) وفى يوم الزواج أسرعت لمنع زواجهما فقامت بطردى لم تتحمل السيدة (أوليفيا) ماحدث بيننا فأصيبت بنوبة قلبية وتوفت ومنذ ذلك اليوم لم أرى (ويتنى) أرسلت لى جوابا لكن لم أستطيع قراءته ,علمت بعد ذلك أنها أنجبت طفلتها الأولى فأرسلت لها هدية ..أقامت حفلة لتعميد لطفلتها لكنها لم ترسل لى دعوة أراهن أن (أرت) أخفى الهدية عنها ،ابتسم (ماك) مشيرا للشاب أن يكمل طعامه.

سمعت (أليكس) صوت السيارة فى الخارج.. نظر من النافذة فوجدت زوجها عائدا لحظات ودخل الى المنزل فى عجالة من أمره خلع معطفه وألقى به على الأريكة فى غرفة الضيوف متجها الى غرفة المكتب مضت خلفه تسأله أن تحضر له الغداء لكنه أخبرها أنكم تناولا غدائهما فى الخارج ،تفقد الأدراج حتى أخرج منه الجواب , تنفس فى عمق فى ضبط لأنفاسه المضطربة رغم أنه تخطى ذلك الحاجز بينه وبين أخته لكنه يخاف أن يقرأ تلك الرسالة ظل ممسكا به بين يديه سارحا بخياله فيما قد يكون كتب به فأفزعه الشاب قائلا أنه لا داعى أن يقرأه الآن إن لم يكون مستعدا ،نظر إليه (ماك) يلومه على إفزاعه لكنه عاد وهز رأسه قائلا بأنه لا يهم ما الذى كتب بالرسالة لقد عادت الأمور الى وضعها الطبيعى ،ألقى بالرسالة فى الدرج وأغلقه.

أطفأ الأضواء واكتفى بضوء خافت صادره من أباجورة المكتب ،أرخى (ماك) جسده على كرسى المكتب ثم أخرج الشاب غليونة من جيبه وأشعله , كاد أن ينفث بدخان الغليونة فى وجه (ماك) , فجأة أوقفه طرق على باب غرفة المكتب انتفض (ماك) معتدل فى جلسته حاول إشعال الأضواء لكن الوقت لم يسعفه فقد دخلت (أليكس) متسائلة فى تعجب عن سبب إغلاق الأضواء لكن (ماك) أخبرها أنها قامت بإفزاعه فقد أغلق الأضواء يحاول الاسترخاء مع ضوء القمر بالقرب من النافذة...اعتذرت (أيكس) وعيناها تجوب فى الغرفة تخبرة أن (روى) حضر بالخارج ومعه ضيفين ،قضب حابيه مفكرا ثم قال : أجل أجل لقد اتصل بى مبكرا يخبرنى بقدومه هذا المساء لكننى نسيت أن أخبرك عزيزتى ..أخبريهم أننى سأتى فى الحال.. خرجت (أليكس) فخرج الشاب من مخبأه خلف الستارة متنفسا الصعداء شاكر الله أنها لم تراه ،تأسف له (ماك) على مقاطعته لتجربتهم وسيخرج حالا ليرى ما الأمر ثم يعودان لإستكمال عملهم.

فتح باب الغرفة للخروج فرأى (روى) قادما إليه فاتحا له ذراعيه على مصرعيها مرحبا به ثم قام باحتضانه فألقى النظر الى الشابين الجالسين على الأريكة كانا عمريهما فى سن الثلاثين تقريبا قاما بالوقوف ما إن رأوا (ماك) قادما أخذه (روى) إليهم وهو يشير إليهم قائلا: هذا الشاب هو السيد (ألفريد بروسن) وهذا السيد (أرثر ألبس) وقد طلبا منى تحديد موعد لزيارتك لكننى لم أخبرك بذلك فى الهاتف لضيق الوقت ،قام (ماك) بمصافحتهم ثم طلب منهم الجلوس،أردف (روى) قائلا : هذان السيدان قاما بتأسيس شركة صغيرة مسئولة عن ترجمة الكتب الى عدة لغات ؛ الصينية والفرنسية والعربية والروسية وغيرها وقد أبدا إعجابهما بالحلقات التى تكتبها على صفحتك الرسمية ووقع اختيارهم عليك فى اقتناء تلك الرواية وترجمتها.. قاطع أحدهم (روى) قائلا : اسمح لى سيد (ماك) أن أوضح الأمر شركتنا ستهتم بعقد حفلة لروايتك فور طبعها لكننا لن نكون مسئولين عن نشرها هنا فى بريطانيا سندفع

لك ٥٠ألف دولار مقابل أن تعطى لنا الحقوق بترمتها الى عدة لغات وتوزيعها فى تلك الدولة ولكن لن يكون لك أى نسبة فى أرباح بيع الكتاب فى تلك الدول إذا قبلت ب ٥٠ألف دولار ،لكن هناك شىء آخر إذا لم تقبل هذا المبلغ وهو أن الشركة لن تعقد حفل للرواية بل ستأخذ الرواية لترجمتها وتوزيعها فقط لكن نسبتك ستكون ٢٥% فقط من أرباح الشراء ،وضع أحدهم عقدا على الطاولة قائلا : هذه العقود فيها شرح كل شىء بالتفصيل لا نريد إضاعة وقتك فالسيد (روى) أخبرنا أنك مشغول للغاية فى عملك الجديد , أرجوا أن تقرئهم على مهل ونحن سنكون فى انتظار ردك ،صمت (ماك) يفكر فى الأمر فشعر (روى) بالحرج لشروده أثناء الحديث فأخبر السيدين أنه السيد (ماك) سيفكر فى الأمر هو فقط لا يركز فى شىء إلا عمله الجديد فقط وقف (ماك) قائلا أنه سيفكر فى الأمر ويتصل بهم ثم نهض الى غرفته، توتر (روى) وتصبب عرقا فأخبر السيدين أنه سيتصل بهم فى أقرب وقت ..وقف السيدين وقاما بمصافحته وغادرا وهما يتلصصان النظر الى (ماك) الذى اختفى فى غرفته ،قام (روى) بتوديعهم ثم عاد مقتحم غرفة المكتب صارخا فى (ماك) قائلا : تلك الفرصة لن تتكرر فى كلتا الحالتي أنت الفائز من ذلك العرض وسيعلو اسمك فى مكتبات الدول العالم أنه عرض لن أسمح لك بالتخلى عنه ،طرأ (ماك) يفكر فى الأمر فهو حقا فى أمس الحاجة الى المال والدعاية القوية.. هز رأسه قائلا أنه سيفكر فى الأمر فلن يستطيع إعطاء كلمة لهؤلاء إلا بعد الإنتهاء من استكمال عمله الأول تفهم (روى) الأمر وابتسم فى ارتياح على موافقة (ماك) المبدأية على الأمر ثم أخبره أثناء مغادرته أنه سيكون بانتظار اتصال منه يخبره بإنتهاء العمل وتوقيع العهد مع السيدين لكنه سيخبرهم بموافقته المبدأية على العرض وعليهم الانتظار حين الانتهاء من استكمال عمله، كانت (أليكس) تستمع الى ذلك العرض لكن السعادة لم تنتابها بمقدار القلق الذى تلاعب بقلبها لكنها أسرعت إليه فى سعادة متصنعة تهنئة على ذلك العرض الرائع وستحتفل بتلك المناسبة بتحضير

عشاء رائع ..هز (ماك) رأسه موافقا غادرت (أليكس) الغرفة وما إن وضعت قدمها خارج الغرفة حتى أغلق الباب خلفها بسرعة بالمفتاح.. تعبت وقضبت جبينها , التفتت تفتح الباب لكنه أحكم الغلق , أصابتها الدهشة والتساؤلات فتلك المرة الأولى التى يغلق (ماك) الباب عليه فى غرفة المكتب تيقنت أن التوتر الذى تسلل لقلبها خلفه شيء ما مخفى فى سر غلق الغرفة بهذا الشكل مرة أخرى وخرج الشاب من خلف الستارة قائلا فى مرح: لقد أوشكت أن أموت هنا خلف الستارة ،فأخبره (ماك) بداية أن يبدأ فى تجربتهم قبل أن يقتحم أحدهم خصوصيتهم مرة أخرى ،أطفأت الأضواء وظل ضوء القمر الوحيد الشاهد لهما وأطلق دخان الغليونة فى وجهه...

******

فتح الصبى عينه فوجد إمرأة تجلس بجواره تتطلع إليه , رأته ينظر إليها فأشاحت بوجهها بعيدا تشير الى أحدهم فاقترب من وجهه الشيخ عارف ضاحكا قائلا : حمدا لله على سلامتك ،نهض الصبى برأس متثاقلا يكاد يرفعه بالقوة ساعده الشيخ عارف على النهوض حتى لفت نظر الصبى حوله فلم يجد سوى تلك المرأة تقف بجوار شعلة من النار فى إحدى الصفائح ودولاب للملابس بجواره السرير الذى يجلس عليه والشيخ عارف فقاطعه الشيخ قائلا أن الرجلان الذان أتيا معه بخير فى الخارج مع باقى الرجال.. اطمأن الصبى وتنهد فى ارتياح فأشار الشيخ عارف الى زوجته أن تحضر للصبى طعاما ساخنا وكأس من الشاى ثم ربت على كتف الصبى قائلا أن عليه تناول طعامه على مهل سيكون بانتظاره بالخارج مع باقى الرجال ،أتت زوجة الشيخ عارف ووضعت الطعام أمام الصبى وكأس من الشاى قائلة: تناول طعامك جيدا سأكون بالخارج إن احتجت شيء ما أن خرجت حتى انهال الصبى على الطعام , لاحظت المرأة مدى الجوع الذى يفتك بالصبى حتى كاد أن ينهى أحد الأطباق قبل أن تخرج فذهبت الى المطبخ وأحضرت طبقا آخر

ووضعته أمامه وربتت على ظهره , شعر الصبى بالحرج لكن عينان المرأة المبتسمة أزاح ذلك الحرج قليلا وعاد يلتهم طعامه،جلس مجموعة من الرجال لا يزيد عددهم عن عشرة فى حلقة مستديرة على الأرض حول موقد صغير من الفحم المشتعل فوقها أبريق كبير, مد الشيخ عارف يده إليه وقام بصب الشاى فى الأكواب ثم يمررها أحد الرجال بجواره الى أصدقائه حتى أصبح الشاى فى متناول الجميع ثم زود الأبريق بالماء وأعاد وضعه على النار مرة أخرى ,ارتشف الشيخ رشفة ثم بدأ الحديث بينه وبين الرجال كل منهم يحكى عن صراعه فى الحفاظ على أرضه والآخر يحكى كيف تلقى خبر وفاة زوجته وأولاده تحت قذف المنازل والآخر اشتياقه لأولاده الذين هاجرا الى مصر والآخر كان خارج البلاد وحين عاد لا يعلم الى أين ذهبت زوجته وأولاده, ظل يبحث عنهم بين مخيمات اللاجئين فى الأردن وفى القرى حتى فقد الأمل أن يكونوا قد دفنوا مع من دفنوا بعد الاستيلاء على الأرض وأخرون لا يملكون أسر أو عائلات بعد التشتت فوهب نفسه للدفاع عن أرضه حتى يحين الأجل ثم بدأ الشيخ عارف يحكى لهم كيف التقى بهم ومواجهته للموت وحرصه على حماية الأهل من العصابات وتدعيمه للثوار بالمال والسلاح والمأوى فى بيته تحت الأنقاض , خر الصبى إليهم وجلس بجوار أحد الجدران بعيدا يستمع لهم كان يشاركهم قصته بينه وبين نفسه ،استطرق (ماك) السمع لهؤلاء الرجال التى تذف أعينهم الدموع على ما وصلوا إليه رغم أن الأجواء كئيبة حزينة بأحوالهم إلا أنه أحس بالدفىء الذى افتقده بعد وفاة أمه ووالدته والسيده (أوليفيا) .. شعر بين هؤلاء الغرباء بألفة أقشعر لها جسده يستمع الى معاناتهم من اليهود والبريطانيين والحكام العرب الذن أخلوا أيديهم عن قضيتهم فلا يعبأون الى أخوانهم الملقون فى السجون وسياسة جاتويسكنى التى تعيث فيهم فسادا أمام العالم فصم العرب أذانهم كبريطانيا التى أشاحت نظرها عن الأمر فسياستها لم ترحم هذه الأرض منذ انتدابها واعترافها بحق اليهود فى الأرض وأكاذيب الكتاب الأبيض

فى الحفاظ على أراضي العرب لأهلها أمام العالم وهم ينزعون ملكية الأراضى بالقوة بأموال اليهود التى تسعى بشراء الأراضى مهما كان الثمن أو سرقتها بالإجبار برفع الضرائب أو بسجن أصحابها،لم ترفع بريطانيا سلاحها فى وجه الحق قط بل استباحوا دم العرب فى فض النزاع بين اليهود والعرب فى حادثة البراق فلم يجدوا فلسطينيا تجرى أمامهم إلا خضبوا الأرض بدمائه ،فجأة ترأى للصبى ذلك الرجل الذى تسمرت عيناه مقتولا فى إحدى المعارك وهو صغير حتى فقد وعيه من الخوف، مد الصبى يده الى حقيبته الملازمة له آخر عدة أوراق وقلم وبدأ يرسم ،انتبه له (ماك).. كاد أن ينهض نحو الصبى لولا أن صدر من أحدهم قولا فى غضب أن فلسطين أحب الأراضى الى اليهود الألمان المهاجرين من اضطهاد هتلر الذى يعد أكذوبة كبرى نحن فقط نريد أن نعيش فى أمان لا نريد الحرب نحن مسلمين لم يأمرنا الله بأن نعتدى على أحد كما يعتدون منذ نعومة أظافرهم على دول الشرق تحت مسمى المستعمرات ونظرتهم الحقيرة الى الشعوب الأخرى لن تتغير أبدا مهما كان الزمن ..هؤلاء يزرعن فى أطفالهم مدى عظمة المملكة البريطانية وقوة الدول الأوروبية ومدى تخلفنا وضعفنا ولا يدركون أن سلامنا وإسلامنا لا يعنى أبدا ضعفنا بل قوة قلبنا على تحمل أعمالهم البغيضة التى تلوث التاريخ بدماء ضحاياهم فقد اجتمع العرب على سن القوانين العادلة مع بريطانيا لكنها ردت بتحطيم البيوت على رؤسهم واغتيال مجاهديهم والعقاب الجماعى فى القرى ،أوقفت تلك الكلمات قلم الصبى الذى تذكر تلك المآزر التى رأها فى القرى المجاورة حين أصيب فى رقبته وكاد يفارق حياته ،أخذ (ماك) كوب من الشاى واقترب من الصبى ومد له يده به أخذه الصبى ووضعه بالجوار ثم جلس (ماك) بجواره أردف الصبى فى سخرية قائلا : أكره كلمة صداقة حين تتحدث بها ألسن الحكام العرب فصداقتهم وباء تقتل شعوبهم ،دب الخوف والخجل فى قلب (ماك) هؤلاء اجتمعوا على كره أرضه.. ماذا إن وضع نفسه مكانهم وفقد عزيزته (أليكس) بسبب سياسة دولته

فسيكره بريطانيا حق الكره رغم حبه الجم لها ولكن ليذهب حب الوطن للجحيم حي تمتد يده لتقتلنا،أردف الصبى قائلا : قسموا الأرض ..أعطوهم أجمل مافى أرضنا وأعطونا أقحط مافيها وتحولنا الى لاجئين بعدما كنا أصحاب الدار فلم يكن أمامنا سوى هذا (أمسك الصبى سلاحه)حتى أصبحت القدرس فى قبضتنا ،عاد (ماك) يستمع الى مايقوله الشيخ عارف عن هجره ابنه مع أعمامه ثم عاد يتأمل ما يفعله الصبى اندهش من براعة الصبى فى الرسم.. رسم فتاة فى غاية الجمال فأردف يسأله إن كانت تلك الفتاة الرائعة أخته.. هز الصبى رأسه نافيا قائلا أنها فتاة ألتقى بها أثناء درسته فى مصر يرى فيها نفسه؛ وحدتها وصمتها وشجاعتها وقت الحديث أحببها كثيرا حتى ظن أنها من فلسطين فحين عاد لم يترك مدرسة فى ضيعته إلا وبحث عنها فيها يرى وجهها فى وجه كل فتاة يراها فجأة أصبحت الفتيات تقتبس من ملامحها أشكالهن أليس هذا غريبا؟!أن يحب مثلى فتاة مجهولة مثلها ،لم يجد (ماك) جوابا له فأردف الصبى قائلا : أخى أخبرنى ذات يوم قبل موته أنه أحب فتاة حسناء فى المدرسة.. لم أصدقه فالرجال عادة لا يفكرون فى الحب إلا حين يقترب سنه من الزواج وفى الغالب لا يتزوج أحد من يحب ،ما رأيك كيف يكون شكلها الآن؟ لم أراها منذ أن كنت فى السابعة أو الثامنة من عمرى تقريبا أترى أن عيونها ربما قد اتسعت قليلا وشفتاها كبرت قليلا وامتلأ وجهها وطال شعرها أو ربما تغيرت تماما فأنا قد تغيرت ملامحى تماما منذ أن كنت صغيرا ،أخشى أن أراها يوما ولا أتعرف عليها وأنا أرسمها يوميا! تصفح (ماك) بعض الأوراق فالحقيبة مليئة بوجه تلك الصغيرة ..لمحه الصبى وهو يتأمل الرسومات واحدة تلو الآخر فأردف قائلا : أحن الى ذلك الهدوء والأمان النفسى ..أرى فى ملامحها الملائكية ملاذا لى من الشقاء الذى أراه كل ليلة , لعنة الله على بريطانيا وأعوانها لولا ما تفعله الآن لكنت فى مصر وربما الحرب هى من دفعت بى الى مصر.

اضطرب قلب (ماك) حين سمع لعنة الله على بريطانيا حتى كادت الدماء تندفع من وجهه , أردف الصبى قائلا : أتدرى ماذا اسميتها؟...قلب الصبى الأوراق وأخرج إحدى الرسومات رسم وجه الفتاة والنص الآخر المتمم لوجهها رسم المسجد الأقصى مد يد الى (ماك) بالرسمة قائلة اسميتها الياء فهو اسم قديم لبلادى فهى مثلها تماما جميلة كالقدس حزينة كتاريخها وحيدة كأهلها ، شتت حديثهم صوت هارون صارخا : لن نقبل بالمعاهدات بعد الآن ، ابتسم الصبى ساخرا فالتفت إليه (ماك) متسائلا : عن أى معاهدة يقصد هارون!؟ أخبره الصبى أنهم سيعقدون معاهدة قريبا هكذا دائما يشعلون نار الحرب ثم يدعون لعقد المعاهدات والاتفاقيات للصلح ويماطلون فى الأمر حتى يستنزفوا ثروات الأرض وخيراتها ثم يرحلون فما دامت القوة فى قلب الشر لن يكون هناك سلام أو حرية لكن إذا تطاحنت القوى ربما نجد ملاذا من بريطانيا وأمثالها لكن لن نجد ملاذا من اليهود ونجاستهم .

قاطعه (ماك) قائلا : أنتم تحملون الشجاعة فى قلوبكم ألا يكفى ذلك لتنال حريتك!؟

ألم تسمع أن القوة تغلب الشجاعة دائما ،أمسك (ماك) بيد الصبى قائلا: الشجاعة لا تغلب إلا إذا تخلل فيها الإيمان الضعيف.

هزت تلك الكلمات تفكير الصبى الذى تقلب وجهه ..يعيد ترديدها على عقله ،فجأة أوقفه سؤال (ماك) لماذا لا تهاجر من أرضك كالمهاجرين؟

أشار الصبى الى الأرض قائلا : تلك التراب الذى نخطوه هو رفات أجدادنا الطاهرة لا يجب أن يدنس والى أين أهاجر!؟ العالم رغم وسعه يضيق فى صدرى ووطنى رغم صغره يتسع فى صدرى ..أنا أرى حريتى هنا (أشار الى قلبه) حين يشعر هذا بالانطلاق ،حين هجر سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من وطنه ..هرب من الظلم حزينا لكن حين عاد, عاد منتصرا تغمر السعادة قلبه ،من هاجروا الآن لم يهاجروا

كرهـا لأرضـهم بـل ليعـودوا أقويـاء أسـياد.. الأرض ومـن فيهـا ،شـعر (ماك) بالخزى أمام فصاحة الصبى الذى انشغل بالصورة قائلا : أرجح أنها مصرية أليست خيانة أن تحب فتاة لا تنتمى الى وطنك؟! لكن مصر تعد وطنى أيضا تلك الأرض التى لا تقل غرابة عن وطنـى مزجت من مكونات يصعب فهمها يفوح منها روح دافئة تشعر أنك فى وطنك ماعدا أغصـان الزيتـون, يجـرى فـى عروقنـا أغصـان الزيتـون ويجـرى فـى أرضـها النيل فتلك الأرض أيضـا مقدسـة كأرضـى ..نظـر الـى الرجـال الجالسين قائلا : هؤلاء الذين يدفعون أرواحهم ثمنا للحرية وتدفع بجثث أبنائهم فى التراب تدفع ثمن غباء السياسة وأطمـاع الحكـام المشتعلة فـى صدورهم هؤلاء يتناسى ذكرهم التاريخ ويذكر فقط الزعمـاء يجعل من المجرمـون رؤسـاء وزعمـاء وقـادة ويصـنع منهم صـفحات من التـاريخ بينمـا يجعل من المظلومـون كلمـة واحدة متكررة لا يعبأ لهـا أحد حين يكتب ثارت الشعوب لكن لا أحد يعبأ بما ثـارت أو كيف ومـا عانتـه فـى الثورة ، طرأ (مـاك) خـلا يفكر فـى استصـغار لنفسـه ولفكره يكتب فـى روايات الحب ؛ عن الحب المستحيل والحب من طرف واحد وتضحية الأحباء وتقبلهم الموت بصدورمتسعة وقد تناسوا هذا الحب الذى يفتح فيه الحبيب صدره مرحبا بالموت تاركا أهله الذين قد يكونـوا سبقوا الـى الموت ،ذلك الحب من طرف واحد حين يحب الإنسـان وطنـه ويركلـه وطنـه ويهينـه وحبيبين لا يلتقيـان حين يحب الانسـان وطنـه ومنـع عنـه وطنه بـاحتلال أو حكومـة ظالمـة ..علاقة تلك الشعوب بأرضـها علاقة عشق ،أكمل الصبى قائلا : الأمة العربية الآن كتلة من المعاناه السياسية بسـبب تلـك الجحافـل والديـدان التـى تنخـر أصـلابها ..يزعمـون القـوة بالتنكيل العسكرى فى الشعوب لا أدرى كيف تفكر تلك العقول المريضة التى فرت من المصـحات العقليـة لتحكم العـالم كيف تركتهم المصـحات العقليـة دون الـزج بهـم فـى زواياهـا تعـالجهم مـن مـرض سـفك الـدماء والعظمـة.. تلـك عقـول إجراميـة وقلـوب شيطانية ستلعن من كـل عقـل يعرف الحقيقـة بين ثنايـا سطور التـاريخ ومـع الأسـف ستعظم للجـاهلين

،سيقولون يوما أنظر الى أوروبا وعظمتها وتقدمها ولا يدرون أنها بنيت على جثث أجدادهم ودماءهم،وتلك الدماء التى طفحت بها الأرض فى الحرب العالمية حتى كاد الأرض تبكى والتاريخ يعجز عن تدوين ما حدث وربما يأتى يوما يطوى فيه التاريخ صفحاته عاجزا عن تسجيل مايحدث،كم أكره سياسة أوروبا وبالأخص بريطانيا.

أردف (ماك) مرتعشا تكاد الكلمات تخرج منه قائلا: ليس كل بريطانيا تؤيد الحرب ربما هناك صغيرا مثلك يحتضن أخيه الصغير خوفا .

قال الصبى فى حزم : على الأقل يستطيع احتضان أخيه أما أنا فلا ، تسمر (ماك) مكانه لم يستطيع النطق بحرف بينما نهض الصبى الى الخارج فى حديقة المنزل الخارجية أغمض عينيه.. رفعه رأسه الى السماء متنفسا بعمق ثم حبس أنفاسه ثوانى وأخرج زفيره ببطىء كرر ذلك عدة مرات ثم أردف قائلا بينه وبين نفسه : مازالت أنفاس الأرض حزينة ذلك المسك اختلط بالغبار والدماء ورنين الكنائس وأذان الفجر مختلط بصرخات الأبرياء , فجأة أذن المؤذن لصلاة الفجر ,فجأة تفاجىء (ماك) بيد الشيخ عارف الذى خرج من المنزل لصلاة الفجر يرتب على كتفه قائلا : هيا لنفتح المسجد لنؤذن لصلاة الفجر،مضى ثلاثتهم الى مسد القريه.. فتح الشيخ عارف باب المسجد ..وقف (ماك) متأملا ذلك المبنى الذى يبث فى نفسه الهيبة والقشعريرة ...هم بالدخول فوجد الصبى يخلع نعليه فتعجب للأمر فقام بخلع نعليه أيضا منتظرا ماذا يفعل بهما فوجد الصبى قد وضعهم بالجوار بجانب باب المسجد ففعل مثله،اتبع الصبى الى داخل المسجد تلألأت عيناه لتلك النقوش الرائعة على جدران المسجد وذلك الارابيسك الرائع المزخرف للجدران وتلك الزجاجات المتدلية من أسقف المسجد مزينة برسوم من الكلمات العربية بعرض الزجاجات والآخر بطولها رائعة المنظر،تفوح من المسجد رائحة لم يألفها أنفه من قبل لكنها أثارت شعور غريب فى نفسه الى جانب تلك الروح الهادئة الجليلة التى تفوح من أركانه تلك الروح

الجليلة ربما هى من تدفع (أليكس) زوجته الى الذهاب للكنسية دائما لكن نفى برأسه الأمر فهو لا يعلم إن كان ظنه صحيحا فلم يرتاد الكنيسة منذ أن ماتت والدته ويوم زفافه فقط، ظل سابحا بروحه فى المكان الي أن جذبته يد الصبى قائلا : الوضوء من هنا.

ردد بينه وبين نفسه الوضوء؟! ماذا يعنى ذلك أتلك الصلاة التى نصليها لكنه خشى أن يسأل فيعلم الصبى أمره ،اتبع خطوات الصبى التى سبقته الى الداخل.. دخل من باب داخلى للمسجد يطل على غرفة كبيرة مكشوفة السقف يربط بينها وبين المسجد طرقة قصيرة صغيرة تحتوى الغرفة المكشوفة على أربع حمامات وطنبور لضخ الماء ..وقف الصبى ممسك بمقبض الصنبور يدفعه فخرت الماء ..وقف الصبى متعجبا الى (ماك) الذى وقف متسمرا مكانه قائلا: ألن تتوضأ؟!! ،تنحنح (ماك) متحججا أنه سيدخل الى الحمام أولا أشار له الصبى الى احدى الحمامات دخل (ماك) وأغلق الباب لكنه عاد وفتحه ببطىء يرى ماذا يصنع الصبى الذى وقف حائرا لكن سرعان مادفع الماء ثم أسرع لالتقاطه وبدأ يتوضىء ظل يحفظ حركات الصبى الى أن انتهى ..وجد الصبى واقفا بانتظاره خلف مقبض الصنبور فخر

إليه مشمرا عن ساعديه وقدميه ..أمسك الصبى مقبض الطنبور وبدأ يتوضأ كما فعل الصبى بدأ الماء يتدفق ما إن لامسته يده حتى أثلجت الماء جسده الدافىء , أصدر صوتا معبرا عن برودة الماء فنظر الى الصبى الذى أخفى ابتسامته عنه تسمرت عينه على الصبى الذى بدا أجمل وأخف روحا حين ابتسم لمحه الصبى ينظر إليه فتوقف عن الابتسامه , تحرج (ماك) وتنحنح وأكمل وضوءه ، فجأة سمع صوتا أوقفه مكانه لاحظ الصبى ذلك فقضب حاجبيه متعجبا قائلا : وكأنك لأول مرة تسمع صوت أذان الإقامه!، خاف (ماك) واحمرت وجنتاه فحاول إخفاء ذلك الشك الذى تسرب الى الصبى قائلا : أنه فقط أثار فى نفسى شعور غريب فى الحقيقة لم أصلى منذ كنت صغيرا بصحبة

والدتى في الك....كاد أن ينزلق لسانه الى ذكر الكنيسه فأمسك لسانه عن الحديث فأردف الصبى قائلا فى تشجيع : على الأقل أنت لم تنسى الوضوء هنيئا لك هيا بنا نسرع للحاق بالصف الأول.. لاحظ الصبى تعجب (ماك) حين ذكر الصف الأول فتنهد فى عمق قائلا له أن يتبعه فقط،عادا الى داخل المسجد فأوقفه تدفق الشباب والرجال يصطحبون صغارهم الذى يختلف أعمارهم فأصغرهم طفلا فى الرابعة من عمره تقريبا ..أدهشه فمثل هؤلاء الصغار ينعمون الآن بدفىء أغطيتهم وقبلات أمهاتهم فى بريطانيا نظر الى عيون الصغار فلم تكن ناعسة أو كمستيقظه من النوم للتو أو باكية أثناء الاستيقاظ بل كانت يقظة متفتحه مرحبه سعيده يسبقون خطوات أباءهم.. يقودوهم الى داخل المسجد حتى أن بعض الصغار تركوا يد أباءهم وأسرعوا بحجز مكان بين المصلين ،همس له الصبى بأن يسرع للجلوس بجانبه ظل يتأمل المكان قائلا: الأمر يستحق العناء أن تستيقظ الصغار والكبار للصلاة ؟ ابتسم الصبى قائلا : حين نصلى نبعد تلك المسافات الطويلة التى بين قلبنا وبين الله.. فيزيد الإيمان

ردد هامسا : الإيمان؟! مامعنى الإيمان أوقات تعنى لى الثقه

كلما قل الايمان أو القرب من ربى زاد قلبى خوفا من كل شىء حتى البعوض ،الايمان هى كلمه مجمعة بكل شىء قوى فى العالم ثم تنحنح الصبى هامسا له فى أذنه : لا تخبر أحد أنك لم تصلى منذ كنت صغيرا ثم سأله إن كان مازال يحفظ أيات من القرآن الكريم للصلاة فأقشعر جسد (ماك) ودب فيه الزعر وتصبب عرقا فعلم الصبى الإجابه فأخبره أنه سيعلى صوته فى الصلاة وعليه أن يقلده ولا يقل شىء خلف الإمام إلا إذا وجد الصبى يرددها فيرددها مثله ،هز(ماك) رأسه بالإيجاب.. أتى الشيخ عارف وأمرهم بالاصطفاف والاستواء ،وقف الصبى فاتبعه (ماك) وظل يراقب ما يفعله بطرف عينه , فجأة وجد طفلا صغيرا يلتصق بقدمه لا تكاد قامته تصل الى ركبته وبجواره من الجهة الأخرى

يقف أباه.. وجد أن الصبى أيضا ألصق كتفه وقدمه به بدا ينظر الى الصف الذى يقف به والى الصفوف من الخلف فوجد المسجد قد ملىء بالأطفال والرجال والشيوخ تتعرج استواء الصفوف بالأطفال كنبضات قلب متذبذبة الارتفاع فتعجب لذلك المزيج والاحترام بين الكبار والصغار لا فرق فى الصلاة بينهم وفى نهاية الصف يتصارع بعض الصغار للاصطفاف فى نهاية الصف الأول فتنحنح لهم الشيخ عارف فوقفوا فورا صامتين إعطاهم الشيخ عارف ظهره.. ورفع كفيه الى رأسه قائلا : الله أكبر.. فرفع الجميع أيديهم مرددين مثله , وقع سمع تلك الكلمة على أذنه كالصاعقة مزلزلة كيانه الداخلى فاضطربت أنفاسه كأنه ينقل حجارة من مكان لآخر ..تابع الشيخ عارف قرآءة القرآن ثم نطق الجميع.. فجأة آمين بصوت شعر بها أن العالم يصطف خلفه حين ردد آمين فاضت من عيونه الدموع لا يدرى سبب لها , خاف آن يرفع يده يسمح دموعه فيشذ عن المصلين فى شىء وينكشف أمره ثوان.. عاد الشيخ وكبر فركع الجميع وأعد وكبر فرفع الجميع رؤسهم حامدين وكرر تكبيره فسجد الجميع واضعين رووسهم على الأرض , أطرق السمع للصبى فوجده يسبح كلما فتح فمه ليسبح أخنق بكاء كلماته فى حنجرته فيشعر بالألم.. حاول التماسك وابتلع ريقه وردد كلمات الصبى وفى التشهد رفع أصبعه الأيمن كالصبى لكنه لا يسمع ما يقوله الصبى ليردده فظل رافعا أصبعه لا ينزله.. لاحظ الصبى ذلك فأعاد النطق بالتشهد بصوت عالى وبتأنى فردد وراءه كان التشهد على لسانه كأنه ينقل حجارة من مكان لآخر كلسان لم يتذوق طعم قول الحق قط وبدا يتلذذ به حين نطق به ذلك الاتساع الذى شعر به فى قلبه كانت رئتاه لم تتنفسان من قبل ذلك النور الذى أضاء فى قلبه كظلمة دامت فوق الخمسين عاما وفى خريف الحياه أضىء فيه مصباح من تلك الكلمات التى لا يفهم معناها ..تنفس فى عمق فانشرح صدره وألقت بالأحمال عن مناكبه وبالكاد أنهى تشهده وشرد بخياله عنها عن تكملة التشهد لا يعني الى أين توقف أو توقفت به تلك الكلمات فجأة وجد الصبى ينظر

باتجاهه قائلا : السلام عليكم ورحمة الله ثم نظر الى الجهة الأخرى مرددا السلام.. فعل مثله واعتدل فى جلسته حتى استراح وأرخى جسده المتوتر.. أردف الصبى يخبره بصوت حزين أنه لن يظل فى صفوف هؤلاء المجاهدين مرة أخرى ،نظر إليه (ماك) يستمع الى سبب ذلك القول فأكمل الصبى أن عمه هارون يريد إرساله الى مصر أو بلاد المغرب لأصدقائه هناك ليكمل دراسته بعيدا عن الجهاد فيكفى ماعاناه وتعريض حياته للخطر ،فالقلم هو السلاح الذى لا يؤذى لكن يحرر الشعوب ويؤذى الجبابرة ،لكن الأجواء فى مصر لا تسير على وتيرة واحدة لكنه على الأقل سيرحل الى المكان الذى لقى فيه راحته مسبقا، بدت ملامح اليأس على الصبى كأن الدنيا ألقت بأثقالها على كاهليه قائلا: لا أظن أن العالم يتغير بجرة قلم

اقترب (ماك) من وجهه محفزا : ربما لا تستطيع تغير العالم لكنك تستطيع تغير واقعك وتنبه أذهان العالم لفكرتك ،ربما يأتى زمن لا قيمة فيه لعلمك وتصير لغة الحديث.. السلاح لكن الحريات مقيدة بعدة أقلام سياسية ومن يدرى ربما تكون أنت أحد هؤلاء الأقلام وتخط بقلمك ما يغير تلك الاوضاع وتخرس الغوغاء التى لا تحسب لحريتك حسبانا وتغير العالم ،شعت شمس الأمل فى نفس الصبى الذى أكد قول (ماك) مرددا أنه ربما يتحول كهدهد سليمان ونملته ..تعجب (ماك) من الأمر ممطرا السمع للصبى حين أكمل قائلا : ذلك الهدهد الصغير استطاع تغير إيمان مملكة ومستقبلها وتلك النملة استطاعت تغير مسار جيش نبى من أنبياء الله.. تلك الكائنات غيرت من التاريخ ما غيرت دون قلم فما بالك إن امتلكت قلمى وشجاعتها نظر الاثنان الى بعضهما مبتسمين ثم نهضا ليعودا الى منزل الشيخ عارف قبل شروق الشمس وقف (ماك) يلتقط حذائه وخلفه الصبى , فجأة انهار كل شىء بقذيفة أطاحت بالجميع أرضا فتح (ماك) عينه فوجد نفسه ملقى على الأرض بين الحطام تتساقط على عينه الدماء وأمامه تتدلى يد الصبى غارقة بالدماء وقد اختفى جسده تحت الانقاض، فجأة انتفض من مجلسه مضطرب الأنفاس

شاهقا ظل يسعل واحتبست الدماء بوجهه باحتباس أنفاسه وما هى إلا دقيقة حتى عاد الى وضعه الطبيعى ..أسرع الشاب بإعطاءه كوب ماء ارتشف منه رشفه ثم صرخ الصبى مات !!!!!

****

تصلبت الاوصال وخيم الصمت على المكان ناظرين الى الارض فى سهاد عميق قطعه سؤال الشاب إن كان قد تأكد من موت الصبى حقا تحت الانقاض ،هز (ماك) رأسه نافيا فقد اختفى جسده تحت الانقاض لكن لا يعلم إن كان ميتا أم مصابا لكن رؤيته بتلك الوضعية توحى أنه قد مات ،وقف الشاب يتنفس الصعداء متفاءل أن الصبى لابد أن يكون على قيد الحياة ثم أردف يسأل كيف كان شكل الصبى ؟بدأ (ماك) يصفه له ؛ صبى متوسط القامة متين بعض الشىء عيناه ..فجأة صمت (ماك) ونظر الى الشاب مدقق فى ملامحه قائلا : إنه يشبهك كثيرا عيناه مثلك بأهداب جميلة لكنه أسمر البشره قليلا عنك, الفرق بينكما أنه صبى وأنت شاب ،ابتسم الشاب قائلا أنه لم يموت بعد, أنا متأكد..كم اشتاق الى ذلك الصبى !،تعجب (ماك) من كلامه متسائلا إن كان يعرفه فأخبره أنه يعرفه منذ بداية تجربتهم فالسيد (أرثوفيتش) هو من وثق علاقته بالصبى ،فجأة شعر الشاب بالتعب قليلا فاستأذن للمغادره الى غرفته كاد (ماك) أن يلحق به متسائلا ما الذى يشعر به بعدما لاحظ أثر التعب عليه لكن الشاب أسرع الى غرفته وأغلق باب الغرفة بإحكام فى صداع شديد كاد أن يفتك برأسه ،طرق (ماك) الباب عدة مرات يطلب منه السماح له بالدخول لكن الشاب لم يعبأ له وغاص به الألم ،أدرك أنه يعانى من نفس الصداع الذى عانا منه سابقا فذهب الى صندوق الأدوية وأحضر بعض الأقراص المسكنة وعاد الى طرق الباب طالبا منه أن يفتح الباب لكن الوضع مستمر كما السابق فأخبره أنه سيضع الدواء على الأرض أمام الباب ،راقبت (أليكس) عودته بخطوات متثاقلة متعرجة بعض الشىء الى غرفة المكتب فى ذلك الأثناء كان يشعر أن

النيران توقد فى صدره ..سقط على الأرض بأنفاس متقطعة وقلب مضطرب وسدا يرتعش ..أصابه من الموت بأرودته ولسانه يتمتم لا.. ليس الآن ..لا أستطيع الرحيل الآن .. أمهلنى القليل بعد يا الله.. فجأة بدأ الألم يختفى رويدا رويدا ..وتعود أنفاسه منتظمة الى صدره لكنه بدا كمن يسرى المخدر فى جسده ويسحب روحه الى أعماق ويثق رأسه حتى بالكاد يستطيع فتح عيناه كان يصارع عقله ليبقى متيقظ لكنه استسلم دون إرادته لنوم عميق ،مكث يفكر فى تلك التربة التى توغل فيها بعقله وبإيمانه يدون ما يراه ولا يهتم بكل تفاصيلها كأنها أمر لا يعنيه ،هذا الصبى الذى لقى حتفه تحت الانقاض قد اتخذ من قلبه مكانا.. لا يصدق أنه حقا قد قتل وماذا بعد مقتله ..هل سيتوقف الأمر الى هذا الحد هل ستتوقف التجربة لكن الشاب لم يخبره شيئا عن ذلك بل هز كيانه حين علم أنه مات وتلك الجملة التى خرجت من شفاهه دون أدراك لا أجد لها تفسير ..تردد فى أذنه كم اشتاق لذلك الصبى ، ما الذى يعنيه بذلك لا أظن أن هناك رابط يجمع بينهما فذلك الصبى فى الخامسة عشر من عمره تقريبا وذلك الشاب فى العشرين من عمره ثم أن الفرق بين تلك الفترة الزمنية التى يعيش فيها الصبى والوقت الحالى يتخطى ال ٩٠عاما وتلك تقريبا نفس الفارق العمرى بينهما ،فما الرابط الذى يجعله يقول ذلك ..ربما لم يعنى بكلمته الاشتياق للصبى نفسه وإنما حكايته التى أتى بها من الماضى ..فأنا أيضا أشتاق لهذا الصبى وأرجوا ألا يكون قد مات حقا لكن ما رأيته لا يغيره الرجاء،سقطت عينه على كتاب بعنوان (إرهاب الشرق الأوسط) نهض وقام بإحضاره ثم جلس على الأريكة يقلب أوراقه ..يتذكر مدى المقت والغضب الذى اعتراه حين قرأ هذ الكتاب من العرب والمسلمين حتى أنه تمنى أن يغمض عينه ويفتحها فيجدهم.. قد تمت إبادتهم الى الأبد ليتخلص منهم العالم ومن فكرهم العقيم ،من دينهم الذى يحجم عمل المرأة ويضع لها القوانين وعن الرجال الذى يبيح لهم سفك الدماء تحت راية الجهاد لكن ما قرأه فى الكتب مغاير لما رأه فى الطبيعة ، فتلك الروحانيات التى لمست قلبه

وأرجفته أجلالا وذلك اطمئنان حين سجد وكأن العالم تصاعد على أكتافه ثم أزيح كأنه لم يكن فى سجدة واحدة ، وتلك الرجة التى زرفت الدمع من عينه حين آمن الجميع ..خلف الشيخ عارف فشعر كان جدران العالم تهتز ..أمعن التفكير وبدأت فكره أنكار الإله تتغير فحمل نفسه وارتدى معطفه وخرج بسيارته مسرعا حتى أرسى به المسير الى الكنيسة التى تذهب إليها (أليكس) لصلواته دائما ..وقف بسيرته أمامها كان الليل قد حل وبدأت الثلوج بالهطول تنهد فى عمق قائلا لنفسه : ما الذى تفكر فيه ؟ ما الذى تظن أنك ستسده هناك؟، أغلق معطفه وخرج من سيارته مسرعا الى الداخل ،كانت الكنيسه فخمة فى غايه الرونق والرقى ما إن دخل المدخل الرئيسى المؤدى الى قلب الكنيسة حتى تمعن بانظاره الجدران والأضواء المعلقة بها والرسومات الملونة على الزجاج رفع رأسه ..يرى السقف الملىء برسومات والبعض الآخر مزخرف بشكل جذاب تفقد الى داخل الكنيسة حيث المقاعد المرصوفة على الجانبين والشموع المشتعلة بالجوار وفى الجهة الأخرى غرف الاعتراف والغفران إحدى الغرف مضاءة بنور احمر فأحدهم يدلى باعترافه ويطلب المغفرة بالداخل ،تفقد الى الأمام حيث المسيح المصلوب وإكليل الورد المفروش على الطاولة تحت قدميه وبجوارها الكتاب المقدس ،اقترب وهو ينظر إليه بتمعن الى طوق الأشواك الذى يعتلى رأسه التى تدلت لأسفل ..أخرج يديه من معطفه وقد شعر بدفىء الكنيسة من الداخل ،كان الدفىء يتخلل جسده فتمنى لو أن ينام هنا فى ذلك الدفىء الهادئ ، وتصلبت عيناه وعقله عن التفكير ..فجأة جاء صوتا من الخلف مرحبا فالتفت وقد بدا عليه الشرود حد الفزع من صوت القسيس فابتسم معتذرا لأفزاعه بتلك الطريقة ، ابتلع (ماك) ريقه وهز رأسه نافيا ذلك لكنه وقف دون كلمة ينظر الى الأرض ، تعجب القسيس وظن أنه محرج من أمر ما فاقترح عليه أن يذهب الى غرفة الاعتراف إن أراد ، نظر إليه (ماك) ثم الى الغرفة ثم تقدم إليها فتح إحدى الغرف وأغلق الباب عليه ثم جلس على الكرسى ..فجأة أتاه

صوت من الجهة لأخرى يسأله ما شكوتك ؟،ظل (ماك) صامتا لا يدرى ماذا يقول فأعاد الصوت نفس السؤال بصوت عالى ،فأردف يقول: لما يتخلى عنا الله عند احتياجنا إليه كأنه غير موجود ثم يظهر مرة أخرى فى وقت لا نحتاج فيه ؟..تعجب الصوت متسائلا : ماذا يعنى بذلك فالله دائما موجود ، نظر (ماك) الى الأرض فوقع نظره على حذاءه فرقع رأسه باتجاه الصوت قائلا : الله لم يكن موجود حين ماتت أمى وتركتنى وحيدا ولم يكن موجود حين قتل أبى ولم يساعدنى حين قضيت أسوء أيام حياتى وحيد خائفا.. أتعايش مع الحياة وحدى ولم يساعدنى حين مات طفلى الوحيد ولم يرزقنى بآخر والآن أيضا قد تخلى عنى وأنا أنهار ..إذن أين هو هذا الإله الذى لا يشفق على ولو قليلا ؟

بدا على الصوت الغضب قائلا : هو دائما موجود أنت لم تصلى إليه حتى يساعدك ، فأردف (ماك) متسائلا : وهل لا يدرى الله ما يحدث معى حتى ينتظر منى صلاة ؟ ألا يكفيه شكوتى إليه ليلا ونهارا ..أيوجد الله فقط هنا فى داخل الكنيسة ولا يوجد خارجها حتى يرانى أعانى فى تلك الحياة البائسة.

صمت الصوت ثم قال : صلى إليه وسوف يساعدك واستغفر لتلك الأفكار السيئة التى راودتك فإنها من الشيطان.

غضب (ماك) قائلا: أصلى؟!

أيجب أن أدفع إليه حتى يساعدنى ؟..ثم نهض وفتح الباب فى عنف هاما بالرحيل , فجأة توقف ونظر المسيح على الصليب للحظة ثم أسرع خارجا... وركب سيارته وعاد الى المنزل ، فى ذلك الأثناء كانت تكتم صوت بكاءها فى الجهة الأخرى ثم فتحت باب الغرفة فوجدت القسيس أمامها متعجبا فاعتذرت منه بحرارة لأنها جلست مكانه تستمع الى الإعتراف ، ثم أسرعت الى الخارج فرأت (ماك) يغادر غاضبا سريعا بسيارته فركبت التاكسى الذى أحضرها وأمرته أن يعود بها سريعا ،

دخل الى غرفته فى زمجرة وغضب ..وقع عينه على الكتاب فالتقطه ووقع عينه على كلمة قد كتبها قديما حين قرأ الكتاب أول مرة على الغلاف الداخلى للكتاب (أنهم حقا إرهاب) فألقى بالكتاب على الأرض قائلا : لا أظن أن ذلك الصبى الذى قتل تحت الأنقاض إرهابى.

كان جسده مرهق ثم فجأة صدر طنين فى أذنه مثل ذلك الطنين الذى اقتحم أذنه وقت انطلاق القذيفة بالقرب منه على الجبل والإرهاق الذى تملك كل خلية فى جسده منذ سقوطه ورؤية الصبى تحت الانقاض.. تنفس الصعداء لعودته حيا لقد ظن أنه سيموت هناك فى ذلك العقد ولن يعود مرة أخرى ،صعد الى الأعلى فألقى نظره على باب غرفة الشاب.. وجد الدواء قد أخذ من أمام الباب فعلم أنه سيكون بخير قريبا ثم اتجه الى غرفته ما إن دخل حتى ألقى بنفسه على السرير دون تبديل ثيابه ثم أغمض عينيه ومضى فى ملكوت الأرواح حيث ترا أمامه رسومات هذا الصبى لتلك الفتاة ثم تردد على عقله.. وجه تلك الصغيرة التى تزوره فى أحلامه كانا متشابهين للغايه ثم ترأى إليه (ميلين) وضحكاتها فى المنزل بانتظاره أمام المقهى ثم ترأى إليه وجهها وهى تحمل النبتة بين يديها فى تلك الصحراء ..صورة متقطعه مثل البازل تترأى إليه فاضطربت أنفاسه وغمرالعرق جبينه فانتفض من نومه .. نظر حوله فوجد نفسه نائما بجوار(أليكس) التى تغط فى نوم عميق فالتفت إليها وضمها الى صدره ثم أغمض عينيه فى نوم مريح .

*****

بدا توتره فى التفاتة بين الحين والآخر إلى الأعلى ثم التقط فنجان القهوة يرتشفه وعيناه تنظران الى الأعلى فسقطت بضع قطرات على ثيابه فوضع الكوب من يده على الطاولة بسرعة والتقط منديل ومسحها قبل أن تحرقه ..التقطت (أليكس) كأس الماء وهى تسأل ما الذى يوتره الى هذا الحد فأنكر الأمر، ثم عاد نظره الى الأعلى مرة أخرى ثم سألها إذا كانت قد رأت صديقهم العربى خارج غرفته أمس فهزت رأسها نافية

فازداد توتره قائلا ولم ينزل لتناول الإفطار كالعادة ،وضعت (أليكس) كأس الماء بقوة على الطاولة حتى كاد أن ينكسر ثم سألت بغضب : الى متى سيظل صديقنا العربى هنا ..ألن يرحل الى بلاده قريبا، بدا على (ماك) الحزن ثم أخبرها أنه لن يمكث هنا طويلا فمدة إقامته شهرين فقط ثم سيرحل الى وطنه ولن نراه أبدا مجددا.

وضعت (أليكس) قطعة من الجبن فى فمها قائلة : حسنا فقد اقترب موعد رحيله إذن أنه هنا منذ شهر تقريبا ولكن متأكد أنه لن يأتى الى هنا مجددا ، فجأة صمت (ماك) وكأنه تذكر شيئا للتو ثم شرد بخياله بعيدا ،لاحظ (أليكس) الأمر كادت أن تسأله لكنه نهض مسرعا الى غرفة المكتب وما إن مرت دقيقة حتى خرج منها صاعدا الى أعلى حيث غرفة الشاب ،قام بطرق الباب عدة مرات لكنه لم يجد جوابا فوضع يده على المقبض ظن أن الباب مغلق كالسابق لكنه فتح و دخل الى الغرفة.. وجد الشاب نائما اقترب منه يتفقده , فقد كان يغط فى نوم عميق بأنفاس منتظمة فأخرج الظرف من جيبه ثم وضعه بجواره على المنضدة.. سحب نفسه بهدوء الى الخارج وأغلق الباب،استلقت (أليكس) تتمتع بأشعة الشمس فى الحديقة تتطلع الى إحدى الروايات فى يدها فتسلل نحوها فى خفة ثم همس فى أذنها قائلا: أتدرين أول شيء جذبنى الى تلك الفتاة الجالسة فى ذلك المقهى... روايتى التى تحتضنها كل يوم ولا تنتهى منها رغم قرائتها لها عدة مرات ،التفتت (أليكس) إليه مبتسمه قائله : تلك الرواية هى من جعلتنى أراك بقلبى ..أصدقك فى كل كلمة تكتبها هى جزء من شخصيتك حتى فى الشر تخشى أن تتوغل بالشر فى خلق شخصية يكرهها القارىء حق الكره , تخشاه كل هذا نابع من قلب لا يشبه قلب كاتب.. يكتب ما لا يشبه شخصيته فى رواياته لكن كلما قرأت رواياتك كلما عرفتك ،ابتسم (ماك) وجلس بجانبها متنهدا أدركت (أليكس) أنه يريد إخبارها بشيء ما فسألته ما الأمر ،احتضن يدها فى كفه ثم أخبرها أنه قابل (ويتنى) ،اندهشت (أليكس) وتداعبت الدموع بعينيها مرددة (ويتنى) ..عزيزتنا (ويتنى)؟! هز (ماك) رأسه مبتسم ثم

أخبرها أنه قابلها فى المستشفى وقد أنجبت (ماك) الصغير ..لكنها تعانى مرض ما بعد الولادة لكنها استطاعت تخطى مرحلة الخطر..ضغط على يد (أليكس) قائلا فى سعادة بالغه : لقد اقتربت منها لقد كانت بانتظارى يا (أليكس) لقد اشتاقت الى كثيرا.. لقد انتظرتنى طويلا..، وضعت (أليكس) الرواية على الطاولة بالجوار ثم قامت بضم (ماك) الى أحضانها قام (ماك) بإسناد رأسه على صدرها فهمست (أليكس) فى أذنه قائلة : نحن اشتقنا لها كثيرا يا عزيزى ،أردف (ماك) قائلا : أخشى أننى أسئت فهمها ..لقد عانت تلك الصغيرة كثيرا ، قامت (أليكس) بضمه الى حضنها مربتة على ظهره قائله : لا تقلق الأمور ستكون بخير ، قام بلف ذراعيه حول خصرها وقد فاضت دموع الفرح من عينه ثم طلب من (أليكس) أن تذهب أيضا لزيارتها فى المستشفى وتقوم باختيار هدية حين تذهب إليها ،هزت (أليكس) رأسها بالموافقة.

رن الهاتف فأسرعت (أليكس) تجيب ثم بدت السعادة على وجهها حين وجدت المتصل أختها (اميليا) أشارت الى (ماك) الذى يسترخى على الأريكه يحتسى قهوته أن يسرع ليتحدث إليها فى الهاتف ،نهض (ماك) وأخذ السماعة مرحبا ب(اميليا) ثم سألها كيف كانت رحلتها مع زوجها ضحك (ماك) متمنيا لهما السعادة ثم أخذت (أليكس) السماعة منه بسرعه متسائله ..عزيزتى متى ستعودين فجأة ..قضبت (أليكس) جبينها متعجبة قائله : أنت هنا؟! ثم نظرت الى (ماك) الذى تعجب أيضا فقد عادت (اميليا) قبل الموعد الذى حددته لقضاء شهر العسل ،ثم أردفت (أليكس) تخبر(اميليا) أنها ستكون بانتظارها على العشاء غدا ثم همست لها بصوت منخفض قائله : وسيكون عليكى أن تخبرينى سبب اقتطاع رحلتيكما فى شهر العسل ثم ضحكت (أليكس) وودعت أختها وأغلقت الهاتف ،اتجه (ماك) الى غرفة المكتب فلحقت به (أليكس) تخبره أن (اميليا) ستأتى غدا على العشاء فأخبرها أن عليها أن تعد شيئا شهيا لهذه المناسبة فأخبرته (أليكس) أن عليهما شراء زجاجتين من النبيذ الفاخر.. نظر إليها بتعجب فأردفت قائله أنها ستسمح فقط هذه المرة بتناول النبيذ

من أجل تلك المناسبه ثم صمتت قليلا قائلـه : أيمكنك فعلها؟ أدرك أنها تريد منه الذهاب لشراء زجاجتين النبيذ .

فى المساء نزل الشاب الى غرفة المكتب, طرق الباب وما إن دخل حتى نظر اليه (ماك) من فوق نظارته قائلا : هل تشعر بخير الآن؟؟ تقدم الشاب معتذرا عما بدر منه فقد كان مرهقا للغايه ..ثم شكره على الظرف الذى تركه له فى الغرفة ..تنحنح (ماك) معتذرا على تأخره فى دفع الراتب المتفق عليه لقد نسى الأمر تماما.. ساد الصمت بينهما , التقط الشاب كتاب ملقى على الأرض ثم وضعه على الطاولة فاعتدل اليه (ماك) متسائلا : لماذا تخلع الحذاء حين تدخل المسجد ؟

فأجابه لأنه مكان طاهر نظيف لا يدنس بالأحذيه ،هز (ماك) رأسه بالإيجاب ثم أردف يسأل : أين الله حين انهال بيته على ذلك الصبى الصغير؟ تعجب الشاب من السؤال ثم مضى يفكر فأردف (ماك) بسؤال آخر : أيجب أن تدفع الى الله حتى يستشعر بك وبآلامك..أهو فى المسجد فقط ؟

طرا الشاب يفكر فى إجابة لتلك الاسئله ثم قال : الحياة ليست إلا امتحان نمر فيه بمراحل صعبة عليك تخطيها إذا نجحت فقد فزت بالحياة الآخرة التى لا هم ولا حزن بها على الاطلاق .

تعجب (ماك) ثم سأل أتقصد العالم الآخر؟! إذن ذلك الصبى قد مات فى ريعان شباب ليختبره الله ؟! ألا ترى أنه طفلا؟

نفى الشاب برأسه الأمر قائلا : الله لا يختبر الطفل الصغير بل يختبرك أنت ..هذا الطفل الذى مات تحت الأنقاض لم يعانى فى موته من ألم بل تخرج روحه من وعاءه الجسدى الى الجنه التى لا مثيل لها على الأرض فهو شهيد كذلك طفلا برىء وإنما يقوم الله باختبارك أنت فيه.. هل ستقف فى نفس الطريق الذى سلكه لإعلاء كلمة الحق التى مات

وهو ينادى مطالبا بها أم أنك ستسلك طريق السياسة فى التجارة بدمه وبحياتك بينما العالم يقف متفرجا.

أمعن (ماك) التركيز فى حديث الشاب ثم قال : لهذا تم إنشاء منظمات حقوق الإنسان.

ضحك الشاب حتى صدح صوته فى الأرجاء فاندهش (ماك) رافعا حاجبيه متسائلا : ما الذى يضحكك؟

منظمات حقوق الإنسان.. يفتعل العالم المشكلة ثم ينادى بإنشاء منظمة تحمى الإنسان من أخيه الإنسان ثم يتخذون سنوات فى سن القوانين وسنوات يماطلون فيها فى الدفاع عن نصوص هذا القانون الذى انتهكته السياسة والحكام وبين من يدافع ويندد باسم حقوق الإنسان وبين استمرار السياسة والحكام فى فعل ما يحلوا لهم تموت الشعوب وتنتهى المشكله ..كم مشكلة فى العالم تم حلها بفضل منظمات حقوق الإنسان ؟؟ صمت (ماك) يبحث عن إجابة لكنه عجز عن إيجاد إجابة مناسبة للشاب ثم أردف قائلا : الله لا يؤذى خلقه بل يؤذى خلقه بعضهم البعض .

****

انشغلت (أليكس) طوال اليوم فى تجهيز عشاء مناسب لأختها وزوجها مفعم بالحب وسعادتها الحارة لرؤية (إميليا) بينما اصطحب (ماك) الشاب فى سيارته لشراء النبيذ ،وقف أمام محل ضخم مخصص لبيع الخمور الفاخرة.. نظر الى الشاب قائلا: إذا كنت لا ترغب بالدخول فلا بأس ، فتح الشاب باب السيارة ونزل منها ثم وقف منتظر من (ماك) النزول ليدخلا الى المحل معا ، وقف الشاب أمام أرفف مليئة بأنواع مختلفة من الخمر الفاخر المعتق مرتب على الأرفف حسب سنوات تعتيقها وتحت كل زجاجة السنة التى تم تعتيق زجاجة الخمر فيها،أشار

(ماك) الى البائع الذى اقترب منه ثم سأله أن يحضر إليه زجاجتين من النبيذ الفاخر ، لاحظ أن الشاب يتجول بين أرفف القنينات تقدم إليه قائلا:

أيثير إعجابك شيء ما؟،أجابه الشاب وعيناه متسمره على احدى القنينات قائلا : لا أظن أن تلك القنية مازالت موجودة الى الآن ، ألقى (ماك) نظره الى القنينة التى يشير إليها فوجد أنها قد مر عليها سنوات كثيرة ،فأردف قائلا: حسب معلوماتى المسلمين لا يتذوقون الخمرو... قاطعه الشاب قائلا : يوما ما سكبتها لأحدهم ،فأجئهم صاحب المحل قائلا أن تلك القنينة باهضة الثمن , فقد مر على تعتيقها أكثر من خمسون عاما ..فقد أهداه صديق له لكنه لا يفكر فى بيعها بل يضعها كديكور للمحل ،فهو يخشى ألا تكون بنفس إتقان خمور اليوم ،التفت إليه الشاب وهو يشير إليها قائلا أن تلك القنينة كانت أفخر أنواع الخمور على الاطلاق ، ساد الصمت قليلا ثم طلب (ماك) من الرجل أنه سيشترى تلك القنينة بدلا من القنينتين ،تردد الرجل خوفا من أن لا تناسبه لكن (ماك) أصر على شراءها بأى ثمن ، أثناء الطريق تسائل الشاب عن إصرار (ماك) على شراء تلك القنينة فربما لن تناسبه لكن (ماك) قائلا : أنه يثق فيه وفى اختياره ثم أشعل الراديو فساد الصمت قليلا ثم بدأت ألحان أغنية فرنسية ..قضب (ماك) حاجبيه فهو لا يتقن اللغة الفرنسية لكن صوت المغنية بدا جميلا , فجأة سمع صوت الشاب يدندن مع الأغنية

Y en a un brun et puis un blond
Qui m’aiment tous deux à leur manière

ويلوح بيده مع إيقاع الأغنية ضحك (ماك) وظل يدندن فقط على الألحان بينما الشاب يغنى مع الأغنية.. بدأ صوت الشاب يعلو حتى سمعه الأخرون فى سيارتهم حين أوقفتهم إشارة المرور ينظرون الى هذان الصاخبان بغنائهما ..نظر أحدهم إليهما بوجه ممتعض فأخرج (ماك)

رأسه قائلا : لا بأس أنه يشعر بالسعادة قليلا ثم انفجر ضاحكا وعاد يدندن مع الأغنية التى انتهت سريعا ثم انطلق (ماك) حين بدا إشارة الانطلاق ، ضحك الاثنان حتى دمعت عيناهما ..فجأة ساد الصمت وبدأ كل منهم يمسح دموعه ثم أبدا (ماك) إعجابه بأداء الشاب الرائع لتلك الأغنية فقد بدا صوته رائعا وكلماته متوازنة كأنه فرنسى ثم سأله أين تعلم اللغة الفرنسية ،فجأة أوقف (ماك) السيارة فكاد يصطدم الشاب بمقدمة السيارة ثم نظر إليه (ماك) بعينان متسعتان مصدومتان قائلا : أنت لا تتقن الفرنسية ؟! هل تمزح معى لقد قمت بالغناء كأنك فرنسى، بدا على الشاب الحزن متصنعا الابتسامه قائلا : لا أعلم من الفرنسية سوى تلك الأغنية ل (أديث بيف) le btune et le blond، كانت صديقتى تعشق تلك الأغنيه كثيرا.. تحب الاستماع إليها فحفظتها لأجلها.. حين تحب تتحدث بلسان لا تعرفه..ثم أشاح بوجهه الى الطريق فأشعل (ماك) سيارته وانطلق مجددا فتردد على سمعهما نشرة الأخبار حيث أعلنت المذيعة عن إصابة عشرات الفلسطينيين فى تصادم مع القوات الاسرائيلية , فجأة تجهمت الوجوه واعتلى الحزن والصمت الصدور، نظر (ماك) نطرف عينه الى الشاب فبدا على وجهه ألم الداخلى والتماسك الزائف بالقوة بقبضته التى تعتصر بعضها حتى أصفر لونها ، قام (ماك) بإغلاق الراديو معلنا سخطه على الحرب فلا يمر زمن إلا وتتقد نيران الحرب فيه فى مكان ما ثم اتجه الى الشاب قائلا : لا تصدق تلك الاخبار الكاذبة فالاعلان يعظم من الأخبار الصغيرة ليفتعل ضجة كبيره ،أردف قائلا : أتظن أن ماحدث للصبى لا يحدث الآن مع أخرون مثله ، تنحنح (ماك) واتجه بوجهه الى الطريق جارا معه ذيول الفشل فى التخفيف عن الشاب ثم نظر الى المقعد الخلفى الى القنينة قائلا : سأتذوق اليوم هذا النبيذ بأمر من زوجتى وباختيار من صديقى ..ثم ضحك لإضحاك الشاب لكنه شرد بخياله بعيدا.

ظلت (أليكس) تنظم المائدة بأشهى المأكولات والحلويات ثم وضعت الكؤوس وسألت (ماك) على زجاجات النبيذ فأعطاها القنينة فتعجبت

(أليكس) باقتناء تلك القنية العتيقة لكن (ماك) ربت على ظهرها ثم قبلها هامسا أن عليها الثقة به فتلك القنينة ستكون رائعة ،ثم صعد (ماك) لارتداء ملابس أنيقه لتلك المناسبة فى تلك الأثناء كانت (أليكس) تستقبل أختها وزوجها اللذان أحضرا هدية لها ول (ماك).. سعدت بها (أليكس) كثيرا ثم استقبلتهما بأعناق والتقبيل ثم أسرعت (أليكس) الى الأعلى لاخبار (ماك) بوصولهما، كان الشاب يساعد (ماك) فى إغلاق أزرار قميصه ثم وضع العطر على رقبته , شعر (ماك) باهتمام الشاب به بشيء من الألفة والحنين فأدرك أن ما بينهما قد تصاعد عن حدود العمل، انتهى الشاب من ترتيب شعر السيد (ماك) ثم طلب منه أن يلقى على نفسه نظرة سريعة قبل نزوله فى المرآه ,وقف (ماك) مذهولا بأناقته وتسريحة الشعر الرائعة ..تنفس الصعداء ثم طلب من الشاب اتباعه الى أسفل حيث العشاء قام بفتح باب الغرفة ثم فجأة عبس وجهه وتسمر مكانه حين أخبره الشاب أنه لن يأتى الى العشاء , أغلق الباب وأردف يسأل عن السبب لكن الشاب تحجج أنه لا يريد أن يكون مصدر إزعاج فذلك عشاء أسرى لا شأن به فقاطعه (ماك) قائلا أنه جزء من الأسرة الآن..ساد الصمت وتسمرت أعين كل منهما على الآخر لا يدرى (ماك) كيف خانته الكلمات وخرجت منه بتلك التلقائية ولا يعلم الشاب هل ما تفوه به السيد (ماك) حقيقة أنه جزء من العائلة ،قطع صوت (أليكس) وهى تنادى قادمة باتجاه الغرفة صمتهما فأخبره الشاب أن يذهب فلا داعى أن تراه السيدة (أليكس) هنا معه حتى لا تفسد لحظاتهم الجميلة ،لم يجد (ماك) ابلغ من الصمت ردا ،ثم أخبر الشاب أنه يجب عليه تناول عشاءه فأخبره الشاب أنه سيتناوله فى وقت لاحق , هز (ماك) رأسه فى أسفه ثم فتح الباب وخرج الى (أليكس) التى كادت أن تصطدم به حين خرج من الغرفة التى قام بإغلاقها بقوة خلفه، لاحظت (أليكس) تلك المشاعر الآسفة عليه فسألته عن الأمر فأخبرها أنه لا شيء ثم سبقها ببضع خطوات الى الأسفل فجأة توقف والتفت إليها ثم أخبرها أنه لا داعى أن تخبر (اميليا) وزوجها بأمر صديقهما فهو لن

يحضر على العشاء الليلة فهزت (اليكس) رأسها بالموافقة ثم اصطحبته الى الأسفل ، ما إن رأته (اميليا) حتى أسرعت تلقى بنفسها فى أحضانه فهو دائما الأخ الأكبر لها وقام بمصافحة (بيتر) وعناقه مهنئا لهما على الزواج ،بدؤا بتناول العشاء بين ضحكاتهم واسترجاع (اليكس) وزوجها لذكريات شهر العسل ثم أخرجت (اميليا) بعض الصور التى التقطتها فى فرنسا ثم بدأت تقص روعة كل مكان قامت بالتقاط الصور فيه ،جو الاسرة الدافىء انعكس على ذكريات (ماك) مع أسرته حين كان صغيرا ثم مع (ويتنى) والتفافهما حول المدفأة معا ثم نظر بطرف عينه لأعلى يفكر فى ذلك الشاب الذى فقد الليلة تلك الأجواء الأسريه التى حتما يشتاق إليها بجلوسه وحيدا فى غرفته ،شعر (ماك) بتأنيب الضمير والأسف عليه ثم فجأة أتت (اليكس) بقنينة النبيذ العتيقة وهى تخبرهم بأن يعد كل منهم كأسه فقد أحضر (ماك) قنينة من النبيذ الفاخر لكنها عبرت عن قلقها فهى لم تتذوقها بعد لترى إن كانت جيده بم فيها الكفايه, ابتسمت (اميليا) وزوجها قائلين أنهما سيتناولاها حتى لو كانت سيئة المزاق من أجل (ماك) ،قامت (اليكس) بسكب النبيذ فى الكؤوس ورفع الجميع كأسه يشربون فى صحة تلك الليلة السعيدة ..رفع الجميع كأسه على فمه بينما قرب (ماك) النبيذ من أنفه يشمه كانت رائحته غريبة فجأة وجد (اميليا) تعبر عن مدى لذة هذا الشراب فهى لم تتذوق بجماله من قبل كذلك نظرت (اليكس) الى زوجها مندهشه من لذة طعمه المميز.. رفع (ماك) الكأس وقام بشربه جرعه واحده لكنه لم ينطق ببنت شفه نظرت اليه (اليكس) و(اميليا) وهما ينظران الى بعضهما ينتظرا رأيه فأردف (ماك) قائلا أنه أروع نبيذ قد شربه على الاطلاق ، قام (بيتر) بشكره على ذلك الشراب اللذيذ فاندفع (ماك) قائلا ان الشكر يرجع الى صديقه العربى فهو من اختار تلك القنينة ثم فجأة انعقد لسانه وتسمرت (اليكس) بعيناها عليه متعجبه منه وأخذت تسكب له كأس آخر فأردف (بيتر) يسأل عن أى صديق يتحدث فأخبرته (اميليا) بسرعة أنه يبدو إحدى من معجبى (ماك) أو صديقه فى العمل ،ثم نظرت (اليكس)

الى (اميليا) غامزة لها بعينيها لإنقاذها الموقف ثم قامت (اليكس) بملئ كؤسهم الفارغه ،رفعت (اليكس) الكأس على فمها وهى تنظر بطرفها الى (ماك) بعينين تخبرهما أنه كاد أن يخبرهما بأمر صديقه فابتسم (ماك) فى حرج رافع حاجبيه ثم رفعه كأسه وتجرعه كلها مرة واحده، قام (ماك) بالاستئذان قليلا للمغادرة ثم اتجه الى غرفة المكتب مرت دقيقه ثم عاد حاملا هدية بين يده وقدمها الى (اميليا) بمناسبة زواجها.. سعدت (اميليا) كثيرا وقامت بفتح الهدية على الفور ثم مد يده يحتسى شرابه وهو ينظر بطرف عينه الى (اليكس) التى ابتسمت بطريقة ميمونة له على تلك المفاجئة الرائعة قائله بشفاهها شكرا لك ،فجأة صرخت (اميليا) فرحة سعيدة بتلك الهديه التى لم تتوقعها فقد كان ألبوم من الصور النادرة لها ول (اليكس) وتحت كل صورة ذكري لليوم والمناسبة التى تم التقاط الصوره فيها وصورها حين كانت صغيرة مع (ماك) ثم أرف (ماك) قائلا بأن (اميليا) كانت رائعة الجمال فى صغرها فداعبها (بيتر)قائلا : إنها كانت سمينه قليلا فغمزته (اميليا) برفق فى كتفه تعاتبه قائلا أنها كانت فى غاية الجمال رغم ذلك ثم أخرج (ماك) من جيبه سوار رقيقا هدية لها , أخذته (اميليا) غير مصدقة جماله فنهضت تعانق (ماك) على تلك الهدايا الرائعه ،فى نهايه الليلة اختالت (أليكس) ب(اميليا) قبل مغادرتها بلحظات تطمئن عن سبب عودتها مبكرا من سفرهما فأخبرتها أنها اضطرت الى العودة لإخبار عائلتها بالحمل والاعتناء بالجنين.. اطمئنت (اليكس) وقبل مغادرت (اميليا) أخبرتها أنها ستمكث عند والدتها بعض الوقت وعليها المجيء لتناول العشاء معا فسيعقدون حفل صغيرا بمناسبة عيد ميلاد (بيتر).. غادرت (اميليا) وزوجها وسط أمنيات (اليكس) و(ماك) لهما بالسعادة .

ألقت بنفسها على الأريكة وارتمت على صدره ثم أخبرته أن العشاء كان لذيذا ثم رفعت رأسها إليه وقامت بشكره على هديته الرائعة ل(اميليا) فتلك الليله لا تنسى حقا ، تخللت أنامله خصلات شعرها مداعبا ثم قبلها

،التفت لينظر الى أعلى ثم أخبرها أنه سيصعد ليرى صديقهما يناديه لتناول العشاء ، نهض (ماك) وصعد الى أعلى , طرق غرفة الشاب مستأذن لكنه لم يسمع جوابا ففتح باب الغرفة لكنه تسمر مكانه مقضب الجبين عندما وجد الغرفة فارغة فنزل سريعا الى غرفة المكتب بحث عنه لكنه لم يعثر عليه ، انتفضت كل خلية من جسده رعبا متسائلا الى أين قد اختفى هذا الشاب!؟ وهو يفتش عنه فى جميع أرجاء المنزل حتى خرج الى الحديقه ونادى بأعلى صوته عليه لكنه لم يعثر على جواب،هرولة إليه (اليكس) والخوف قد خطف نضارة وجهها متسائله عن الأمر فأخبرها أنه اختفى ..كيف خرج هذا الأحمق دون أن نشعر به أو حتى نراه ،فشلت (اليكس) فى تهدأت أعصابه فجأة تذكر شيئا فصعد الى غرفة الشاب يبحث عنه , فجأة وجد (اليكس) قد لحقت به تسأله عن الأمر فأخبرها أن الظرف قد اختفى ، تعجبت (اليكس) متسائله أى ظرف لكنه لم يعبأ لسؤالها مرددا أنه ربما يرسل لعائلته المال لكن الى هذا الوقت المتأخر،أرسلت الشمس أشعتها عليه ذهابا وإيابا قلقا على الشاب الذى لم يعود الى الآن ،لم يتحمل صبره انتظار الشاب الى الآن فأسرع الى سيارته ومضى فى الشوارع باحثا عنه لساعات وساعات حتى أحس بالإرهاق فركن سيارته على قارعة الطريق وقام بإسناد رأسه على مقود السيارة , بدا المطر بالهطول فأشعل سيارته ليذهب , مضى فى طريقه الى المنزل لكنه توقف فى زحام الطريق الذى توقف بسبب سقوط الأمطار الغزيرة حتى إن الرؤية أصبحت منعدمه ،ملأ زمير السيارات الأجواء وتذمر المنتظرين فى سيارتهم لتعطل المرور ،أغلق نوافذ سيارته وعقد ذراعيه أمام صدره منتظرا ،تسرب الى أذنه صوتا ضعيفا صادرا من الراديو فقام برفع الصوت قليلا فسمع عن نشوب هجمات بين إسسرائيل وبين فلسطين زيادة أعداد المصابين غالبيتهم بين الأطفال والنساء فقام (ماك) بضرب مقود السيارة بيده وترددت فى عقله هلاوس أن الشاب قد غادر ولن يعود مجددا خاصة بعد نهاية التجربة بموت الصبى الصغير تحت

الانقاض ،ضرب بقوة على مقود السيارة مرة أخرى صارخا ذلك العربى الكاذب لقد حنث بوعده ،مضى الليل جالسا تحت براثن الطقس البارد ينتظر قدوم الشاب الى أن أرست الشمس أشعتها تدفىء أطرافه التى أزرقت من برودة الطقس , قامت (اليكس) بالتربيت على كتفه وحثه على الدخول الى المنزل ، نهض معها.. كادت أن تصطحبه الى غرفته لكنه تركها وذهب الى غرفة المكتب ثم فجأة سمعت صوت ارتطام الأشياء على الأرض قد صب غضبه على كتبه وأوراقه وجهازه المحمول وقلب الغرفة رأسا على عقي صارخا ..أيها الوغد قد رحلت ونحثت بوعدك ثم فجأة هدأ كل شىء كالهدوء الذى يلى العاصفة وكأنها لم تعصف ثم انهار على الأرض جالسا مسندا ظهره الى الشباك يسترق النظر الى باب المنزل الخارجى ينتظر قدومه وقد نفذ منه الأمل بقدومه.. هطل الليل بجفونه السوداء ومازالت عيناه مكانها لم يغفل له جفن متسمرة على باب المنزل ، طرقت (اليكس) الباب ثم طلت برأسها الى الداخل وجدته فى حالة يرثى لها كمن فقد عزيزا على قلبه ،اقتربت منه تنادي باسمه لكنه مازال على وضعه لم ينبت ببنت شفه فهمست له أن عليه النهوض والاسترخاء قليلا ..لكن الصمت مازال سائدا فترجته أن ينهض معها لتناول شيئا فهو لم يذق الطعام أو الشراب منذ عدة أيام، تأملت عيناه الحمراوتين ؛ كان الدماء قد جمعت بهما , تناديه فهزت قدمه فقد أصبح كجثة هامدة لا يرمش بعينه.. لا شىء يدل على أنه على قيد الحياة إلا أنفاسه المتصاعدة ببطىء ، فجأة صدر منه صوتا ضعيف يكاد لا يسمع قائلا : أتركينى ..أنا بانتظار الشاب العربى.. اعتلاها الحزن وقلة الحيله من فعل شىء لمساعدته وهمت بالنهوض فأوقفها مترجيا أن لا تزعجه مرة أخرى إلا عندما ترى صديقه العربى، دقت الساعه الواحدة صباحا مازال الليل سائدا بكأبته التى تزيد من عتمة صدره المثقل بالحزن على رحيل الشاب ..يزداد الطقس برودة فلا يكاد يشعر بقدميه ،نظر الى الساعه ثم عاد بنظره ساهما الى الباب فجأة أتكأ على مرفقيه فى تثاقل شديد وأسند على الجدران حتى استطاع النهوص

ثم اتجه الى غرفة الشاب فى خطوات متثاقلة بهمومه وأقدامه التى لا يشعر إلا بوخذ الألم فيها ،فتح غرفة الشاب , ألقى نظره متفحصة على الغرفة كأنها لم ترى وطأ قدم لإنسان من قبل ..يظلمها الهدوء القاتل تخيل الشاب نائما على السرير ثم عاد تخيله أنه يقف أمام المرآه يهندم ملابسه استعدادا للرحيل كيوم الزفاف ،تقدم الى السرير وجلس على طرفه ..وجد بجواره عبوة الأقراص المسكنة للصداع مد يده إليها ثم قام بفتحها , أدرك أن الشاب كان يعانى من الصداع كثيرا فقد فرغ العبوة تقريبا إلا من قرصين فجأة سقطت منه عبوة الدواء على الأرض متدحرجة تحت السرير فأتكأ على ركبته ومد يده يلتقطها لكنه شعر بورقة تحت يده فقام بسحبها ما إن رأها حتى أصابته الدهشه واحمرت وجنتاه وأقشعر جسده وتصلبت أوصاله وتسمرت عيناه متسعتين مصدومتين، ركض مسرعا الى الأسفل ..رفع سماعة الهاتف وأجرى اتصالا ،وقفت (اليكس) خلفه تنظر الأمر فجأة طلب (ماك) من صديقه المحقق (الفريد) أنه يريد الإبلاغ عن شخص مفقود ، تعجب (الفريد) متسائلا عن من المفقود ؟ فأجابه (ماك) أنه صديق عربى مكث فى منزله حوالى شهر تقريبا وقد اختفى على حين غرة ولم يأتى الى المنزل منذ عدة أيام ،التقط (الفريد) ورقة وقلم وطلب من (ماك) أن يصف له صديقه ،قام (ماك) بوصفه سيعة ثم طلب (الفريد) أن يخبره باسمه ،فجأة انقعد لسان (ماك) ووقف متسمرا بينما قلق (الفريد) عليه فأعاد سؤاله لكنه لم يسمع جوابا.. فأردف متسائلا إن كان (ماك) يسمعه , فجأة اختطفت (اليكس) السماعة معتذرة من (الفريد) عما حدث متحججة أنها ستقوم بشرح الأمر له فيما بعد.. أغلقت (اليكس) الهاتف والتفتت الى (ماك)فجأة وجدته قد اختفى فأسرعت الى غرفة المكتب تتفقد أمره ،كان (ماك) يبحث عن شىء ما فى أدراج المكتب اقتربت (اليكس) تتحسس ظهره قائله أن ربما صديقهم العربى قد رحل الى بلاده فى أمر ما أو ربما قامت الشركة بطلبه ألم تفكر فى هذا الأمر ربما هو الآن منهمكا فى عمله ولم يستطيع الاتصال بك أو إخبارك بالأمر ..هناك

العديد من الاقتراحات لغيابه، أردف (ماك) قائلا فى غضب أنه لا يعمل فى شركة وأن بينهما عقد ألا يغادر لو يتركه قبل انتهاء التجربة ،اندهشت (اليكس) عاقدة حاجبيها مردده تجربه؟!..عن أى تجريه تتحدث؟!،تركها (ماك) وأسرع الى غرفته فى الأعلى وظل يبحث أدراج غرفته , اتبعته (اليكس) تسأل عن ماذا يبحث فأخبرها أنه يبحث على العقد الذى بينه وبين الشاب ..عقدت (اليكس) يدها الى صدرها تمنع نفسها من أن تسأل ما هذا العقد الذى أخفى أمره عنها ؟لم يجد (ماك) العقد فذهب الى غرفة الشاب يفتشها ثم صرخ بأعلى صوته : هذا الحقير العربى قد قام بسرقة العقود ورحل أنه لن يعود يا (اليكس) أنه لن يعود لقد تركنى فى منتصف الطريق ورحل ..لقد رحل الى الأبد ولن يعود ..هذا الحقير تلاعب بعقلى جعلنى أصدق الأوهام ،حاولت (اليكس) التماسك وكبت دموعها وتهدأة روعه وامتصاص غضبه لكنه انهار على الأرض جالسا فى زهول يردد ..رحل الى الأبد ولن يعود.. ذلك الخائن ..،أمسكت (اليكس) بذراعه تحثه على النهوض لكنه بدا كأنه يهزى ثم فجأة أخبرها أنه يشعر بالعطش , أسرعت (اليكس) الى المطبخ وأحضرت كوبا من الماء ومعها بعض الأقراص المهدئة.. أعطته الكوب ثم فتحت ده الأخرى تعطيه الأقراص قائلة أنها ستساعده على تهدأة أعصابه لكنه ألقى بالأقراص فى غضب بعيدة فاندثرت مفترشة الأرض ثم شرب كوب الماء عن آخره بيده المرتعشه ،جلست (اليكس) أمامه تنظر الى الحزن الذى خيم عليه ورأسه المطأطأ.. احتضنت وجهه بين يديها ونظرت إليه تترجاه أن يذهب الى غرفته ليرتاح قليلا فلا داعى أن يمكث فى تلك الغرفة على الأرض فالجو يزداد برودة .لاحظت أن قدمه ترتعش فقامت بتدليكها عدة مرات ثم ربتت على كتفه مترجية أن ينهض معها ، قام (ماك) بالاتكاء على السرير فشعر ببرودة الفراش فقال : إن الفراش أصبح باردا برحيلك..لماذا تخليت عنى وذهبت ياصديقى، جذبته (اليكس) الى غرفتيهما ثم أجلسته على السرير ثم أسرعت تجهز له ثوبا لينام فيه ,

خرجت من غرفة الملابس وبيدها الثياب فوجدته يغط فى نومه فاقتربت منه وقامت بتغطيته ..تحسس جبينه المقطر عرقا بينما كان يتمتم ببعض الكلمات الغير مفهومه ثم أغلقت نور الغرفة وأغلقت الباب واتجهت الى غرفة الشاب فأمسكت بمقبض الباب وعيناها متسمرة فى الغرفة متسائلة: من أنت؟! لكن من الجيد أنك رحلت ؟ ثم أغلقت الباب .

وضعت يدها فى خصرها متنهدة فى عمق عاقدت العزم فى ترتيب تلك الغرفة التى اندثرت معالمها على الأرض كلما التقطت أحد الكتب من الأرض كلما ربط جأشها قامت بإعاده بعض الكتب الى مكانها على الأرفف والتقاط الأوراق المندثرة وترتيبها ثم أعادت ترتيب الأدراج بالمكتب كما كانت فقد تركها (ماك) مفتوحه وقد ألقى ما بقى على الأرض، قامت بالتقاط محتويات الأدراج من الأرض وأعادتها, أعادت صوره (ويتنى) ورسالتها الى الدرج ثم قامت بالتقاط أحد الكتب.. ألقى به تحت المكتب أحست بشىء ما يحجب دون إغلاق الباب جيدا , أمعنت به فوجدت من بين اوراق ورقة ،التقت الكتاب ثم فتحته فوجدت عقدا مطويا فقامت بسحبه وفتحه ومن ثم قرأته ، أدركت أن هذا العقد الذى ظن (ماك) أن صديقه قد سرقه ،تراجعت (اليكس) بظهرها متكأة على الجدار ثم انهارت على الأرض فى صراع على كبت حزنها لكنها استسلمت الى الصراخ والبكاء المرير حتى كادت أن تختنق صرخاتها من البكاء فكلما برقت السماء كلما توهجت شرارة الحزن بقلبها وبينما السماء تنهال بأمطارها من الخارج كانت تنهال بدموعها على أحزانها من الداخل وكلما اهتزت الأجواء بالرعد كلما رعد صوتها صارخا يهز أركان الغرفة .

داعبت نور الشمس عيونها فأيقظتها من نومها العميق ..فتحت عينها فرأت (ماك) جالسا تحت قدميها , نظرت حولها فأدركت أنها نامت مكانها بعد بكائها الحار, انتفضت من مكانها ثم أخفت العقود بسرعه فى الكتاب قبل أن يراها ثم بدرت معتذره عن نومها فقد كانت تنال قسط من

الراحه بعد تنظيف الغرفه لكنها غطت فى نومها ،قام (ماك) باحتضانها متأسفا عما بدر منه كادت أن تبكى لكنها تماسكت ثم التفتت إليه مبتسمه قائله أن لا عليه فالأمر لا يستحق ثم ذهبت لتعد إفطارا شهيا لكليهما، لقى بنفسه على الكرسى ثم اتجه الى ناحية النافذة ينظر الى الحديقة يأمل أن يجد الشاب قادما الآن ..عاد الفتكير فيما حدث منذ أن قابل هذا الشاب لقد أهانه كثيرا , كان حازما قاسيا فى معاملته.. لم يلين قلبه إليه إلا للحظات عابرة , ذاقه من الألم ما يكفى حتى سالت دماءه وصرخ من الألم الذى أصابه من جرح رأسه كان يرى فى عينه ألم الجرح لكنه تجاهله و لم يعير لمرضه اهتمام من أجله بل من خوفه أن يمنعه المرض من إتمام التجربه ..عاش معه ما يقرب من الشهر لم يهتم به أو بالتقرب منه حتى اسمه لم يهتم به فقد اكتفى أن يناديه أيها الشاب وأوقاتا صديقى رغم أنه لم يحبه كصديق بل كشىء سينتهى منه فور الانتهاء من تجربته ..كانت أنامل الذنب تقبض على قلبه فيعتصر ندما على تلك المعاملة الجافيه لذلك الضعيف الذى عانى ظلم حكومته وجفاء وطنه وهجران أهله والتغرب فى هذه الدولة والمعاملة السيئة التى استقبله بها كل من رآه حتى امتنع عن تناول العشاء كشخص سوى أو كضيف فى منزله ..تنهد بعمق حزين على الحال الذى وصل إليه من سوء معاملته ..الآن أدرك حقيقة الأمر والحق فى أن ينكث الشاب بوعده معه ..لكنه يشتاق إليه لقد اعتاد علي رؤيته أمامه والمكوث معه على مائدة الإفطار والتردد الى غرفته وابتسامته التى لا تفارق وجهه لكن عيناه الحالمتين السارحتين دائما ..لكن عقله عاد للتساؤلات حول الرابط بين ذلك العربى وتلك الأحلام التى راودته وتلك الورقة الى وجدها تحت سريره ،وجد (ماك) نفسه بين ألغاز حائرة ولا بصيص لخيط من النور يقوده الى الإجابه فالإجابه تكمن عند ذلك العربى الذي

أخذ معه كل شيء تاركا تلك الأغاز تحيط به،شعر بصداع يتوغل عقله فتمنى لو أنه يحتسى الآن فنجان من القهوة العربية ..فجأة نهض من مكانه مسرعا الى الخارج فلحقت به (اليكس) وهى تمسك بمعطفه الذى خرج بدونه أيضا قائله أن عليه ارتداءه فالطقس باردا لكنه أشاح لها بيده قائلا لاحقا ثم انطلق بسيارته الي أن وقف وسط تراصف السيارات المزدحمة على الطريق, نظر حوله يبحث عن مخرج لكن مخرجه الوحيد كان فى ترك سيارته والانطلاق مترجلا بين وسط صراخ الآخرين ألا يترك سيارته ويمضى فسيزيد تعطيل الطريق إن تركها والبعض تطاول عليه بالسباب ووصفه بالعجوز الخرف لا تترك سيارتك وترحل والبعض كان يسخر منه قائلا هل أنت على موعد غرامى..لكنه أسرع الخطى مردد بل أنا على موعد مع الموت إن لم أجد ذلك العربى ،كانت خطواته السريعة أشبه بالجرى الذى أجهده , كان يلهث كمن يلفظ أنفاسه الأخيرة لم يتوقف ليلتقط أنفاسه إلا عندما وقف أمام باب المقهى , شعر بألم طفيف فى صدره لكنه أسرع واقتحم المقهى , بحث بعينه الى المكان الذى أعتاد الشاب الجلوس فيه فوجده شاغرا , كان المقهى ملىء بالزبائن اقترب منه النادل متسائلا هل يستطيع خدمته لكنه قبض على ياقته غاضبا متسائلا أين ذلك الشاب العربى الذى يعمل هنا ، أردف النادل مجيبا فى فزع أنه لا يعمل أحد هنا ثم أمعن النظر إليه قائلا : اااه أظن أنك جئت هنا من قبل باحثا عن أحدهم منذ مدة وقد أخبرتك أن الشخص الذى تبحث عنه لا يعمل هنا ،صاح به وجذبه من فوق البار وسط صراخ الآخرين وتساؤلاتهم عن الآمر ما إن رأته (ماريا) حتى أسرعت وخلصت رقبة صديقها من بين يديه ثم صرخت فى وجهه تتهمه بالجنون فإن لم يغادر الآن ستقوم بإبلاغ الشرطه عن الأمر , وقف (ماك) متسمرا مكانه فاتجهت (ماريا)

الى الهاتف فأسرع (ماك) الى الخارج فى خوف لكن فجأة سقط الهاتف من يدها حين سمعت صوت ارتطام شىء فأسرعت الى الخارج مع زبائن المقهى الذين التفوا حول (ماك) الذى اختلط دماؤه بالطريق معلنا عن إصابته بحادث سيارة.

****

تتفتح عينه تارة وتغلق تارة أخرى لا يرى إلا وميض يتسلط فى عينه وصوت رجلا يناديه باسمه مرارا وتكرار, فجأة أضاء نور ضخم فى عينه فأغمض عينه ثم شعر بأحدهم يسحبه الى الخلف ثم تزاحمت الأصوات المتداخله على أذنه , فتح عينه فوجد الشاب العربى يهزه بقوة ثم تنفس الصعداء حمد الله على أنه بخير ثم أخبره أن يهرب بعيدا عن النيران الآن ثم ركض الشاب حاملا سلاحه الى المعركة , وقف (ماك) بعينين متسمرتين متسائلا هل ما يراه حقيقة هل هذا هو الشاب العربى الذى يسكن منزله؟! وجد قدماه تركضان باتجاه الشاب الى داخل المعركة , فجأة وجده الشاب خلفه ففزع وصرخ به قائلا ألم أخبرك أن تهرب لقد كدت أن تموت ؟ لاحظ أن عيناه تحدقان فيه , فجأة انطلقت رصاصة بينهما فانتبه الشاب الى معركته مرة أخرى , فجأة سأله (ماك) فى اندهاش : من أنت أيها الشاب؟

نظر إليه وقد قضب حاجبيه قائلا : ماذا ؟! ..هل أثرت الاصطدام على ذاكرتك ألا تتذكر من أنا ؟! ..أمسك رأسه قائلا : حقا لا تتذكر من أنا ربما لديك بعض التشويش لكن لم تفقد ذاكرتك أليس كذلك؟..أتدرى أين نحن الآن؟ نظر حوله قائلا : فى فلسطين ،عقد الشاب حاجبيه قائلا فى قلق: يبدوا حقا أن الاصطدام قد أثر على ذاكرتك!!..نحن فى مصر

يا(أرثوفيتش) ..نظر له (ماك) متعجبا قائلا : هل انتقلنا الى مصر ؟!! لكن كيف دون الغليونة والتنويم المغناطيسى.. عقد الشاب حاجبيه متعجبا قائلا : عن ماذا تتحدث يا صديقى ،هيا انهض معى حالا قبل أن تصيبك طلقات الإيطاليين ، هرب به بعيدا عن المعركة وأثناء ذلك رأى الصبى قادما مسرعا نحوه تسمر مكانه غير مصدق أنه مازال على قيد الحياه فركض نحوه كادت أن تتشابك الألسن بالحديث , فجأة انطلقت قذيفة وألقت كل منهما بعيدا عن الآخر ،جمع شتات نفسه ينفض التراب عنه فجأه وجد نفسه فى الصحراء بحث حوله عن الشاب والصبى أين ذهبا.. التفت حوله فجأة وجد (ميلين) تقف أمامه فى عينين حزينتين تلومانه على شىء ما ثم هزت رأسها نافيا شيئا لا يدركه نظرت الى ما فى يدها فنظر الى ما تنظر إليه فوجد النبتة تذبل سريعا , أعاد النظر إليها فوجىء بالشيب الذى خط أنامله بشعرها وتجاعيد الزمن رسمت خطوطه بوجهها فتحولت الى إمرأة عجوز ،ملء الزعر قلبه واقشعر بدنه ،دمعت عيناها قائله بشفتاها فات الآوان ،فجأة وجد نفسه على الطريق أمام سيارة مقبلة بأقصى سرعه ثم اصطدمت به وطرحته أرضا فجأة ناداه صوتا مألوفا ,بحث بعينيه عن مصدر الصوت بين الأشخاص الذين تجمهروا حوله , أغمض عينه وفتحها على رؤية (اليكس) يتضح وجهها شىء فشىء بعيون أصابها الزعر الشديد حمراوتين من بكائها المرير ما إن نظر الى وجهها حتى ارتشعت السعادة بوجهها تزفها دموع عينيها التى سقطت منهما دمعة على خده فتأسفت مبتهجة ومسحتها بيدها ثم أخبرته أن لا يغمض عينيه ويبقى معها غابت دقائق عن عينيه ثم عادت بصحبة الطبيب الذى سلط الضوء فى عينيه قائلا سيد (ماك) :

هل تسمعنى جيدا؟ هل تتذكر ما حدث لك؟ أغمض عينيه طويلا ثم فتحها،فسمع (اليكس) تقول للطبيب أنها لا تستطيع إخبار (ماك) بالحقيقة الآن لكن الطبيب أصر على كلامه قائلا أن عليها مواجهته بالحقيقة قبل أن يتفاقم الأمر أكثر من ذك ،أغمض عينيه وغط فى نومه ثم فتحهما فوجد الجو هادىء بحث بعينيه حوله فرأى (اليكس) نائمة بجواره على الأريكة ، نظر الى الجهة الأخرى فوجده متكأ على ساعديه على طرف السرير ينظر إليه بعينين مرسومتين بالابتسامه ،مد (ماك) يده إليه فاحتضنها الشاب بين يديه قائلا : هل كنت تنوى الرحيل؟... دائما غاضبا حين يتعق الأمر بالمواعيد ..فيم كنت تفكر عند مرور الطريق!؟

قضب (ماك) حاجبيه قائلا فى تأنيب : أين كنت ؟..بحثت عنك ..بدونك شعرت كالتائه الذى فقد شىء عزيزا للغايه ..

- هل حقا أفتقدتنى أم أنك كنت خائف على رحيلى دون إكمال التجربه ؟

انعقد لسانه عن الكلام ثم أردف قائلا : لقد رأيتك فى منامى ..رأيتك تحارب فى مصر فى معركة ضد الإيطاليين .ورأيت الصبى أيضا ..أظنها أضغاث أحلام ..ألا تتفق معى!؟

أطرأ الشاب التفكير ثم قال : رأيت الصبى فى إحدى المعارك بمصر!.. أظنها ليست أضغاث أحلام لقد عانت مصر من غزو إيطالى أثناء وقوعها تحت السيطرة الإنجليزية وكان بعض المصريين يحاربون ضد الإيطاليين بالفعل ...لا أظن أنها أضغاث أحلام ..هذا يعنى أن الصبى على قيد الحياه وقد سافر الى مصر كما أخبرتك ..

انـدهش مـاك قـائلا : أيعقـل أننـى سـافرت الـى الـزمن دون التنـويم المغناطيسى ونفخة الغليونة تلك؟!! .. هل يعقل؟!

- أخبرتك من قبل أن السفر هو سفر أرواح تسجلها العقول ،حين تتقابل الأرواح تتخذ شكل القالب الروحى لقد تقابلت روحك مع هذا الصبى تلقائيا ..هذا يعنى أننا لن نستخدم التنويم المغناطيسى أو نفخة الغليونة.. فى الحقيقة لن نستطيع الاستمرار أكثر من ذلك فى تجربتنا ،فما حدث معك هو سبب الغيبوبة التى مكثت فيها أسبوع ..إن فعلناها مرة أخرى ربما تسجن روحك مع تلك الأرواح التى يبدو أنك ارتبطت بها كثيرا..

استيقظت (اليكس) من نعاسها على صوت (ماك) يغوص فى حوار جاد يقول أنه لا يؤمن بالأرواح إنما يؤمن بأن عليه الاستمرار فى التجربه مهما كانت العواقب ،ثم أن أقدام هذا الصبى قد خاضت معارك عديدة، وتفكيره تفكير الحكماء ..لن ينتهى من تجربته حت ظن أنه ينتهى من أمر الصبى ، خشيت (اليكس) أن تقطع تفكيره فأغمضت عيناها وما هى إلا ثوان حتى غلبها النعاس ثانيا.

****

امتلأ المنزل بعبق الوحدة بدا غريبا .. تغيرت أجواءه من السعادة والحفلات المبهجة والأضواء الساحرة و الحياة التى أرسلت أشعتها فجأة انطفأ كل شىء وخيمت روح غريبة على المكان معلنة أن الأيام الأخيرة قد حانت وتلك الليالى المنسية فى الماضى لن تعود مرة أخرى ببهجتها الى الحاضر الذى ينطفىء رويدا رويدا إلا من بعض الصور الخالية من سعادة الحاضر أو الذكريات التى تؤلم كلما تذكرناها ،جدران المنزل

تنتحب بدا عليها الحزن ،الأركنة فى المنزل مظلمة تفوح ملوحة الدموع المنهمره ، لما المكان هادىء هكذا! عليه أن يبتهج على الأقل ترحيبا بعودتهم التى لن تطول ..ألا يحب المكان أن يشبع من أصواتهم لحين تنتهى الأصوات ألا تشتاق لمرحهم وأصوات خطواتهم تلهو هنا وهناك! حينما يبقى على أروقته التراب بدل من أثار أقدامهم ،لقد انتحب البيت مبكرا وأظهر حزنه قبل الآوان ، تنهدت فى عمق شديد حتى لاحظ الشاب أنها تعانى أمرا ما ثم تنهدت فى عمق قائله : حان الوقت يامنزلى أن نعد أنفسنا لواقع لا مفر منه على الاطلاق .

لاحظ (ماك) شرودها فسألها عن الأمر لكنها بادرته بابتسامه معبرة عن مدى اشتياقها للمنزل ..ربت (ماك) على كتفها ثم طلب منها أن تحضر له فنجانين من القهوة له ولصديقهم فى غرفة المكتبة ثم جذب الشاب من ذراعه الى الغرفة أثناء ذلك أدرك الشاب ما يجول فى فكر (اليكس) لكنه فضل الصمت الى أن تنكشف الحقيقة ل(ماك) فى الوقت المناسب أو فى الوقت الذى ستحدده (اليكس) بنفسها بعد معرفتها لحقيقة الأمر ، ألقى (ماك) بنفسه على الكرسى قائلا : كيف تلتقى الأرواح فى الماضى.. أطرا يفكر قليل ثم قال :

لقد أخفيت عنك شىء ..أنا لا اؤمن بالأرواح ولا اؤمن بالرب ..طوال حياتى لم التقى بروح من أرواح الذين فقدتهم ليخبرنى أن هناك حياة أخرى أو كيف هو العالم الآخر !؟.. فقدت والدتى وأبى وغيرهم ولم تزورنى روح واحده منهم طوال حياتى فى أحلامى أو خرافاتى ..ربما إن وجدت حياة أخرى فربما هى المستقبل حيث تتجسد أرواح الذين ماتوا فى الماضى فى أجساد مغايرة لأجسادهم الماضية وعقول متشابهه فى التفكير وذاكرة خاليه أو ربما بها بعض الذكريات من الماضى لذا

أحيانا نرى أشياء نظن أننا قد رأيناها من قبل أو أشخاص تقابلهم لأول مرة فى حياتك فتشعر كأنك قابلتهم من قبل ..ربما فى المستقبل البعيد.. أتجسد من جديد فى شكل شخص ما يعمل وظيفة أخرى وحينها سأقابل زوجتى مرة أخرى لكن ربما أن تكون زوجتى وتصبح أعز صديقاتى أو نلق مجددا حبيبين أو عدوين يمران بجوار بعضهما ولا ينظر أحدهم الى الآخر ..وذلك ما يفسر ارتباطى بهذا الصبى فى الماضى ربما هو روحى المتجسدة فى جسده باختلاف الزمان والمكان ..السفر عبر الزمن لا علاقة له بالأرواح ياصديقى ..أننا فقد عدنا الى الماضى الذى مازال أثره قابعا الى الآن الى أشخاص أصابهم داء الموت ولازال أثرهم يحيى حاضرنا فى السفر اليهم عبر الزمن مثل النجوم اللامعه ..تلك ليست فى الحقيقة نجوم نابضة بالحياه بل نجوم قضت نحبها منذ ملايين السنوات الضوئية وما نراه الآن هو الماضى المتحطم ..نحن نرى الماضى لا المستقبل ..يظن العالم أننا نتقدم نحو التكنولوجيا والمستقبل وفى الحقيقة نحن نعود الى حيث بدأنا أو ما يحدث لنا الآن هو أثر موتنا فى الماضى ...نحن بقايا أموات ياصديقى .

رفع الشاب حاجبيه مندهشا ثم قال : أنا اؤمن بالفعل أننا أموات لكن الأرواح لا تموت أبدا.. تلك النجوم نار ملتهبة لا تحمل فى أعماقها مشاعر أو إيمان عميق ..ربما ماضى تلك النجوم اللامعه هى أثر مسيرتها الخالدة ..ألا تحب أن تخلد مسيرتك؟

شرد (ماك) بتفكير ثم خطر على باله تلك الصورة التى وجدها على الأرض فى غرفة الشاب فبحث فى ملابسه فى هرولة وخوف أن تكون قد فقدت فى الحادثة , فجأه وجدها فى معطفه فأخرجها وأعطاها الى الشاب متسائلا : من أين تعرف تلك المرأة ؟،اختطف الشاب الصورة

من بين يديه قائلا : أين وجدتها ؟! أعاد (ماك) سؤاله فى حزم فأجابه الشاب أنه لا يعرف اسمها الحقيقى ،غضب (ماك) ونفر غضبه بصراخه عليه واتهامه بالكذب والخداع ، فجأه تحولت ملامح الشاب الى الحزن واليأس وداعبت الدموع عينه قائلا : لما الصراخ أتعرفها أنت ؟! ..أخبرنى ما الذى تعرفه عنها..

هدأ قائلا : اسمها (ميلين)

ردد الشاب (ميلين) ؟!..(ميلين)! ..أخبرنى كل شىء تعرفه عنها.

تعجب (ماك) وقضب حاجبيه غاضبا : لما أخبرك وأنت لا تخبرنى أى شىء عنك ..أخفيت عنى اسمك وكذبت حين أخبرتنى أنك لا تتحدث الفرنسية وقد غنيت تلك الأغنية كفرنسى.. كدت أن أفقد حياتى بسببك ..لما تخفى أمرك عنى؟ ..وقف الشاب صامتا مترددا فاقترب منه فى غضب وأحكم قبضته على عنقه قائلا : من أنت ؟ ما العلاقة التى تربطك بتلك المرأة ؟ أشك أنك تعرف ذلك الصبى أيضا؟ ..أخبرنى ، استفز صمت الشاب حفيظته فألقى به بعيدا ثم قام بتهديده قائلا : إن لم تخبرنى كل شىء حالا سأطردك خارج المنزل أو أضعك فى السجن،لم يعد لدى طاقة لأحتمل تلك الأكاذيب بعد الآن ،وقف الشاب قائلا : لا أعلم شىء ،صرخ (ماك) به حتى كاد يذهب صوته ,يأمره أن يكف عن أكاذيبه وأن يخبره بالحقيقة ، فجأة دخلت (اليكس) والفزع يملأ وجهها متسائله عن الأمر فأشار (ماك) الى الشاب قائلا : ذلك العربى الحقير يتلاعب بى.. سأبلغ عنه الشرطه ، خرج مسرعا حيث الهاتف.. فأسرعت (اليكس) وراءه فى خوف ،ما إن رفع السماعه حتى اختطفتها من يده قائله : عليك التوقف الآن ..عليك التوقف

قال غاضبا : لن أترك ذلك العربى بعد الآن..، وقف الشاب أمامه هادئ الملامح بارد المشاعر ، فاستشاط غضبه صارخا : أنظرى إليه إنه لا يعبأ بغضبى ..أنت لست كاذب فقط بل وسارق أيضا..لقد قمت بسرقة ذلك العقد لما فعلت ذلك؟ ، فجأه صرخت (اليكس) فى انهيار قائله : يكفى..، تفاجأ (ماك) ونظر إليها فى تعجب ثم تابعت قائله: يكفى ما تفعله ..لقد تحملتك أنت وصديقك هذا بما يكفى حتى كدت أن تلقى بنفسك الى الموت ..ألا تعلم حقا من ذلك الشاب الذى اقتحم حياتك فجأه؟! ..ألا تتذكر؟، تسمر مكانه وابتلع ريقه متسائلا ما الذى تقصده!؟، لكن (اليكس) عادت الى صمتها تكبت دموعها المنهمره، فجأه أسرع ناحيه الشاب فى غضب قائلا : ما الذى تخفيه عنى..أيها العربى؟..من أنت؟،فجأه أسرعت (اليكس) تحول بينهما صارخة فى غضب : عليه الكف عن أفعالك تلك ..أنت من عليه أن يستفيق .. كدت أن تدمر حياتنا بسبب ذلك الشاب العربى الذى لا أحد يراه غيرك.

أعقدت الصدمة لسانه عن الكلام وأنفاسه عن التردد فى صدره كأن إحدى القذائف التى ألقت عليه الآن ..تماسك وجمع شتات نفسه قائلا بلسان متثاقل متعتعا : ماذا؟!...ماذا تقصدين؟ ألا ترين هذا الشاب؟! هل تمزحين ؟!

قالت فى غضب: أنا لم أرى ذلك الشاب العربى مطلقا .أنه مثل (ويتنى) التى صنعتها من خيالك أيضا ..ألا تتذكر (ويتنى) ياعزيزى؟

شهق مصدوما وساد به الصمت عدا ضربات قلبه المضطربة التى تدق أصدائها بأذنه ..اهتز كيانه بالخوف فانهار على الأرض جالسا فأسرعت إليه تتفقد أمره تسأله إن كان بخير ..فجأة نظر إليها كالتائه

الـذى لا يهتـدى لسـبيل متسـائلا عـن مـا الـذى تقصـده ..هـل (ويتنـى) أكذوبة؟، ساعدته (اليكس) على النهوض ثم أجلسته على الأريكة قائلـه : عليك أن تعلم الحقيقة ..قبل زواجنا بعدة سنوات تعرفت (ويتنـى) على (أرت) صـديقك العزيـز الـذى لـم يكـن عـدوا لـك قـط.. بـل هـو الصـديق الوحيد الـذى تملكـه ..كـان (ارت) المحبـب الـى قلبـك بقـدر حبـك لنفسـك، أردت أن توثـق تلـك رابطـة الصـداقة بينكمـا بزواجـه مـن (ويتنـى).. عزيزتنا (ويتنى).. شابة صغيرة رقيقة مفعمة بالحب والحماس الـى تلـك الحياه المكلله بالحب والتى ستبدأها مع (ارت) ،كان حفل زفافها بسيط للغايه فخما بالحب الذى عم الأرجاء بسعادتهم لهذا الـزواج لـم تعـارض زواجها مطلقا كما يخيل إليك ولم تعارض هى أيضـا زواجنـا بـل سـعت إليه ..قامت (ويتنـى) بحجـز الكنيسـة وتحديد موعـد زواجنـا بنفسـها ولـم نعترض على ذلك بل رحبنـا بـه كثيـرا ..وقبـل الزفـاف بأيـام ..استيقظت على هـاتف مـن (أرت) يخبرنـى أن (ويتنـى) فـى المستشـفى متعثـرة فـى ولادتها ..أسرعت الى المستشفى فوجدتك واقفا أمام غرفتهـا وقـد سـاءت حالتها بعد الولاده ..قضيت آخر ثلاث ليـال قضـتها (ويتنـى) فـى حياتهـا واقفـا علـى قـدميك تشـاهدها مـن اللـوح الزجـاجى ..تراهـا بعنيـك ينـهش الموت روحها كل يوم ..لم تكن حالة (ارت) أقل منك سوءا لكن وجـود (ويتنى) الصغيرة هو من خفف عليـه الحـزن قليـلا ..حمـل الطفلـة إليـك تلقى النظر إليها لكنك نهرته وأخبرته أن يبعد تلك العاهرة الصغيرة من أمامه ، لم يتمالك (ارت) نفسه وأسرع بعيد عنك كلماتك أوقفتنا جميعا.. لكنـك تابعـت قـائلا تلـك العـاهرة الصـغيرة هـى سـبب مـرض صـغيرتى (ويتنى) ..حين سمعنا ذلك منك علمنـا أن الأمـور لـن تنتهـى علـى خيـر. ساءت حالة (ويتنى) فأخبرنـا الطبيب أنها لن تنجو تلك الليلة ..رغم أنـك لم تسمع ذلك لكنك اتجهت الى غرفتها وجثوت على ركبتيك طالبـا منهـا

أن لا تغادرك وحيدا الى تلك الحياة فقد كانت (ويتنى) هى النور الذى أضاءت حياتك المظلمة ومدعمتك الأولى فى أعمالك الكتابية حتى ارتقيت الى تلك المكانة ..لكنها لم تقبل توسلك وأعلنت صراخك عن موتها فأسرعنا مع الطبيب الى الغرفة وقد فارقت الحياة ولم ترى طفلتها أبدا ، وفى يوم الجنازة رفضت أن تحضر دفنها ووقفت بعيدا وما إن غادر الجميع حتى رحت تنبش قبرها بيديك متسلطا عليها بالسباب لتركها لك وحيدا ..قام (ارت) بإيقافك عما تفعله لكنك نهرته وانهلت عليه بالسباب واتهمته بالقاتل فلم تكن لتموت (ويتنى) لولا زواجه بها , استمريت تطلق عليه السباب والصراخ حتى فقدت الوعى ، بعد عام قمنا بتحديد زواجنا وقبل الزفاف بأيام جئت الى وفى يدك رسالة تخبرنى أن أرسلها الى (ويتنى) لدعوتها لزفافنا ..انصدمت وانعقد لسانى عن الإجابه فأخذتها وعرضتها على الطبيب (جان) ..أخبرنى أن (ويتنى) مازالت قابعة فى عقلك الذى لم يتقبل رحيلها بعد..جعلنى ذلك أتمسك بك كثيرا و تعايشت مع الأمر، لكن قبل الزفاف بساعات أحضرت الى رسالة أخرى تخبرنى عن معارضة (ويتنى) لزواجنا بدون سبب مبرر ثم أنها أنجبت طفلة وأرسلت إليها الهدايا لكنها لم تدعوك الى حفل تعميد طفلتها ، كانت حالتك تسوء يوما بعد يوم يزداد فى عقلك الهذيان والمرض واختلقت عالم خاص بك ملىء بالخرافات .. أخبرنى الطبيب (جان) أن عقلك صنع عالم خاص به لكى ينقذك ..وخيل إليك أن عزيزتنا (ويتنى) مازالت على قيد الحياة ..دخلت فى نوبات صرع وهذيان وباشر الطبيب (جان) علاجك فى سرية تامه لكن النتيجة مازالت واحده لم تتغير ..عدائك ل(ارت) الذى يراسلك يوميا يترجاك ألا تتركه وحيدا مع طفلته الصغيرة لأجل (ويتنى) الراحلة لكن عقلك حول ذلك العداء الى عداء عمل وتناسى عقلك الحقيقة ..فى كل

عام فى يوم وفاة عزيزتنا (ويتنى) تسوء حالتك وينتابك الصرع حين تكتشف الحقيقة ويعود عقلك الى الخيال الذى يصنعه بعدها بأيام ..حين علمت بحملى ازداد هزيانك كنت تتراقص فى ممرات المنزل ضاحكا أن (ويتنى) قادمة قريبا ,اذاد خوفى أن لا ينتهى الأمر على خير ..وقد كان لكن من اتجاه آخر ..فقد فقدنا صغيرنا (ماك) بعد أيام من ولادته. فساءت حالتك كثيرا ..لكنك عدت الى طبيعتك ماعدا تقبل وفاة (ويتنى)، فى تلك الليلة التى أخبرتنى فيها أنك رأيت (ويتنى) وقد أنجبت (ماك) الصغير ..علمت أن المرض قد عاد إليك مرة أخرى لكن برواية صنعها عقلك فأخبرت الطبيب (جان) بالحالة لكن الوضع قد جد فيه جديد باختلاق عقلك لذلك الشاب العربى فأخبرنى (جان) أن أتعايش مع الأمر كما تعايشت معه سابقا لكن الأمر لم يتوقف على ذلك الشاب بل بدأ الأمر يتفاقم حين أخبرتنى عن (ميلين).. تلك المرأة التى تزورك من بلاد المغرب بين الحين والآخر وتلك الطفلة المصرية التى تركض خلفها مداعبا بين أغصان عباد الشمس ..تلك الحلقات التى كتبتها مسبقا هى من وحى عقلك الباطن ليحمى عقلك الواعى من الهلاك .،أخرجت (اليكس) من جيبها ورقتين ثم ألقتهم أمامه قائله : لم يكن هناك تجربة مطلقا!.. أنظر الى العقد.. لقد فهمت من خلاله سر ذلك الشاب العربى الذى صنعه عقلك وتلك التجربة التى تسافر بها عبر الزمان بروحك وتعود مرة أخرى الى الحياه أو الواقع ..انظر الى توقيع ذلك الشاب العربى .. ، التقط العقد فوجد أن توقيع الشاب خاليا لا يندرج فيه أى اسم !

تلعثم (ماك) قائلا : لا ..هذا غير صحيح ..أنه يقف أمامك الآن (نظر إليه) عليك قول شىء أخبرها كيف ألتقينا فى المقهى.

قاطعته (اليكس) تحاول ربط جأشها قائله : لم يكن هناك مقهى ..ذلك المقهى هو إطلال لم يضاء فيه مصابح منذ سنوات ..حين أخبرت (الفريد) عن ذلك الاقتحام واتهمت فيه العاملين بالمقهى لم يتحمل (الفريد) أن يعبث أحدهم بعقلك فأسرع الى ذلك المقهى فوجده خاليا تماما حين أجرى تحرياته حوله وجد أن ابنة صاحب المقهى قد هاجرت الى كندا لعلاج والدها هناك وأغلقت المقهى لحين عودتها ،صرخ ٠ماك) ناكرا ما تقصه (اليكس) عليه واتجه الى الشاب العربى بسرعه قائلا : أخبرها من أنت..أخبرها أنك حقيقى..لا يمكن أن تكون خيال، ألقت إليه (اليكس) بالرسالة التى يحتفظ بها فى مكتبه قائله : هذا دليل آخر على كلامى ،التقط الرساله وقرأها ..كانت توسل من (ارت) أن يعود الى زيارته مرة أخرى فهو يشتاق إليه كصديق وكأخ كما أن (ويتنى) الصغيرة تشتاق إليه كثيرا ولم تكن رسالة من أخته (ويتنى) كما كان يعتقد.

نظر الى الشاب بعيون تكاد تراه من دموعه المنهمره قائلا : أخبرونى أن ما أسمعه غير حقيقى..أخبرونى أننى لست مجنون ..أنا لست مجنون ..لا لا أصدق تلك الخرافات الفارغة ..أنتم تتلاعبون بى.. (اليكس) أنت تتلاعبين أيضا بعقلى تريدين التخلص منى لتتزوجى برجل آخر أكثر شبابا ..أنتم تتلاعبون بعقلى أيها الحثالة ..لا أصدق تلك الخرافات أبدا ..فجأة انهار فاقد الوعى .

****

وقفت مبتسمه فاقترب منها غير مصدق أنها أمام عينه نظر الى ما تحمله فى يدها ؛ طفلة جميلة مد يده يلمسها ثم اتجه بسؤاله قائلا : من

تلك الصغيرة يا (ويتنى) ؟..فقالت غير عابئة لسؤاله أنها تشتاق إليه كثيرا ..فجأة رأى جنازتها , رأى ما كان يفعله بقبرها من نبش التراب عن قبرها وصراخه الدائم وسبابه ونهره الدائم الى (ارت) وتلك الصغيرة (ويتنى) التى سبب فى موت أخته العزيزة ،فجأة انسالت الدموع مع عينيه التى فتحها فوجد نفسه نائما على الفراش فى المستشفى, رأى الشاب جالسا بجواره مبتسم العينين فسأله: هل كل ما خضناه كان خيال وأوهام ؟،هز الشاب رأسه نافيا ذلك ،أمعن النظر فى عينيه يستمد منها صدق إجابته ثم غط فى نوم عميق .

عاد الى منزله وقد عادت إليه ذكرياته بكل تفاصيلها وعاد عقله الى الواقع ،لكن الشاب كان أحق من الواقع الذى لا خيال فيه ، لزم الصمت طوال الوقت لكنه مازال يصاحبه فى جلوسه ونومه وطعامه ، سار برفقته الى ضريح (ويتنى) يضع إكليل الزهور عليه ثم جثا على ركبتيه باكيا معتذرا عما بدر منه سابقا ..عن إهماله لطفلتها الصغيرة التى ترعرعت دون خالها ..أكثر ما يخشاه أن تعانى (ويتنى) الصغيرة من الوحدة التى عانيا منها هما الاثنان ، ركب سيارته وقد جلس الشاب بجواره صامتا ..تسربت أغنية من الراديو الى مسمعه نفس تلك الأغنية التى قام بغنائها من قبل ،نظر إليه الشاب بطرف عينه لكنه لم يعير له انتباه وظل منتبها الى الطريق حتى وقف بسيارته أمام منزل ضخم , خرج من سيارته بعدما استجمع شجاعته وقف أمام باب المنزل ثم قام بالضغط على الجرس لحظات وصدر صوت طفلة صغيرة تسأل من بالخارج فأخبرها أنه (ماك)، ساد الصمت قليلا ثم صرخت الطفله فى مرح قائله أبى ..خالى (ماك) هنا ..أسرع ..جاء صوت (ارت) قائلا أنت دائما تعتقدين كل من يأتى أنه الخال (ماك) ثم قام بسؤال من

بالخارج فأخبره قائلا أنه أنا ،لم يصدق (ارت) ما تسمعه أذنه لحظات و فتح (ارت) الباب الخارجى للمنزل بنفسه وقف مصدوما أمام (ماك) ثم فاضت عيناه بالدموع وألقى بنفسه على (ماك) الذى ضمه بذراعيه متأسفا عن كل شىء مضى ،بدا (ارت) أكثر شبابا من(ماك) ففارق السن بينهما كبيرا الى حد ما لكنه لم يعيق ذلك تكوين صداقات بينهما ، فجأة طلت برأسها من خلف أبيها ،شهق (ماك) حين رأها فقد كانت كالطفلة الصغيرة.. التى رأها فى تخيلاته بالمستشفى ،لاحظ (ارت) رؤيته لها فأمر ابنته أن تأتى لتلقى التحية على خالها (ماك) ، جثا (ماك) على ركبتيه والدموع تفيض من عينيه قائلا : عزيزتى (ويتنى).. أليس كذلك ،هزت الصغيرة رأسها ثم اقتربت منه واحتضنته قائله : أخبرنى أبى أنك كنت مسافر ..ثم نظرت إليه متسأله هل ستسافر مرة أخرى؟ فهز (ماك) رأسه نافيا قائلا أنه لن يتركها مجددا وحيدا ،ثم أردف الى الداخل وقضى معهما وقتا ممتعا وفى المساء.. غادر (ماك) المنزل بين وداع (ارت) والصغيرة (ويتنى) ورجاءها أن يأتى (ماك) مرة أخرى لزيارتهم ، ركب سيارته وفى الطريق تجاهل الشاب الذى لم يغادر السيارة طوال الوقت ،نظر إليه بطرف عينه ثم سأله :لماذا لم يدخل معه الى المنزل؟، فأخبره أنه أراد أن يعطيه مساحته الخاصه مع عائلته ،أوقف (ماك) سيارته وشرد قليلا ثم قال بحزن: أنت ياصديقى محض خيال ..لا يملك الخيال أحاسيس أو مشاعر ..أنت فقط من صنع عقلى الباطنى، نظر إليه الشاب قائلا : أنا لست صنع خيالك أنا حقيقة قابعة فى ذلك العالم ..لما لا اختفى بعدما علمت بحقيقة الأمر ..لقد علمت بما تعانى منه حين كنت بالمستشفى.. حين وقفت أمام الغرفة الفارغة تنظر من خلف الزجاج على سرير خاوى ثم فتحت الغرفة وجثوت على ركبتيك بجوار السرير..رأيت السيد (ارت) قادما كدت أن

أذهب لأخبرك لكننى وقفت متسمرا حين رأيت السيد (ارت) قد عبر من خلالى واكتشفت أن ما أراه هو روح الماضى الذى تشتاق أنت إليه.. كما أننى روح هائمة أيضا ..لم أعلم حقيقة أمرى إلا فى ذلك اليوم , ذلك جعلنى أعلم السبب وراء تباعد أنظار السيده (اليكس) عنى طوال الوقت لكن لم استطيع كشف حقيقة الأمر لك حتى تكتمل تجربتى.

صاح (ماك) فيه غاضبا قائلا : عن أى تجربة تقصد أنت مجرد خيال أكاذيب من عقلى ..أنت والأرواح والسفر عبر الزمن مجرد أكاذيب، اقترب الشاب منه وكشف عن ساقه قائلا : وتلك الإصابة التى مازالت تعانى منها .. خيال أيضا؟!..لقد أخبرتك أن ما خضناه لم يكن وهم، قاطعه (ماك) متسائلا : إذن من أنت؟،صمت الشاب ونظر بجواره الى الطريق قائلا: لا أعلم ..حقا لا أعلم..لقد استيقظ يوما فى ذلك المقهى المهجور، لا أعلم من ولا أين أنا ,لم أملك من الذكريات سوى القليل قمت بتدوينها فى تلك الأوراق واستمريت فى تكرارها لعلي أتذكر شيء آخر ، حتى صادف يوما أن وجدت رجلا هائما فى تفكيره فأردت أن تجذبه الى ذلك المقهى وأثناء ذلك فوجئت بالمقهى ينبض بالحياه , أضيئت فيه الأضواء وملأت الموسيقى أرجاءه وأصبح يكظ بالزبائن لا يرانى أحد منهم سواك ..جذبت أطراف الحديث معك بفنجان القهوة العربية ثم تتبعتك وعلمت من أنت حينها أدركت أنك الشخص المناسب لمساعدتى لمعرفة من أنا ومن تلك الشابة التى وجدت صورتها فى جيبى فى تلك الليلة ..اكتشفت مقدرتى فى نقل روحك الى الماضى لكن لم أملك القدرة على إعادة نفسى الى الماضى لأدرك حقيقتى التى لا أتذكرها ..التنويم المغناطيسى هو الوسيلة الوحيده لمعرفه الماضى الذى لا استطيع الإلمام به .

أردت استرجاع الماضى الخاص بى فحياتى مثل الأحجية المتقطعه.. كان على البحث عن لاعب ماهر ذو ذاكرة قوية وروح مغامرة ..يجمع ألغاز الأحجيه ..لا أعرف ما اسمى ولم تعرف أنت أيضا ،فى كل مره كنت أنتظر منك أن تخبرنى أنك ترانى فى سفرك .. لكنك لم تهتم بأمرى منذ اللحظة التى خطت قدمى فيها منزلك .لم تهتم ياسيد (ارثوفيتش) ولم تسألنى عن اسمى.. وضعت غريب فى منزلك واستضفته وقبلت أن يتناول طعامك وشرابك ولم تعرف اسمه أو تفكر فى كل مرة بمناداته ،عايشت ذلك الصبى الصغير هناك إفتداك بروحه وأنقذك لكنك لم تسأله ما اسمه .. لم تهتم إلا بنفسك لذلك لم تظهر لك حقيقة الأمر ،نظر (ماك) فى ندم وخذلان الى الأرض معتذرا عن أنانيته وتصرفاته الحمقاء ،ثم بث الأمل فى نفس الشاب العربى قائلا بأن الفرصة مازالت قائمة لمعرفة من هو ..بتجميع الخيوط ببعضها خلال تلك الأوراق التى كتبها ،هز الشاب رأسه قائلا أن تلك الأوراق لم يكتب فيها سوى طلاسم الذاكرة , لن تفيد فى شىء لم يقتنع (ماك) بذلك وأشعل سيارته قائلا أن عليه قراءة تلك الأوراق بنفسه ليتأكد إن كانت مجرد طلاسم أم أنها بداية الخيط ثم انطلق الى المنزل وما إن وصلا حتى ركض خلف الشاب الذى سبقه الى غرفة المكتب يخرج الأوراق التى احتفظ بها بين ثنايا الكتب.

ثم قدمها الى (ماك) الذى التقطها فى شغف وهم أن يقرأها فأوقفه الشاب قائلا : سيد (ارثوفيتش) ..أنت لم تأتى الى أنا من آت إليك , عقد (ماك) حاجبيه متعجبا فأكمل قائلا: كنت أخبرك دائما أنك من جاء الى لكن فى الحقيقة أنا من جئت إليك ، فسأله (ماك) : لماذا دائما يناديه ب(أرثوفيتش)؟،ابتسم الشاب قائلا أنه الاسم الذى كانت تفضل والدتك

مناداتك به ..وقد استخدمته لأتقرب به الى قلبك،تركه الشاب واتجه نحو الأريكة , نظر إليه (ماك) من فوق نظارته الى أن جلس ثم أعاد النظر الى الأوراق.. هم أن يفتحها لكنه توقف قائلا أنه لن يستطيع قرائتها ففى المرة السابقه قضى ساعات فى ترجمتها لكن الشاب ابتسم قائلا أنه لن يحتاج الى ترجمة بعد الآن ،فتح (ماك) الأوراق فإذا بها قد تحولت الى اللغة الإنجليزية فنظر بدهشه الى الشاب الذى لمحه بطرف عينيه مبتسما

******

(ايلياء) ..اسما لأجمل إمرأة رأيتها بقلبى ..أتقدم الآن الى عرسنا ..تلك الزغاريد المنطلقة والفرحة التى تملا قلبى حبا وخوفا أن لا يكتمل شىء.. تقدمت إليها كدت أن أزيل الوشاح عن وجهها لكن فجأة اختفت ثم رأيتها خلفى تبتسم وتقدم الى وردة من ورود المغرب احتفظت بها فى إحدى كتبها التقطتها منها فى سعادة, اقتربت الى ثغرها الوردى أقبلها تلامست شفاهنا لكن فجأة وجدت يدى فارغه وشفتاى مطبقتان على الفراغ التفت أبحث عنها أين اختفت ..رأيتها تتقدم نحو منزل فى مصر بإكليل زهور ذبلت أوراقه ودموعها تحرق وجنتاها الناضرتين وتحول ثيابها لجلباب أسود ..ناديتها لم تسمع اقتربت منها لأحتضنها لكنها اخترقت جسدى ومضت تضع الزهور أمام أعقاب المنزل ورحلت فجأه رأيت طائرات تدوى فوق رأسى والناس تهلع فى خوف بينما هى تخطو ثابتة هادئه بحزنها لا تأبى الى شىء ناديتها مرارا لكن مرارة الألم اقتطعت قلبى والألم انفجر بصدرى حتى كاد يتمزق ..سحبتنى الأرض الى أعماقها أحاول التشبث بالأرض لكنها جذبتنى بقوة حتى ابتلعت التراب وحشرت أنفاسى فى صدرى وتوقف كل شىء ..،رفع

(ماك) رأسه قائلا باندهاش ..أنت الصبى؟! .هل هذا أنت حقا؟!!.. إذن أنت لم تقتل تحت الانقاض ؟لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ؟!، هز الشاب كتفيه قائلا لا أتذكر أى شىء من الماضى سوى ما كتبته فى الأوراق أنا روح مسافرة بدون ذاكره ..أخبرتك أن ذاكرتى أحجيات، اقترب منه يلمس وجهه وجسده قائلا لا أصدق أن ذلك الصغير هو أنت..كيف كنت غبى الى ذلك الحد ..الصبى لم يخبرنى اسمه ولم اسأله وأنت أيضا لم تخبرنى ولم أسألك ..لقد كنت أنانى حقا ولكن كيف مازلت شابا ؟! كيف ذلك ؟!!هز الشاب رأسه نافيا قائلا : لا أدرى لهذا لجأت إليك يا(ارثوفيتش) ..لا أعلم لما أنا هنا ولماذا بعثت فى ذلك المقهى ..ولماذا مازالت روحى هائمة ..ربما قد مت شابا ولكن لما لا أجد السلام إذن ؟!..لا أدرى ..ظننت أننى أحلم حلم عميق سأستيقظ منه قريبا لكننى لم أكن أحلم ..لكن من أين تعرف تلك الشابة فى الصورة؟ ..أخبرنى كل شىء بالتفصيل لعل نستطيع إيجاد شىء ما ، أخبره (ماك) كل شىء منذ أن بدأ معه الأمر بتلك الطفلة الصغيرة حتى آخر حلم رآه ل(ميلين) بوجهها المتجعد ،جلسا الاتنان يناوبان خطواتهما ذهابا وإيابا يربطان الخيوط ببعضها ثم انطلق (ماك) قائلا: أنت قابلت تلك الصغيرة فى مصر ثم عدت الى وطنك تشارك فى معاركك ..كانت هى ملاذك الوحيد فى ذلك الخراب ثم تقابلتا مرة أخرى وتزوجتما ثم افترقتا ..لكن لماذا ؟ هناك كم من الأسئلة من المستحيل أن نجد جواب لها بتلك الأحجيات سبيلنا الوحيد هو العودة الى الماضى ..تستطيع فعلها مرة أخرى أليس كذلك؟

اعترض الشاب قائلا: أخشى أن تصاب بأذى , مازال جزء من عقلك الروحى كامن هناك ..لقد رأيتنى بمصر أنا وذلك الصبى.. لا يجب

عليك رؤية الماضى وأنت فى الحاضر بدونى.. أخشى أنك لن تستطيع الاستيقاظ مجددا ، اعترض (ماك) قائلا : لقد رأيت جزء من الماضى بدونك وزارتنى تلك الأرواح قبل رؤيتك وإلا أخبرنى كيف علمت بأمر (ميلين) منذ أن كانت صغيرة تمضى بين أغصان عباد الشمس .

تعند الشاب لكنه وافق بعد إلحاح منه لكن اشترط أنه سيوقظه بعد مرور عشر دقائق فقط احتج (ماك) لكنه استسلم أمام عناد الشاب ،أرخ (ماك) جسده لكن التوتر حال دون هدوء أنفاسه المضطربة , لاحظ الشاب ذلك فهدأ من روعه ثم نفخ دخان الغليونة فى وجهه ،فجأة سمع صوتا يحدثه قائلا : هل غفوت مجددا ..ارتعب (ماك) وانتفض ظنا أنها زوجته (اليكس) لكنه وجد نفسه قابعا فى ذلك الحلم السابق حيث تحولت غرفته الى تلك الغرفة العتيقه.. وجد (ميلين) تتزين لأمام المرأة ثم ألقت بنظرها إليه من خلالها وهى ترتدى قرضيها قائلة إن أردت النوم فلا بأس سنؤجل موعدك مع زملاءك ،وقف (ماك) حائرا فى قول شىء فكان يجب أن يتواجد حيث الصبى تحت الانقاض!..فجأة نادته (ميلين) مرة أخرى بانتظار جوابه كاد أن يتفوه بكلمة فجأة وجد شىء ما قد اخترق جسده واتجه نحوها ، تسمر مكانه متسائلا كيف أصبح غير مرئي ! نظر الى يديه وجسده ثم نظر الى نفسه فى المرآه فلم يجد لنفسه انعكاسا ..أمعن النظر الى ذلك الشخص الذى اخترقه ،كان يرتدى نفس ملابسه الى رأى نفسه يرتديها من قبل ..اتجهت إليه (ميلين) تحتضن وجهه وتتبادل معه القبلات ثم أسرعت الى الخارج, بدأ الرجل يهندم ملابسه ثم اقترب الى المرآه فاقترب منه (ماك) يحاول رؤيته فجأة دخلت (ميلين) وفى يدها نظارة قائله لن تستطيع رؤية شىء بدون نظارتك ثم وضعتها على عينه التفت الرجل نحو السرير يلتقط غليونة

فوقعت عليه أنظار (ماك) المتسمرة مصدوما فقد كان الرجل هو الشاب العربى !،احتضنت (ميلين) يد الشاب ثم ذهبا ,اتبعهم(ماك) وما إن خرج من الغرفة حتى تسمرت قدماه فقد كان فى منزله! غير أن اختلاف الديكورات تغيرت عبر الزمن .. لم يلاحظ سابقا أنه فى منزله, ظل يتأمل الأركان حيث تخطوا أقدامه فجأة سمع صوت الباب يفتح فأسرع لكن الأمر العجيب أن اتجاه باب المنزل كان مختلف عن منزله فقد كان بجوار غرفة المكتب، أسرع خلفهم ..رأى أن المكان مختلف بعض الشىء عما رآه سابقا فى أحلامه فقد اختلف المكان باختلاف الزمن فأصبح منزلهم وحيدا فى الحى عدا بعض المنازل المتفرقة التى تبعد عنه ويراها من بعيد بمد البصر، الثلوج تملأ الأرجاء وعبق الماضى يرسم صورة أخرى رائعة للمكان .وأثناء تأمله تلك الصورة الزمنية , انتبه الى صوت (ميلين) ضاحكة نظر الى ساعته فتذكر أنه لن يمكث سوى عشرة دقائق فقط فأسرع خلفهما..انبعثت رائحة الحلوى إليه فرأهم يدخلون محل الحلويات فانتظر إلا أن خرجوا ثم اتبعهم الى حيث ذلك المقهى ..دخل الشاب الى المقهى بينما ظلت (ميلين) و(فيرنا) فى الخارج تنظر نحو باب المقهى تقدم (ماك) الى الداخل لكنه ألقى نظرة الى (ميلين) التى نظرت بتوها إليه ،تقابلت أعينهم وكأن كلا منهم يرى الآخر ،أفصحت عينيها عن رسالتها الكامنة أنها بعثت له بذلك الحلم ليعلم الحقيقة و يمد يد العون لتلك الروح الهائمة التى تخلت عنها أنفاس الحياة وأنامل العدل وتخلى السلام عن احتضانها فى الموت ،دخل المقهى بعدما أشاحت عنه بوجهها الى (فيرنا) ،وجد الشاب جالسا بينما وقف القائد يهدأ من روع (يونس) الذى ثار لرؤية (ميلين) لكنه توقف فور ما أخبره الشاب قائلا: قبل أن تخترق الرصاصات صدرك ستخترق صدرى أولا ، فجأة اقتحم أحدهم المقهى يلهث مرتعبا ففزع

الجميع إليه ،وأجلسوه بينما بالكاد الرجل يلتقط أنفاسه قائلا : مراد شمعون ...مراد شمعون هنا ،انتفض الشاب واقفا بينما صرخ يونس فيه يسأله إن كان متأكد ،هز الرجل رأسه بالإيجاب فنظر يونس الى الشاب قائلا : لقد اتبعك من المغرب الى مصر الى هنا !!! لا أصدق ما العمل الآن، اضطرب الشاب ومضى الى النافذة ينظر حيث تجلس (ميلين) عقد حاجبيه حين لم يجد لها أثر, فجأة اقتحم أحدهم المقهى فالتفت الجميع فإذا بها (ميلين) تتبعها (فيرنا) التى أغلقت باب المقهى خلفها بإحكام بعدما علقت لافتة مغلق على الباب ،وقفت (ميلين) قائله: أنه يعلم بالأمر فلفظ الجميع فى وقت واحد.. ماذا؟!، فتقدمت إليهم بضع خطوات واثقه قائله: لقد تزوجت دون إرادة أبى مراد شمعون ..لقد تتبع خطواتنا منذ أن تزوجنا فى المغرب ورحلنا فى نفس ليلة الزفاف الى منزلنا بمصر ثم قضاء شهر العسل هنا فى بريطانيا ،لقد زادت شكوكى فى أمر تتبعه لنا حتى علمت بالأمر ..لم يعترض أبى على زواجى من مسلم فقصور الملوك بالعالم العربى مليئة باليهوديات إن لم يكونوا وصيفات أو خليلات فيكونوا بنك لاقتراض منهن ،لكن والدى يعلم بأمرك ،ثم أشارت بعينيها الى زوجها، أشاحت بوجهها الى القائد قائله : سيد عمران .،التفت عمران إليها متعجبا فابتسمت قائله : لا تتعجب أنا أعلم كل واحد منكم جيدا ..أرجوا أن ترسل أحد رجالك الى منزلى فحتما ستجد رجلين يفتشان المنزل الآن.. هذان الرجلان لم تركوا لن أثر لقدم إلا وضعوا أقدامهم عليه ،أشار عمران الى أحد رجاله ففهم الرجل مقصده وخرج لكن أوقفته (ميلين) وطلبت منه الخروج من الباب الخلفى للمقهى فنظر الرجل الى عمران فهز عمران رأسه على أن ينفذ كلامها فذهب الرجل، وقفت (ميلين) وأخرجت من معطفها بعض الأوراق وألقتها أمامهم على الطاولة قائلة : لقد علمت لماذا يقضى

زوجى ساعات فى المكتب حتى يجافيه التعب وعلمت لماذا يتبعه أبى ...أراهن أنه بعث هذان الرجلان من أجل تلك الأوراق ،وقف يونس يسألها والخوف يتملكه .

ماذا الذى تنوين فعله ؟،جلست (ميلين) قائله: لا تخف يا سيد يونس تلك الأموال التى جمعتموها من مشارق الأرض لمغربها لشراء الأسلحه فى أمان مادامت تلك الأوراق ليست بحوزت مراد شمعون لكنه لن يترككم تدخلون بها مصر أو فلسطين أو أى دول عربيه حتى لوكلف ذلك حياته ،لقد وصلتنى أخبار عن نسف فندق الملك داوود بالقدس بما فيه من نزلاء ..اليهود يرتعبون من سحب بريطانيا أطراف ردائها من خدمة الصهاينه فى السيطرة على القدس ..ستعود بريطانيا بالتأكيد بعد ذلك الحادث الى تدعيم قيام الدولة الصهيونيه مرة أخرى لذا بقاءكم هنا لا يصب فى صالحكم ...علمت من إحدى محظيات القصر الملكى أن الملك فاروق عقد صفقة شراء أسلحه لا أعلم ما الذى يستعد له بشراء تلك الأسلحه فى ذلك التوقيت لكن هذه فرصتكم ..سأساعدكم فى دخول تلك الأموال الى مصر ومن هناك أنتم تعلمون من أين تقومون بشراء الأسلحه !.

اندهش يونس حتى فتح فمه متعجبا فأردف عمران متعجبا قائلا : السيدة (ميلين) هى من تقول هذا؟!

وقفت (ميلين) ثم تقدمت باتجاه زوجها الذى يعتلى علامات التعجب ملامحه : منذ أن ارتبط اسمى بك وانعقد قلبى بقلبك نسيت من تكون (ميلين) وعزمت أن أكون تلك الصغيرة التى رسمت ملامحها فى كل عام يمر بك حتى التقينا واستسلمت إليك والى أن أحيا ك (ايلياء) ..ثم

التفتت الى الرجال قائله : عليكم الاستعداد فالعاصفة لم تبدأ بعد فأنتم لم تذبحون بالسكين الذى يسن الآن فى تلك المؤتمرات والاتفاقيات ..لن يهدأ اليهود حتى يباد كل عربى فلسطينى وتنزع جذوركم من الأرض، كيهودية أستقر حب فلسطين فى نفسى الى حب امتلاك وطن نحكم العالم منه وكشخصى أفاق حبها فى قلبى حب حبيب لحبيبته ،فجأة دخل الرجل مضطرب الأنفاس يخبرهم بصدق السيدة (ميلين) فهناك رجلين يقلبان المنزل رأسا على عقب ،كاد زوجها أن يتحدث فقاطعته قائلة بأن لا يخف فقد قامت (فيرنا) بتدبير أمور رحيلهما ولا يوجد شيء فى المنزل يثبت وجودهم به ثم نظرت الى عمران قائله: عليكم الاستعداد فاليهود يحتشدون بقوات عسكرية مدربة وبأسلحه لا حصر لها طبعا فالأموال تتوافد إليهم من أوروبا ومن أثرياء اليهود وبلا شك تعلمون أن أبى من أهم أعضاء الهيئة الصهيونية فى العالم أى أنه مصدر من مصادر التمويل لتلك القوات العسكرية ولن يهدأ حتى يستولى على أموالكم ويضيفها لتمويل تلك القوات ..خلعت (ميلين) معطفها ثم قلبت معطفها فكشفت عن سوستة مخفية فى بطان المعطف ثم تقدمت (فيرنا) وخلعت معطفها أيضا وكشفت عن سوستتها المخفية ثم اتجهت الى عمران قائله : ضع أموالك هنا مع ثقتك بأنكم لن تفقدوا مليم أحمر منها مادمت على قيد الحياة ،كاد أن ينطق أحدهم فقاطعته قائله أن تلك هى الطريقه الوحيده لتهريب الأموال الى داخل مصر عن طريق سيدة يهوديه.. وأيضا ثرية فالأثرياء لا يخضعون للتفتيش ،أشار عمران الى رجاله فذهبوا الى القبو ثم أشار إليها أن تتبعه فاتبعته الى القبو حيث وقفت أمام صناديق الأموال وبدا الرجال فى توضيب الأموال بداخل المعطف بينما وقف زوجها على باب القبو مستندا بكتفه عليه يحاول النظر الى عينيها التى تعمدت عدم النظر إليه، ما إن انتهى الرجال حتى

أشارت (ميلين) ل(فيرنا) بارتداء المعطف وقامت بارتداء معطفها ثم نظرت الى الرجال الذى لا حيلة لديهم إلا تنفيذ أوامرها , أخبرتهم ألا يقلقوا وسوف تقابلهم فى منزلها بمصر فهز الجميع رأسه , خرجت (فيرنا) من القبو تتبعها (ميلين) التى ارتطم كتفها بكتف زوجها ثم نظرت إليه تشبع عينيها منه ثم خرجت باتجاه الباب الخلفى من المقهى , سبقتها (فيرنا) وبعض الرجال الذين انتشروا لتأمينهم.. همت بالمغادرة لكنها التفتت فوجدته يلتصق بها ،عكست ملامحه الحزينة المؤلمة.. تلك النهايه التى لم يضعها فى الحسبان ثم أردفت هامسه : اليوم الذى رأيتك فيه تحمل سلاحا أدركت أننا مثل نحن مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ..أصبحت لا أبصر فى عيناك سوى الألم والخوف.. حين عقد زواجنا ظننت أنه خيال لكن الخيال لا يدوم طويلا ،دست يدها فى جيبها ثم أخرجت صورة لهم فى الجامعة , قام بقطعها الى نصفين وأعطته نصف يحمل فيه صورتها قائله : تمنيت لو أننا تعانقنا فى تلك الصور ،نظر الى الصورة ثم سألها لماذا ؟ أخفت الدموع فى عينيها بابتسامة ثم تحسست وجهه قائلة : هذا فراق بيني وبينك ... نحن فى قلبنا وطن توافقا فيه وفى واقعنا وطن تنازعا فيه فأى الأوطان بظنك قد يفوز؟..ساد الصمت ونظر بعينيه الى الأرض يائسا فاحتضنته بذراعيها ثم قامت بتقبيله بحرارة قائلة : وداع، انطلقت (ميلين) ثم أغلقت الباب خلفها فأسرع الى النافذة يلقى عليها النظرات الأخيره ..اقترب من عمر أن يربت على كتفه ثم تركه فنطق الزوج قائلا لها : ليتنى أخبرتك بمدى اشتياقى لك قبل رحيلك ..أنت العالم الذى أهرب فيه من عالمى،فجأة تغير المكان فالتفت (ماك) حوله ينظر الى ذلك المكان حيث وجد نفسه يقف فى حارة تراصت فيها المنازل بجوار بعضها فجأة خرج الشاب العربى من إحدى تلك المنازل وخلفه (ميلين) تترجاه بدموعها أن يعود

فلا أمان لذهابه ..تشبثت بذراعه لكنه تحسس وجهها ثم نفض يده عنها قائلا : لا تنتظرى عودتى ...قد لا أعود يا (أيلياء)، عادت لتشبثها بذراعه قائلة أن والدها أقسم على قتله لكنه هز رأسه قائلا: إن مراد شمعون لا يهمنى ..الذى يهمنى وطنى ،كاد أن يذهب فأوقفته كلماتها كرصاصة جعلته عاجز عن التفوه بكلمه قائلة : لا يجب على الأبناء أن يعانوا مما عانى منه الأباء ،التفت إليها قائلا : أنت حامل؟! ..ذلك الطفل سيولد منبوذا ..سيولد كوطنى سيدنسه أبيك حين تمتد عليه يده ليقتله لن تستطيعى أيضا حمايته من أبيك ..لا يجب عليه أن يعانى مما نعانى منه، انسابت يدها عن ذراعه فنظرت إليه بعين الدهشه قائلة : لن أتخلى عن ذلك الطفل أبدا سأدافع عنه ..سأحميه كما أحمى نفسى وهويتى ،تركها دون أن ينبت ببنت شفه ثم ركب سيارته ومضى ينظر إليها من زجاج السيارة وهى تصرخ قائلة أنها لن تتنازل أبدا عن طفلها ولن تترك المنزل أبدا ..ستنتظره الى أن يعود ..،فجأة وجد نفسه يقف بينها وبين رجل آخر فى المنزل تصرخ فيه قائلة أنها لن تعود فما الضرر الذى يصنعه زواجها من مسلم وقصر الملك يعج باليهوديات وكثير من المسلمين متزوجين يهوديات لماذا لا يعارضهم أحد ؟،صرخ الرجل بوجهها قائلا أنه فلسطينى كيف تقبلين بالزواج من فلسطينى يجب أن يباد هو وجنسه فقاطعته قائلة أنها حامل منه ولم يعد اسمها (ميلين) بل (إيلياء) وإن تصاعد الأمر ستعلن إسلامها وليفعل أبيها ما يفعله ،تسمر الرجل مكانه فقد أشعلت كلماتها نيران الحب الدفينة فى قلبه لها الذى شغفه حبها ..فجأة اهتزت الجدران وبدأ المنزل فى الانهيار..فهوى (ماك) ساقطا فى حفرة عميقة و يتردد على مسمعه صوت (ميلين) يردد.. سأظل هنا الى الأبد ..سأظل هنا الى الأبد..

الى اللقاء فى الجزء الثانى من الروايه..

جميع حقوق النشر محفوظة. ولا يحق لأي شخص
أو مؤسسه أو جهة إعاده إصدار هذا الكتاب. أو جزء منه .
أو نقله بأي شكل من الأشكال او تدواله الكترونيا نسخا
او تخزينا دون إذن خطي من الدار